فُتات من نور

صفحات من ذاكرة فرقة جامعية

كوستي بندلي

منشورات النور

فُتاتٌ من نور

صفحات من ذاكرة فرقة جامعيّة

كوستي بندلي

وفرقة «نور الراعي الصالح»

يليه ملحق بعنوان :

قراءة للأعجوبة في ضوء علاقة الله بالكون

منشورات النور

٢٠٠١

الى أعضاء الفرقة، وجهًا وجهًا،
الى زملائي المرشدين،
الذين طالما حُكي عن تقصيرهم،
وقلّما يُساعَدون في مهمّتهم التطوّعيّة الصعبة،

الى الذين واللواتي أرشدوا الفرقة قبلي،
وتركوا فيها أثرهم وذكراهم،
وجَنيتُ أنا ثمرة أتعابهم،
ومنهم ليليت مرسيل بندلي،
التي استعجلت فسبقتنا الى عالم النور.

ك. ب.

مقدّمة

يضمّ هذا الكتاب بعضَ ذكريات مرافقتي، بصفة مرشدٍ، فرقةً شبابيّة مختلَطة تنتمي الى أسرة الجامعيين في فرع الميناء لحركة الشبيبة الارثوذكسية. وقد امتدّت هذه المرافقة على نحو ثلاث سنوات، أي من ١٩٩٥/٧/١ الى ١٩٩٨/٦/١٦، كنت اجتمع فيها مع الفرقة بوتيرة اجتماع كلّ اسبوع، انخفضت الى اجتماع كلّ أسبوعَين في السنة الاخيرة، عندما تحوّل دَوْري الى دور مرافق ارشاديّ بانتظار أن تجد الفرقة، حسب اتفاقنا، مرشدًا لها جديدًا يخلفني.

عندما اقترحتُ تسلّم إرشاد الفرقة - وقد شغرت هذه المسؤولية بسبب مرض المرشدة السابقة - قَبِلَتْني بترحيب رغم ما كنتُ أعاني منه آنذاك، وما أزال، من آثار تقدّم العمر ضاعفها بشكل فادح مرض مزمن ألمّ بي فأصاب قواي بالوهن ونطقي بالتعثّر. وقد كاشفت الفرقة بذلك منذ لقائنا الأوّل، فقبلتني على علّاتي، ما دفعني الى الكتابة الى أحد الاصدقاء بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٨: «إنني سعيد بفرقة الجامعيين المختلطة التي تسلّمت إرشادها (...) أشعر بتجاوب ينشأ بالعمق بيني وبين أعضائها (...) إنّه ينبوع فرح ونضارة فجّره الربّ في حياتي.»

لم يكن بمقدوري، بالطبع، نظرًا للأسباب التي أسلفتُها، الاندماج الكليّ في حياة الفرقة، خصوصًا عبر المشاركة في نشاطاتها الترفيهية،

كما يُفرض في المرشد اذا شاء أن يقوم بدوره على أكمل وجه. إنما حَرِصتُ على أن أؤدّي، بأفضل ما استطيع في الظروف الراهنة التي أشرتُ اليها، دَوري كمنشّط فكريّ وروحيّ في الاجتماعات، متّكلًا على العون الإلهي وعلى تعاون رَجَوتُ أعضاء الفرقة أن يمدّوني به.

ألكتاب يضمّ بعض ما حاولنا أن نبنيه معًا من فكر ومواقف في هذه الاجتماعات، ويمتدّ محتواه على حوالي عامين، ويتناول، الى جانب **مقاطع إنجيلية** كان اعضاء الفرقة يتناوبون على اختيارها فيقدّمون لها امام رفاقهم ثم يُدعى هؤلاء الى التفاعل معها، مواضيع متنوّعة، من وهي الإيمان والحياة، يقترحها الشباب فتُجَدْوَل ثم تناقش تباعًا في ما بينهم بمشاركة المرشد، وقد شملت هذه المواضيع عناوين مثل الإيمان والتعصّب والصلاة والصوم ومعرفة الكتاب المقدس وتساؤلات حول مضامينه والغنى والكبرياء والزواج المدني والجنس والاباحية والحب والموت. هذا وقد استغرقَنا موضوع «التعصُّب» طويلًا نظرًا لكثرة التساؤلات التي وردت بشأنه – وهي مؤشّر الى «سخونة» الموضوع في الاوضاع التي يعيشها بلدنا. وقد تطارح الشباب التساؤلات المتفرّعة عنه بحيوية اتسمت أحيانًا بحدّة كشفت عن الصراع الذي يعيشونه، بين التراث الذي نشأوا في كنفه – وهو تراث حركة الشبيبة الأرثوذكسية التي أعلنت، منذ تأسيسها العام ١٩٤٢ على يد فريق من الطلاب الجامعيين، «استنكار التعصّب الطائفي» على أنه أحد مبادئها الأساسية الستة، وترجمت، ولا تزال، هذا المبدأ مواقف وأفعالًا، ونادت، سنة ١٩٧٠، في «وثيقة التزام شؤون الارض»، التي اقرّها مؤتمرها الثاني عشر، بإقامة نظام علمانيّ – وبين التشنّجات التي خلّفتها في محيطنا

الحرب الطائفية التي عصفت بالبلد طيلة خمسة عشر عامًا وأخرجته عن جادّة الصواب .

النمط الذي اعتمدناه في معالجة المواضيع ، من كتابية وغيرها ، لا يقوم على بحث منهجي متكامل لها ، بل على تعاطٍ معها شئناه لصيقًا بما كان يتبادر لدى الشاب من اهتمامات وهواجس وتساؤلات وردّات فعل . ليس هو ، بالتالي ، بحثًا أكاديميًا ، مدرسيًا ، « مُبَكَّلًا » كما نقول بالعامية – أي لا يترك جانبًا من الموضوع إلّا وقد تعرّض له – بل هو بحث انتقائي ، يبرز نقاطًا على حساب أخرى (الى حدّ انه ، في تعاطي مَثَلَ القمح والزؤان ، جنح ، كما يبدو لي وكما سوف يلاحظ القارئ ، عن الخط الأساسيّ لمدلول المَثَلَ) ، ويتلوّن بلون الجماعة الشبابية التي تخوضه ، وأحوالها وظروفها وهمومها وخبراتها وفضولها . ما فقده البحث من جرّاءَ ذلك من تماسك وتكامل ، أرجو أن يكون قد استعاض عنه بما كسبه من حيوية وصدق وأصالة وحرارة وأَلَق ، أشار اليها عنوان الكتاب بتسميته هذه الومَضات المتفرقة ، والتي كانت مع ذلك قوتًا يغتذي به القلب ، كما يقتات الجسد بالخبر ، « فُتات من نور » .

في حلقات هذا الكتاب يمكن للقارئ أن يستمع ، من خلال ما عولج من مواضيع ، إلى اصوات الشباب وصوت المرشد ، متشابكة ، متداخلة. فالشباب تعاطوا المواضيع بتلقائية حرصت على تشجيعها ، اذ كنت أدعوهم الى التفاعل مع ما هو مطروح قبل أن أبدي أنا أية مداخلة ، لا بل كنت ، إذا صدر سؤال أو ملاحظة من أحدهم خلال الاجتماع ، أعمد أحيانًا إلى إحالته الى المجموعة قبل أن أدلي بدلوي في محاولة الإجابة عنه. كنت أفسح المجال لآراء متعارضة أن تتقابل وأرجئ

مداخلتي الى ان يفرغ الشباب من شحذ أذهانهم واستلهام خبراتهم في التعاطي مع الموضوع، فأعود اليه حينذاك بدوري ملتقطًا قدر الامكان كل الخيوط التي بَدَت والتوجّهات التي ظهرت والأسئلة التي بقيت دون إجابة والاعتراضات التي برزت والشكوك التي عُبِّر عنها، كما وروائع الآراء والخبرات التي التمعت أحيانًا، وهي كثيرة. كنت أجتهد في أن تأخذ مداخلتي كل ذلك بالحسبان وأن توليه صادق الاهتمام وأنّ تحمله على محمل الجدّ، كل الجدّ.

من هنا كان حرصي على أن تأتي شهادتي كمرشد، للتراث الإيماني الذي تسلّمناه وأوليت اليّ مسؤولية نقله الى الفرقة، مصوغةً بحيث تكون قادرة على مخاطبة أذهان وقلوب الشباب الذين كنت أتوجّه اليهم وأتوجّه، عبرهم، الى إنسان اليوم الذي إياه يمثّلون، كما صنعته حضارته وأوضاعه. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن إنسان اليوم، بما يتميّز به من مواصفات، ومنها مطالبته بفهم معطيات الإيمان بدل الاكتفاء بتردادها آليًا بعد تلقينه إيّاها، هذا الإنسان ليس بحدّ ذاته أسوأ ممن سبقوه، كما قد يحلو للبعض أن يعتقدوا، بل إنه، مثلهم، لا يتعدى كونه مزيجًا من الأضداد.

لذا حرصتُ، في مداخلاتي، على نقل التراث الإنجيلي متوخيًا التوفيق بين أمانة شئتها كاملة لحدّة مضمونه، وبين التعبير عن هذا المضمون بلغة يألفها الشباب لأنها لغة عصرهم. اجتهدت أن أكشف لهم أن الانجيل، وإن كان يفوق مشاعرنا ومداركنا ويتحدى ما ارتحنا اليه من مواقف ومفاهيم، الا انه ليس غريبًا عن عقل الإنسان وقلبه، في أفضل ما يكوّنهما، وأنه ليس بالتالي رسالة فوقية تتجاهل واقع إنسانيته

وتحاول إخضاعها لقوالب تتنافر مع طبيعتها ، بل هو نداء الى تحقيق هذه الإنسانية فعلاً ، في أصالتها ورحابتها ، بالاستجابة الى توقها المحوريّ الصميم ، وأن الله لا يدعونا الى أن ندير الظهر لحياة هو واهبها ، بل إلى أن نجعل من هذه الحياة سخاءً يتجاوب مع سخائه الفيّاض الذي بفضله تخرج في كل لحظة الى الوجود ، وفرصة لعيش الحبّ الذي به تتوهّج .

من هنا أنني ، إذا كنتُ قد اجتهدت في ان أعتمد لغة العصر (وبالتالي لغة العقل) في مخاطبتي شبانًا تلفّهم أجواؤه وينتسبون اليه ، شاؤوا أو أبوا ، في تركيبتهم الذهنية والشعورية ، فليس ، مع ذلك ، في ما قلته ، أية مجاراة لتلك الدعوة الى السهولة التي هي من سمات عصرنا وسلبياته ومخاطره . فإنني لم أُخفِ على الشباب أنّ الانجيل يبقى ، اليوم كما كان بالأمس ، دربًا بالغ المشقة . هذا هو ، على كلّ ، ما خبروه بأنفسهم في مواجهتهم هذا أو ذاك من المقاطع الإنجيلية ، وعبّرت عند ردّات فعلهم العفوية . ما حاولت أنا أن أبيّنه هو أن تلك المشقة ليست نتيجة نزوة إله همّه أن ينغّص حياة البشر ، إنما هي نابعة من مقتضيات تلك الحياة ذاتها اذا ما رغبت في بلوغ ملء الانتعاش والاكتمال الذي يشاؤه لها ربّها ، وأنها إنما هي ثمن تلك الإنسانية التي يريدها الإنجيل فينا فعلية لا ظاهرية ، والتي لا تزال ، إذا ما نظرنا الى تاريخ البشرية الراهن وما يكتنفه من ظلم وقهر وقسوة واستئثار وبؤس ، مشروعًا لم يتحقق بعد في زمن النزول على القمر والتخطيط لغزو الكواكب . رجائي أن يكون شباب الفرقة قد خبروا ايضًا ، الى جانب مشقة الإنجيل – والشهادات التي أدلى بها بعضهم تومئ الى ذلك – أن ، في قلب تلك المشقة ، يلتمع فرح خفيّ وفريد يعطي الحياة طعمًا وجدوى .

* * *

هذه اللحظات المُميّزة التي عشناها في كنف الرب وحنانه ، سجّلتُها بحبّ ، مستعيدًا ما حملته من نور وتعزية . وها إنني أقدّمها أولًا لأعضاء فرقة « نور الراعي الصالح » على صفحات هذا الكتاب الذي وضعناه بالفعل معًا ، وإن أخذت أنا على نفسي مسؤولية صياغته . أرجو أن تذكّرهم فصوله ، كلّما رغبوا في العودة إليها ، بالمعيّة المباركة التي أعطينا أن نحياها . كما أتمنى أن تكون لهم بمثابة مرجع ساهموا في وضعه ، ويستندون اليه في ممارستهم عملًا ارشاديًّا أطمح لكل واحدٍ وواحدةٍ منهم إلى أن يضطلع به وأن ينقل عبره إلى سواه ما أُتيح له هو من ضياء .

كما أنه يسعدني أن يتاح للخبرة المشتركة التي يعبّر عنها الكتاب ، أن تكون عونًا لكل المرشدين الذين يتجندون ، في حركة الشبيبة الأرثوذكسية وغيرها ، وفي الكنائس المسيحية كافة ، من أجل مساعدة الشباب على اكتشاف بهاء المسيح ، وأن توفّر لكل شابّ وفتاة فرصة لتغذية إيمانه والسير به قُدُمًا في درب الله .

طرابلس – الميناء (لبنان) ، في ٢٥ تموز ٢٠٠٠

ك .ب.

ملاحظة : النصوص الكتابية مستمدّة من طبعة الكتاب المقدّس ، بعهدَيه ، الصادرة عن دار المشرق ، بيروت ، سنة ١٩٩١.

تقديم

رافقتُ فرقة «نور الراعي الصالح» طيلة ثلاثة أعوام. وفي معظم هذه الفترة، التي كانت لها أهمية في حياتي، اعتدتُ أن أسجّل لنفسي، مرّة بعد مرّة، وقبل أن يطويها النسيان، وقائع كل اجتماع تعقده الفرقة بحضوري. هكذا تراكمت عندي الأوراق المكتوبة تسجّل، حبرًا على ورق، لحظات ثمينة من اللقاء الإنساني والسعي المشترك.

ولكي لا تبقى مخفيّة في ملفّاتي، أحببتُ أن أذيع، بعد حصولي على موافقة الفرقة صاحبة العلاقة، وبدءًا من نشرها تباعًا في أعداد نشرة «ينبوع المحبة» التي تكرّمت باستضافتها – وهي نشرة يصدرها شباب فريق المكتبة في فرع الميناء لحركة الشبيبة الأرثوذكسية –، نبذات من هذه الصفحات، راجيًا أن أتمكّن من أن أنقل عبرها، لمن يهمّه من القراء، شيئًا من حلاوة اجتماعاتنا حول كلمة الله، نتعاطى نصّها وامتداداتها الحياتية، مستلهمين الروح الإلهي الذي كان يتلطّف باتّخاذ كلّ واحد وواحدة منا، حتى في تساؤلاته القلقة واعتراضاته وشكوكه، مَعْبَرًا لنوره الى الآخرين، في شركة المحبة التي كانت تجمعنا.

ك.ب.

ألحلقة رقم١

إجتماع السبت ١٥ تمّوز ١٩٩٥

ألموضوع : ما هو التعصّب ؟

تداولت الفرقة هذا السؤال ، الذي اتُّخِذَ مدخلًا الى سلسلة من المواضيع كانت الفرقة تنوي معالجتها وتدور كلها حول « التعصّب الطائفي » .

أبدى المرشد ملاحظة مفادها أنه كثيرًا ما لا يتمّ التمييز ، بما فيه الكفاية ، بين **التمسّك** و **التعصّب** ، حتى أن العبارتين تبدوان للكثيرين مترادفتَيْن ، سواء بقصد الإطراء أو بقصد الذمّ . ودعا الفرقة الى الخوض في هذا التمييز الواجب .

وبعد سعي ، ساهم فيه المرشد ، الى مزيد من الدقة ، عِبرَ إعمال الفكر والتحليل ، تكوّنت لدى الفرقة قناعة بأنّ التعصّب الديني ، بدلًا من أن يكون مرادفًا للإيمان ، إنما هو بالفعل **تشويه لعَيش الايمان** ، لأنه يتميّز بتعالٍ وانغلاق وكراهية حيال المعتقدات الأخرى وأصحابها ، كما يتميّز بتوهّم امتلاك الله واحتكاره ووضع اليد عليه ، وتعليبه إذا صحّ التعبير ، في حين ان الله هو ، بطبيعته ، الكائن الذي لا يحدّ ويستحيل احتواؤه .

أمّا الإيمان الأصيل فهو، على عكس الانحراف التعصّبيّ، يدرك حقّ الإدراك - لا لفظيًا وحسب بل فعليًا وبشكل مَعيوش - أن الله لا يُمتلك، وأن انعكاسات لنوره الفائق تتراءى في مختلف المعتقدات، وإن لم يكن بالدرجة نفسها، وأن كل إنسان، أيًا كان مذهبه، جدير بالحب والاحترام لأنه صورة الله ومحبوبٌ منه.

وقد خُتم البحث بتمييز، بات واضحًا، بين «**التعصّب الطائفيّ**»، الذي هو تعصّب للجماعة الدينية بحد ذاتها بالدرجة الاولى، على حساب ما تدين به (وقد يكون المتعصّب من هذه الفئة، أحيانًا، غير مؤمن فعلًا بمعتقدات جماعته، أو على الأقلّ فاترًا حيال هذه المعتقدات وقليل الممارسة لها)، و «**التعصّب الدينيّ**» الذي يتناول، بالدرجة الاولى، معتقَد الجماعة (ولكنه ضمنًا يقدّم الجماعة على معبودها، اذ يتصرّف وكأنها تحوي هذا المعبود، بدل أن يرى أنه هو الذي يحويها في لا نهائيتّه). وكلاهما بالطبع بعيد عن الإيمان الأصيل.

ألحلقة رقم ٢

إجتماع السبت ٢٢ تمّوز ١٩٩٥

ألموضوع : تعاطي لوقا ١٢:٢٢-٣١

النصّ

« وقال لتلاميذه : لِذَلكَ أقولُ لكم : لا يُهمّكُم لِلعَيْشِ ما تَأْكُلون ، ولا لِلْجَسَدِ ما تَلبَسون ، لأنَّ الحياةَ أعظمُ من الطعام ، والجَسَدَ أعظَمُ من اللِّباس . أُنْظُرُوا إِلى الغِربانِ كيف لا تَزْرَعُ ولا تَحصُد ، وما مِن مَخْزَنٍ لها ولا هُرْيٍ ، واللهُ يَرزُقُها ، وكَم أنتُم أَثْمَنُ من الطيور ! وَمَن مِنكُم يَستَطيعُ ، إذا اهتَمَّ ، أن يُضيفَ الى حَياتِه مِقدار ذراعٍ واحدة؟ فَإذا كُنتُم لا تَستَطيعون ولا الى القَليل سَبيلًا ، فَلماذا تكونونَ في همٍّ مِن سائِرِ الأُمور؟ أُنظُروا إلى الزَّنابِقِ كيفَ لا تَغْزِلُ ولا تَنسُج . أقولُ لكُم إنَّ سُليمانَ في كُلِّ مَجدِه لم يَلْبَسْ مِثْلَ واحدَةٍ منها . فإذا كان العُشبُ في الحَقْل ، وهو يوجَدُ اليَوْمَ ويُطرحُ غدًا في التَّنّور ، يُلْبِسُهُ اللهُ هكذا ، فما أَحْراكُم بأَن يُلْبِسَكُم يا قَليلي الإيمان ؟ فَلا تَطْلبوا أَنتُم ما تَأْكُلونَ أَو ما تَشرَبونَ ولا تكونوا في قَلَق ، فَهذا كُلُّهُ يَسعى إليه وَثَنِيّو هذا العالم ، وأما

أَنتُم فَأَبوكُم يَعلَمُ أنكُم تحتاجونَ إليه . بَل أُطلبُوا مَلكوتَهُ تُزادوا ذلك » .

* * *

تعاطت الفرقة هذا المقطع الإنجيلي الذي اختارته وقدّمت له مارينا . وقد اتضح ، مما دار من حوار ، أن يسوع لا يدعونا هنا الى إهمال السعي الى كسب معيشتنا ، إنما يحذّرنا من الانهماك في سعي الى التَرف لا يرتوي ، يحوّلنا عن الحاجة الأساسيّة ، التي هي عيشُ المحبة ، تلك المحبة التي بدونها نكون فارغين وتافهين ولو امتلكنا الدنيا وغِناها وملذّاتها ووجاهتها .

وقد سأل إيلي وحبيب عن إمكانية عيش هذا المقطع في ظروفنا اليوم . فأجاب المرشد إن الربّ لم يُخفِ عنا أنّ رسالته درب عسير : « أدخلوا من الباب الضيّق » (متى ١٣،٧) ، إنما أضاف أنه يطالبنا باتّباع هذه الرسالة ، ليس من باب التعجيز ، بل لأن السير بموجبها ، على مشقّته ، شرط لا غنَى عنه لبلوغ « الحياة » (« ما أضيق الباب وأحرَجَ الطريق المؤدّي الى الحياة » : متى ١٤:٧) ، أي لنصبح بشرًا بكل ما للكلمة من معنى ، لا اشباه بشر كما يصبح الكثيرون بسبب استهتارهم ، وكما قد نصبح نحن إذا انقدنا إلى السهولة وهجرنا الدرب العسير الموصل إلى الحياة الحقّة .

وأشار المرشد الى العقبات التي يقيمها في وجهنا مجتمع الاستهلاك الحاضر (ولا بدّ أنه كان وراء سؤال إيلي وحبيب عن « ظروفنا اليوم ») ، بإغرائه المتواصل لنا بالسعي اللاهث وراء السِّلَع ،

موهمًا إيانا بأننا بدونها لسنا بشيء وعلى هامش الحياة، وبأننا نوجَد على قدر امتلاكنا إيَّاها. وكثيرًا ما نندفع بطيش وراء هذا السراب الذي يلمّعه امامنا إعلان مدروس، فلا نجد، في آخر المطاف، سوى الخيبة والفراغ، لأن الإنسان، فقط اذا أحبّ، يوجد فعلًا. ولكننا، بدل أن نتعلّم من خيبتنا، نستميت في تناسيها بمزيد من الاندفاع اللاهث وراء الأشياء التي يفتننا بريقها الخادع ويُسكت فينا كل حسّ نقديّ وكل رؤية أصيلة لمعنى الوجود.

وأضاف المرشد إن يسوع، في مقطع اليوم، أوضح لنا كيف نواجه الصعوبة. فالإنسان يتشبّث بِمتَع الأرض وخيراتها تشبّث الغريق بخشبة عائمة يجدها، مدفوعًا بخوفه من الحياة اذ يراها غير مأمونة، مكتنفة بالمخاطر والمجهول، يتهددها الموت في كل لحظة ويشكّل أفقها المحتوم، فيرتمي بِنَهَم على مباهج الدنيا آملًا أن يخدّر بها قلقه المضني. أما يسوع فيريد أن يحمينا من هذا القلق بالذات: «لا تكونوا في قلق» (لوقا ١٢: ٣٠). لذا فهو يذكّرنا بما طالما ننساه، وهو أن الحياة نفسها أعظم من أسباب المعيشة التي نختزلها بها ونتهافت على امتلاكها وكأننا بذلك نتملك الحياة ونتحكّم بها، في حين أنها، في آخر المطاف، هبة مجانية تأتينا من فوق: «لِأنّ الحياة أعظمُ من الطعام، والجسد أعظمُ من اللباس» (لوقا ١٢: ٢٣). ويقصد يسوع، من وراء ذلك، أن يلفتنا إلى أنه، في النهاية، لسنا نحن الذين نعطي الحياة لأنفسنا، إنما الله هو مانحنا إيّاها، في كل لحظة، هبة حب سخية وفائقة الثمن منه،

وأن لا داعي للخوف اذًا لأننا لسنا مرميّين عشوائيًا في الوجود، كما قد نتصوّر، بل دائمو الاتصال بخالق الوجود، متجذّرون في ربّ الاكوان، ومحبوبون منه حبًا لا نجرؤ حتى على تخيّله لأنه يفوق بما لا يقاس الحب الذي نحمله لأنفسنا: «بل شعر رؤوسكم نفسه معدود بأكمله .لا تخافوا...» (لوقا ١٢:٧).

ألحلقة رقم ٣

إجتماع السبت ٢٩ تمّوز ١٩٩٥

ألموضوع : « علاقة التعصّب ببعض المفاهيم القريبة »

تداولت الفرقة القسم الثاني من موضوع « التعصّب الطائفي » الذي واصلت السير في معالجته ، فتطرّقت الى « علاقة التعصّب ببعض المفاهيم القريبة » ، وتفرع بحثنا فيه إلى عنوانين على التوالي : « التعصّب والعصبيّة » ثم « التعصّب والأصولية ».

١- « ألتعصّب والعصبية »

خلصنا إلى أن « العصبية » هي الترابط والتضامن اللذان يشدّان بعضهم الى بعض أعضاء المجموعة الواحدة (القبيلة مثلاً) بغية حماية مصالحهم المشتركة . وهي ظاهرة طبيعية بحدّ ذاتها ، ضروريّة لاستمرار الحياة في وجه العوائق التي تواجهها .

أما اذا اتخذ هذا الترابط شكل الانغلاق في وجه المجموعات الأخرى ، والرفض لها ، والموقف العدائي المبدئي حيالها لمجرّد كونها مختلفة ومتمايزة ، فإنه يتحوّل في هذه الحال الى « تعصّب ».

٢- « ألتعصّب والأصوليّة »

خلصنا الى أن « الأصوليّة » هي **قراءَة ضيّقة وجامدة للدين**، تحنّطه وتجْترّه اجترارًا، وترفض اعتباره كيانًا حيًّا متواصل التراث ولكنه، بآن معًا، دائم التجدّد وفقًا لتطوّر الحياة المستمرّ وما يرافقه من تبدّل في أوضاعها وظروفها وحاجاتها.

رأينا ايضًا أن الأصوليّة كثيرًا ما تكون **مقرونة بكراهية** – قد تذهب الى حدّ القتل او إرادة القتل على الأقلّ – لمن لا يشاركها قراءَتها الضيّقة للتراث وقولبتها الجامدة لفحواه، حتى ولو كان ينتمي الى الدين نفسه.

ولاحظنا أن الأصولية لا تقتصر على الإسلام، كما يُظنّ ويشيّع (علمًا بأنها ليست سوى تيار من تياراته)، بل هي موجودة وفاعلة في أديان أخرى كالمسيحية (بسائر فروعها، ومنها الأرثوذكسية) واليهودية والهندوسيّة، وأنها، بالتالي، خطر يهدّد بإفساد كل دين وتحويله عن وجهته الاصيلة (من هذه الناحية « الأصولية » هي نقيض « الأصالة »)، لا بل يهدّد بتشويه أيّ مذهب فكريّ (فالعلمويّة scientisme مثلًا، وهي نظرة ضيّقة إلى العلم تنفي كل رؤية سواه الى الوجود، والتي سادت فترة ولا تزال تستهوي كثيرين، إنما هي نمط من الأصولية الفكرية؛ وكذلك هي حال العلمانوية Laïcisme، وهي انحراف للعلمانية Laïcité يعادي الدين مبدئيًا بحجة مقاومة طغيانه في المجتمع).

أما الأصولية الدينية ، فقد رأينا أن معاني التعصّب تتمثّل فيها ، من حيث انها **تحجّم الله** ، مدّعية امتلاكه والاستئثار به ، وقولبته على قياس البشر ومحدوديتهم التي يذكيها ، في كثير من الاحوال ، قصر النظر وضيق الأفق وانكماش القلب ؛ وأنها ، بالتالي ، شأنها شأن التعصّب ، وأيّا كان إخلاص نوايا الذين يدينون بها ، **كُفر حقيقيّ بالله يتستّر بزيّ الدين** .

ألحلقة رقم ٤

إجتماع السبت ٥ آب ١٩٩٥

ألموضوع : تعاطي متّى ٥:٤٣–٤٨

النصّ

« سَمِعتُم أنّه قيل : « أَحْبِبْ قَريبَكَ وأَبْغِضْ عَدوَّك » . أَمّا أَنا فَأَقولُ لَكُمْ : أَحِبُّوا أَعْداءَكُمْ وصَلّوا من أجلِ مُضطهِدِيكم ، لِتَصيروا بَنِي أبيكُم الذي في السَّمَوات ، لأَنَّهُ يُطلِع شَمسَه على الأَشْرارِ والأَخيار ، ويُنْزِلُ المَطرَ على الأَبْرارِ والفُجّار . فَإِن أَحْبَبْتُم مَن يُحِبُّكم ، فأَيُّ أَجرٍ لَكُم ؟ أَوَ لَيسَ العَشّارون يَفعلونَ ذلك ؟ وإِنْ سَلَّمتُم على إِخوانِكم وحدَهم ، فأَيَّ زِيادةٍ فَعَلتُم ؟ أَوَليسَ الوَثَنِيّونَ يَفعَلونَ ذلك ؟ فكونوا أَنتُمْ كامِلين ، كما أَنَّ أباكُمُ السماويَّ كامل» .

* * *

أَعدّ النصّ حبيب وكاتي . قدّم حبيب للمقطع ، مُبَيِّنًا جِدّة تعليم يسوع عن محبة الأعداء بالنسبة الى التعاليم اليهودية .

أُثير موضوع صعوبة وصية محبة الأعداء ، فذكّرت كاتي بأن

المسيحية درب عسير، وأوضح المرشد طبيعة محبة الأعداء رفعًا لكل التباس. قال إنها لا تعني الإذعان للمعتدي، ولا تتعارض مع مقاومة شرّه (فالمسيح كان مقاوِمًا حتى الموت في سبيل الحقّ) ولكنها تقضي بأن نميّز الإنسان الشّرير عمّا يرتكبه من شرّ، وأن ندرك أنّه، خلافًا للظاهر، أعظم من الشرّ الذي يقترفه والذي قد يبدو لنا خطأً مختزلًا لهويته، ذلك لأن صورة الله مطبوعة فيه، شاء ام أبى، ونداءَها الخيّر لا يزال يتصاعد من أعماقه، وإن أسكته. هذا ما يجعلنا نراهن على جذوة الخير الدفينة والمحجوبة فيه (كالنار الكامنة تحت الرماد)، ونسعى عِبرَ مقاومتنا شرَّه، إلى تحريره من هذا الشرّ، الذي لا يؤذينا نحن وسوانا فحسب، بل يعطّل ايضًا، وقبل كل شيء، إنسانيته هو بالذات، مشوِّهًا هويّته الحقيقية.

أوضح المرشد أن هذا الموقف العسير الذي دُعِينا اليه، موقف التمييز بين الشرّير وشرّه، يصبح ممكنًا، حسب النصّ، اذا تماهينا، عبر إلفتنا مع يسوع وتقبّلنا فعلَ الروح القدس الذي يصوّره أبدًا فينا، أخلاق أبينا السماوي الذي يعامل حتى الأشرار بالخير، «لأنه يُطلع شمسَه على الأشرار والأخيار، ويُنزل المطر على الأبرار والفجّار» (متّى ٥:٤٥).

هذا وقد طُرح سؤال عن موقف الجنديّ، اذا وَجَد نفسه في حرب يُقتَل فيها إن لم يَقتُل. فكانت مناسبة لإلقاء أضواء على موضوع احتمال شكلَين من النضال: النضال العنفيّ من جهة

(الذي هو المألوف ، والذي ، ولو اتّضح ، في ظرفٍ ما ، انه شرٌ لا بدّ منه لتفادي شرٍّ أعظم ، ينبغي أن يخاض بدون حقد على الخصم وسعي الى تدميره) ، والنضال اللاعنفيّ ، من جهة أخرى ، الذي يشقّ طريقه في أيامنا ، ويثبت فعّاليته ، ويؤكّد جاذبيته بعد أن تعاظمت بشكل مرعب طاقة التدمير في الحروب .

سُئل أيضًا عن « الكمال » ، انطلاقًا من الآية الأخيرة في هذا المقطع : « فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم السماوي كامل » (متّى ٥:٤٨) . فأوضح المرشد أن « الكمال » درب لا ينتهي ، صيرورة متواصلة ، وأنه مفتوح لكل انسان ، أيًّا كان معتقده ، شرط أن يكون مخلصًا للإنسانية التي فيه ، والتي هي على صورة الآب السماوي الكامل ، ومحرَّكة ابدًا بـ « مثال » الاقتداء بكماله .

ألحلقة رقم ٥

إجتماع الخميس ٢٤ آب ١٩٩٥

ألموضوع: « ما هي العلاقة بين التعصّب والطائفية السياسية؟ »

بدأنا بتحديد مفهوم « الطائفية السياسية »، فعرّفنا بها على أنها إضفاء كيان سياسيّ على الطوائف، ما يحوّلها إلى نوع من الدويلات تتقاسم الحكم. وقد اتّضح لنا أن ذلك يؤول الى تقوقع الطوائف، كلّ واحدة على ذاتها ومصالحها، وبالتالي الى تمزيق وحدة الشعب، وإضعاف الشعور بالصالح العامّ، وإشاعة روح التنافر بين الطوائف والتسابق بينها على الهيمنة والمغانم، فيتحوّل البلد الى أشبه ما يكون بقطعة جبن تتناهشها الطوائف، وهو تنافس أدّى، عِبرَ الحرب اللبنانية، الى خراب البلد، والى ما سمّاه أحد الكتّاب « رقصة الطوائف على أشلاء لبنان » (الياس خوري)، علمًا بأن هذا الخراب تمّ على رؤوس الجميع الذين تأذّوا منه كلّهم، إلى أيّة طائفة انتموا، إن لم يكن إلّا من جرّاء الأزمة الاقتصادية الخانقة التي خلّفتها الحرب ولا نزال نعاني منها الى الآن.

وقد أبرز المرشد مسؤولية المسيحيين الذين أقيموا قيّمين على هذا

البلد منذ الانتداب ، فكان بوسعهم ، لو أرادوا ، أن يحوّلوه ، بوحي من إنجيلهم، الى وطن أخويّ ، يتساوى فيه الجميع ، الى أيّ مذهب انتموا ، بالحقوق والواجبات ، ويُعمل فيه على تنمية كل المناطق دون تمييز بين انتماء سكّانها الطائفيّ ، فيتعلّق المسلمون ، من جرّاء ذلك ، بالبلد ، ويُخلصون له ، إذ يشعرون بأنّهم يعامَلون فيه معاملة مواطنين بكل معنى الكلمة ، ويصبح هذا الوطن ، بديمقراطيّته الفعلية هذه ، رائدًا ومنارة للمنطقة كلّها . فبدل ذلك اختاروا ، للأسف ، بوحي من خوف مقيم لم يتخطّه إيمانهم، طريق الهيمنة ، على مثال ما رأوه حولهم ، فابتعدوا بذلك عن روح الإنجيل ، مبرّر وجودهم وصانع هويّتهم ، ولم يتحسّسوا للتغيير الذي كان محتومًا أن يحصل ، مع مرور الزمن ، وبفعل التوالد ، في النسبة العدديّة لفئات السكّان . فلمّا حصل هذا التغيير ، كان لا بدّ أن تتزعزع هيمنتهم ، وان يندفع سواهم ، محمولين بالظروف الدراماتيكية التي عاشتها المنطقة ، الى المطالبة بالهيمنة بدورهم ، تحت ستار « إلغاء الطائفية السياسية » ، وبحجّة « الديمقراطية العددية » .

ألحلقة رقم ٦

إجتماع الخميس ٣١ آب ١٩٩٥

ألموضوع: تعاطي مرقس ١٠: ٣٥-٤٥

ألنصّ

« وَدَنا إلَيه يَعقوبُ ويوحنّا ابنا زَبَدى، فَقالا لَهُ: « يا مُعَلِّم، نُريدُ أَن تَصنَعَ لنا ما نَسأَلُكَ ». فَقالَ لَهُما: « ماذا تُريدان أَن أَصنَعَ لكُما ؟» قالا لَهُ: « إمْنحنا أَنْ يَجْلِسَ أَحَدُنا عن يَمينك، والآخَر عَن شمالِكَ في مَجْدِك ». فقَالَ لَهما يسوع: « إنكُما لا تَعلَمانِ ما تَسألان. أَتستَطيعانِ أَن تَشرَبا الكأسَ التي سأَشرَبُها، أو تَقبلا المَعمودِيَّةَ التي سَأُقبَلُها ؟ » فَقالا له: « نَستَطيع ». فقال لَهُما يسوع: « إنَّ الكأسَ التي أشرَبُها سوف تَشرَبانِها، والمَعمودِيَّةَ التي أَقبَلُها سَوفَ تَقبَلانِها. وأمّا الجُلوسُ عَن يَميني أَو شِمالي، فلَيسَ لي أن أَمنَحَهُ، وإنّما هو لِلَّذين أُعِدَّ لَهُم ».

فَلَمّا سَمِعَ العَشَرةُ ذلك الكلامَ استاؤوا مِن يَعقوبَ ويوحنّا، فَدعاهُم يسوع وقالَ لَهُمْ: « تَعلمونَ أَنَّ الذينَ يُعَدّونَ رؤساءَ الأُمَمِ يَسودونها، وأنَّ أَكابِرَها يَتَسلَّطونَ عَلَيها.

فَلَيسَ الأَمرُ فيكُم كَذَلِكَ. بَلْ مَنْ أَرادَ أَن يكونَ كَبيرًا فيكُم، فليكُن لكُم خادِمًا، ومَن أرادَ أن يكونَ الأوَّلَ فيكُم، فَلْيَكن لِأَجمَعكُم عَبدًا. لِأَنَّ ابنَ الإنسانِ لَم يَأتِ لِيُخدَمَ، بَل لِيَخدُم ويَفْدي بِنَفسِهِ جَماعَةَ النَّاس.»

* * *

أَعدّت رُلى ح. النصّ. تعاطته الفرقة، فاتّضح من تعاطيها هذا، بمساهمة المرشد، أن التديّن الصحيح ليس استعلاءً بل خدمة، وأن العظمة الحقيقية ليست لمن يسود الناس ويسخّرهم ويسلب حياتهم، تحقيقًا لأغراضه الذاتية، بل لمن يسكب نفسه أمامهم بغية إحيائهم. فمن يتصرف على هذا النحو يصبح، على مثال الله، «معطي حياة»، وبذلك يغدو «كبيرًا» بالفعل من جرّاء عطائه المحيي، و«أولًا» بالفعل من جرّاء محبته المنعشة.

وقد تبيّن أن دعوة المسيح الى اعتماد هذا النمط من السلوك، انما هي في تصادم حادّ مع النزعة الى الهيمنة والسؤدد التي كثيرًا ما تعطّل إنسانيتنا، وأن المسيح يتطلّب منّا، تاليًا، تحوّلًا عسيرًا، انقلابًا، عزّ على الرسل أنفسهم مع أنهم كانوا أُلَفاء المعلّم، كما يتّضح من تخاصمهم على المراكز القياديّة في هذا المقطع الإنجيليّ.

هذا وقد برزت العلاقة بين هذا النصّ وبين الموضوع الذي تتابع الفرقة معالجته، وهو التعصّب. ذلك أننا، نحن المسيحيين، لا نزال نحنّ، بشكل أو آخر، الى السيادة والمراكز، في حين أن هويّتنا

المسيحية لا تتحقّق فعلًا الا اذا تجنّدنا، قبل كل شيء، لتنمية البلد بسائر فئاته ومناطقه، بدل التركيز على مكانتنا فيه ومصالحنا الفئوية، وذلك عملًا بمثال السيّد الذي قال عن نفسه: «إنّ ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَمَ بل ليَخدُم» (مرقس ١٠:٤٥).

سُئِل: كيف يمكن تخطّي الموقف الراهن المنحرف، الذي أشرنا اليه، لدى المسيحيين؟ فأجيب بأنّ ذلك يتمّ بالاهتداء الى المسيح فعلًا لا قولًا، بحيث يصبح فكره فكرنا وقلبه قلبنا، وبأنّ ذلك الاهتداء يمرّ بجماعات على شاكلة فرقتنا، يتعاون أفرادها على التحوّل الى المسيح يومًا بعد يوم، بحيث يصبحون خميرة لـ «تنصير النصارى» الذي اتخذته حركة الشبيبة الأرثوذكسية هدفًا لها عند تأسيسها، ومِدماكًا في بناء عالم أكثر إنسانية من عالمنا الحاضر الذي يسوده تفاوت رهيب بين البشر (ذُكِرت بعض الأرقام بهذا الصدد، منها أنّ خمس البشرية يستأثرون بأربعة أخماس خيرات الأرض، على حساب السّواد الأعظم من الناس وخصوصًا أكثرهم بؤسًا). أما وسائل الاعلام، وقد تطرّق الحديث اليها، فصحيح أنها غالبًا ما تبرز الشرور، ولكنها لا تستطيع أن تتجاهل روّادًا عظامًا للمحبة، أمثال Abbé Pierre والأمّ تيريزا.

ألحلقة رقم ٧

إجتماع الخميس ١٤ أيلول ١٩٩٥

ألموضوع : « هل إِنَّ أحد أسباب التعصّب هو رجال الدين ؟ وهل لهم مصلحة فيه ؟ »

تداولت الفرقة هذا السؤال في سياق معالجتها موضوعَ التعصّب . وقد تبيّن ، من تبادل الأفكار ، أن رجال الدين قد يغذّون التعصّب ، خصوصًا في ظلّ نظام سياسيّ يشجّعه ، كما هي الحال في نظامنا اللبناني الطائفي . ولكنه اتضح بالمقابل أن هناك رجال دين يسلكون على نقيض التعصّب ، وقد ذُكرت عدة أمثلة على ذلك :

- سلوك الأب غريغوريوس موسى ، راعي رعية الميناء الأرثوذكسية ، الذي عمل من أجل الوئام الأهلي في أيام هيمنة أصوليّي « التوحيد » في طرابلس والميناء (١٩٨٤-١٩٨٥).

- كذلك ، وفي الفترة نفسها ، سلوك الإمام المربّي الذائع الصيت ، الشيخ أنور بكري ، زميل وصديق مرشد الفرقة ، الذي لم يَهَب التعرّض لانتقام متعصبيّ دينه ، بدعوته الجريئة ، من على منبر مسجده ، الى التسامح والإخاء .

● ونقل المرشد شهادة عن رجل دين جزائري مسلم منفتح، رواها الاب غي جيلبير، وهو كاهن كاثوليكي كرّس حياته لخدمة رائعة قدّمها، باسم المسيح، للشباب المشرَّدين والجانحين في فرنسا. هذا الكاهن، وهو من مواليد ١٩٣٥، أمضى في الجزائر ثلاث عشرة سنة تعرّف جيّدًا خلالها على ذلك البلد وتعلّم لغته. في أحد الكتب الذائعة الشهرة التي ينقل فيها خبرته، روى من ذكرياته الجزائرية ما يلي(*): كان يخيّم مع فريق من الشباب في إحدى غابات الأرز في غرب الجزائر، لما التقوا برجل دين مسلم. فتوجّه أحد شبان الفريق، وكان مسلمًا، الى رجل الدين هذا، وقال له، من باب «تبييض الوجه» على الأرجح:

«هذا الكاهن المسيحي لن يدخل الجنّة. فهو كافر لا يؤمن بإلهنا». ولكن الإمام سارع إلى إسكاته بقوله مؤنّبًا:

«بل إنك أنت الآن من يتعرّض لخطر عدم دخول الجنّة، لأنك تسمح لنفسك باتخاذ القرار عن الله جلّ جلاله. تُبْ اذًا على ما بدر منك، ولا تَدِنْ أحَدًا في ما بعد».

● كما نقل المرشد أيضًا قصّة واقعية رواها كاتب فرنسيّ في كتاب وثائقي له عن الحرب اللبنانية(*)، مفادها أنه، أثناء «حرب السنتين» (١٩٧٥-١٩٧٦)، في مكان ما في

* Guy GILBERT: Aventurier de l'amour (1986), Le Livre de Poche, Paris, 1988, pp. 54-55.

* in Thierry DESJARDINS: Le Martyre du Liban, Editions Plon, Paris, 1976.

لبنان ، كان مقاتل جريح مسلم يحاول الخلاص بنفسه بعد أن فرّ من ساحة إحدى المعارك الطائفيّة ، مُثخَنًا بالجراح ومطاردًا من خصومه . جرّ الرجل نفسه إلى أن وصل إلى مستشفى كان واقعًا في منطقة مسيحية ، فدخله وتقدّم من إحدى الراهبات طالبًا النجدة . فتقبلته هذه على أنه إنسان جريح ، غير حافلة بمعرفتها أنه مسلم ، وأدخلته إلى غرفة العمليات بعد أن سحبت منه بطاقة هويته ، فباشر الأطباء بإسعافه . واذا بالمطاردين يصلون بدورهم الى المستشفى ، وقد اقتفوا آثار الجريح . قابلوا الراهبة التي استقبلته وسألوها عن اسم الرجل . فاخترعت اسمًا مسيحيًا ادّعت بأنه يُدعى به . لم يصدّقوها وطلبوا الاطّلاع على بطاقة هويته . وبما أنه لم يكن بمقدورها أن تبرزها لهم ، اقتحموا المستشفى وسحبوا الجريح من على طاولة العمليات وأجهزوا عليه . بعدئذ سألوا الراهبة : والآن ، أما تقولين لنا اسمه الحقيقي ؟ فصفعتهم بإجابتها : « إسمه يسوع المسيح » . وكان بالفعل يُدعى « علي » .

واستخلص المرشد أنه لا يمكن اذًا ، من هذه الناحية ، وضع رجال الدين كلّهم في خانة واحدة ، إذ يختلف سلوكهم وفقًا لنوعية تديّنهم وإنسانيتهم . ما يمكن ان يقال هو أن بعض رجال الدين قد يجدون **مصلحتهم الشخصية** (من حيث بناء زعامة رخيصة مثلًا ، أو توطيد نفوذهم) ، عن طريق التلاعب بأهواء الجماهير وتجييشها في سبيل إشباع مطامعهم وغرورهم ، ولكن ذلك ، حكمًا ، **ليس لمصلحة الدين** ، ومن ثم ليس لمصلحتهم هم ، على قدر ما قد شاؤوا أنفسهم خدّامًا للدين وليس مستغلّين له ،

وذلك للسبب البسيط الذي سبق أن أوضحناه، وهو أن التعصّب انما هو تعطيل لأصالة الدين، وكفر فعليّ به بحجّة التمادي في الولاء له. من هذه الناحية يكون رجال الدين الذين يذكون التعصّب، أعداء مصلحة الرسالة التي تبرّر وجودهم وتضفي عليهم صفتهم المميّزة. رجال الدين الذين يشجّعون التعصّب يدمّرون حقيقة الدين الذي لخدمته أُقيموا، ولو أَبقُوا على أشكاله، وحتى ولو عزّزوها في الظاهر.

وتطرّق الحديث أيضًا إلى **دور البيئة في التعصّب**، فتبيَّنَ أن العزلة الجغرافية والمعنويّة تغذّيه (لأن «الانسان عدوّ ما يجهله»). من هنا أن الفرز السكّانيّ على أساس طائفي، الذي نتج عن الحرب اللبنانية وعمّا حصل فيها من شبه «تطهير عرقيّ»، قد أذكى التعصّب بشكل مأسَوِيّ. أما التواجد بين الطوائف، فإنه قد يثير التعصّب إذا ساده جوّ مشحون بالحذر والخوف والعداء، ولكنه قد يؤول (كما بيّنت رُلى أ. في عرضها خبرةَ المساكَنَة، في حَيّها، بين مسيحيين ومسلمين) الى التعارف والتفاعل والتفاهم والتعاون.

ألحلقة رقم ٨

إجتماع الخميس ٥ تشرين الاوّل ١٩٩٥

ألموضوع : تعاطي لوقا ٧:١٨–٢٣

ألنصّ

« وأَخْبَرَ يوحنَّا تلاميذُه بهذه الأَمورِ كُلِّها ، فَدَعا اثنَيْن من تلاميذِه وأَرسَلَهُما إلى الربِّ يَسأَلُهُ : «أَأَنتَ الآتي أم آخرَ نَنْتَظِر ؟» فَلَمَّا وَصَلَ الرَّجُلانِ إلي يسوعَ قالا لَهُ : « إنَّ يوحَنَّا المعمَدانَ أَوفَدَنا إليكَ يَسأَل : أَأَنتَ الآتي أم آخَرَ نَنْتَظِر ؟»

في تِلكَ السَّاعَة شَفى أُناسًا كَثيرين مِنَ الأَمراضِ والعِلَلِ والأَرواحِ الخَبيثَةِ ، وَوَهَبَ البَصَرَ لِكثيرٍ من العُميان ، ثم أَجابَهما : « إذهَبا فأخبِرا يوحَنَّا بِما سَمِعتُما ورَأَيتُما : العُميانُ يُبصرون ، العُرجُ يَمْشُون مَشيًا سَوِيًّا ، البُرصُ يُبرَأُون والصُمُّ يَسمعون ، ألموتى يَقومون ، ألفُقَراءُ يُبَشَّرون . وطوبى لَمَن لا أكونُ لَهُ حَجَرَ عَثَرة » .

* * *

إختارت أنجليك النصّ . تعاطته الفرقة ، فتركّز الحديث حول

سؤال طرحه أحد الأعضاء عن سبب إرسال المعمدان رسولَين الى يسوع يسألانه عن هويته . أُبديت محاولات أجوبة عن هذا السؤال وأدلى المرشد برأيه . قال إن المعمدان تعجّب لأنه لم يشاهد في يسوع ذلك الحضور الساحق الذي كان يتوقّعه من المسيح المنتظَر ، شأنه في ذلك شأن أغلبية يهود ذلك العهد . فأجاب يسوع عن تساؤله وشكّه ، مبديًا أن المواصفات التي رسمها الأنبياء عن مجيء المسيح ، قد تحقّقت بالفعل في أعماله هو : « إِذهبا فأخبِرا يوحنّا بما سمعتما ورأيتما : فإنّ العُميانَ يُبصرون ، ألعُرجُ يمشون مشيًا سويًّا ، ألبُرص يُبرَأُون والصمّ يسمعون ، ألموتى يقومون ، ألفقراء يُبَشَّرون » (لوقا ٨،٢٢) ، أي إِنّ ظهور المسيح ، كما أراده الله وتحقق في يسوع ، يحمل للبشر رحمة وحنانًا ، لا هولًا ورعبًا كما كان يوحنا وغيره من الأتقياء يتصوّرون عن حسن نية وبدافع من غِيرَتهم .

وتوقّف المرشد عند عبارة « والفقراء يُبَشَّرون » ، فأَوضح أن الأصحّ ، اذا عُدنا الى النصّ اليونانيّ الأصلي ، هو « والفقراء تُحمَل إليهم البُشرى » . والبُشرى المقصودة هنا إنما هي بشرى تحريرهم من الفقر الذي يَنوءُون تحته ، بمجيء يسوع وتدشينه ملكوت الله في الأرض ، وذلك لأن تلاميذه سوف تحملهم روح المعلم الى المشاركة في ما بينهم في الخيرات ، بحيث لا يبقى بينهم مُعْوَز ، وهذا ما تحقّق في الجماعة المسيحية الأولى كما يصفها كتاب أعمال الرسل الذي كتبه لوقا الإنجيلي نفسه : « ... لم يكن فيهم محتاج ، بل كان كلّ من يملك الحقول أو البيوت يبيعها ، ويأتي بثمن المبيع ،

فيلقيه عند أقدام الرسل، فيُعطى كل منهم على قدر احتياجه» (أعمال ٤: ٣٤-٣٥).

أضاف المرشد: إنّ استمرار الفقر، لا بل ازدياده، في الأرض، علامة مأسَوِيّة على أن المسيحيين لم يأخذوا رسالة السيّد على محمل الجدّ، وإن هذا دينونة لنا جميعًا لأننا، وقد أؤتُمِنّا على الخلاص، نتصرّف وكأنه لم يأتِ، إذ نعطّل، بأعمالنا أو بإِحجامنا، علامة بارزة من علامات مجيئه ليجدّد وجه الأرض.

ألحلقة رقم ٩

إجتماع الخميس ٢٦ تشرين الأوّل ١٩٩٥

ألموضوع: «هل التعمّق في دين معيَّن يؤدّي الى التعصُّب الطائفي ؟»

في سياق معالجتها موضوع التعصّب، تطرّقت الفرقة الى هذا السؤال المتفرّع منه. قدّم كل من فؤاد وفادي ورُلى ح. ولينا (وهي عضوة سابقة في الفرقة حضرت الاجتماع) مداخلات حوله. كذلك فعلت ليليت، وهي مرشدة سابقة للفرقة أضافت الاجتماع في بيتها بناء على طلب الفرقة. واختتم المرشد هذا الحوار بخلاصة انطلق فيها من ملاحظات فادي وأنهاها ملمّحًا الى مداخلة لينا.

فبعد أن ذكَّرَ بتحديد التعصّب، كما توضّح في الاجتماعات السابقة، على أنه «انغلاق» (كما ذكر فادي)، ومحاولة لتملّك الله واحتكاره، وتنكّر لكل خير وحقّ عند من لا يشاركني المعتقد، قال إن هناك «تعمّقًا» في الدين ينطلق من اعتبار هذا الأخير، بشكلٍ واعٍ او غير واعٍ، وسيلة وذريعة لتعظيم نفسي وجماعتي، بحيث لا يبقى الله إلهًا إلّا «بالاسم» وتنتقل الألوهة، في الواقع المعيوش، إليّ وإلى كتلتي اللذين ينصبهما التعصّب صنمًا أتعبّد له

بالفعل بحجة التعمّق في عبادة الله والتوغّل في معرفته والتمادي في إطاعة أوامره. هذا النمط من «التعمّق» لا يؤول بالفعل إلى سوى تعميق غربتي عن الله (مع توهّم التقرّب منه) وكذلك غربتي عن إخوتي المختلفين عني بالانتماء الديني.

بالمقابل، أضاف المرشد، هناك «تعمّق»، حقيقي هذه المرة وليس مزيّفًا كالسابق، به أتجاوز ما كُتب عن الله - على أهميته الفائقة - إلى الله نفسه الذي يفوق كل كلام عليه، وأسعى إلى إقامة الصلة به، على أنه كائن أعظم وأرحب مني، ومن معتقدي مهما سما، ومن جماعتي مهما صدقت، كائن لا يسعني أن أتملّكه أو أحتكره بحال من الأحوال، اذ لا أملك إلّا دوام السعي اليه وتلقّي كشوفاته التي لا تنتهي. هذا التعمّق الصحيح يؤهّلني لاكتشاف ما يلقيه الله من نور وحقّ وجمال في المعتقدات الأخرى (رغم ما أجده فيها من شوائب)، وفي الناس الذين يعتنقونها، فانفتح باهتمام إليهم وإليها، وأتعلّم أن أرى أخطاء جماعتي، وأن أدرك فعلًا - لا ذهنيًا فحسب - أنها ليست هي الحقّ وإن كانت مؤتمنة عليه.

وقد ذكر المرشد مثلين على هذا التعمّق الاصيل المنفتح:

● أحدهما هو مثل الأمير عبد القادر الجزائري المسلم، الذي، بعد أن خاض كفاحًا بطوليًا ضد الاستعمار الفرنسي لبلده، انصرف، في منفاه، إلى التصوّف، أي الى السعي الحثيث للقاء الله. وفي تلك الحقبة بالذات، استقبل وحَمى،

في مقرّه في دمشق، المسيحيين الذين تعرّضوا للمذابح الطائفية في تلك المدينة سنة ١٨٦٠(*).

● أما المثل الثاني فهو مثل الطبيب والفيلسوف وعالم الدين، اليهودي، يِشَعياهو ليبوفيتز، الذي رحل في أوائل التسعينات عن ٩١ عامًا، والذي، مع كونه صهيونيّ المعتَقَد، ناضل بجرأة وشدّة ضدّ احتلال اسرائيل الضفّة الغربية وقطاع غزّة بعد حرب حزيران ١٩٦٧، وذهب الى حدّ دعوة الجنود الإسرائليين الى رفض الخدمة في تلك الأراضي التي كان يرى، في ضوء إيمانه الحيّ العميق بالله، أن إسرائيل فقدت، باغتصابها، روحَها(**).

إختتم المرشد مداخلته بصورتين:

● صورة استلهمها من القديس دوروثيوس الذي ترهّب

---

* راجع:

Spiritualités sans frontières: Abd el-Kader, dossier conçu et réalisé par Jean MOUTTAPA, L'ACTUALITÉ RELIGIEUSE, Paris, n° 163, février 1998, pp. 40-42.

** راجع:

* Micheline PAUNET: "La Mauvaise conscience d'Israël", de Yechayahou Leibovitz, p. 13, LE MONDE DIPLOMATIQUE, Paris, 41e année, n° 481, avril 1994, p. 13.

* Boutros HALLAQ: Une voix dissidente en Israël. Prophétisme ou barbarie, p. 29, LE MONDE DIPLOMATIQUE, Paris, 42e année, n° 496, juillet 1995, p. 29.

في دير قرب غزة في القرن السادس ، وهو من كبار معلّمي الحياة الروحية ، الذي قال : « ألعالم هو بمثابة دائرة مركزها الله وأشعتها الدروب المختلفة المتوجّهة إليه . فعندما يسير الناس نحو الوسط ، يتقاربون بعضهم من بعض بالتزامن مع اقترابهم من الله ».

● صورة أناس يتسلّقون جَبَلًا واحدًا من جهات مختلفة ، ويتقاربون بمقدار دنوّهم من القمّة .

ولما أنهى المرشد مداخلته ، لخّصتها رُلى ح . بقولها : « ألمهم هو المحبة ! » فوافق المرشد على هذا التعليق .

ألحلقة رقم ١٠

إجتماع الخميس ١٦ تشرين الثاني ١٩٩٥

ألموضوع : تعاطي لوقا ١٧:٧-١٠

ألنصّ

« مَن مِنكُم لَهُ خادِمٌ يَحرُثُ أَو يَرعى ، اذا رَجَعَ من الحَقل ، يَقولُ لَهُ : تعالَ فاجلِسْ لِلْطَّعام ! ألا يَقولُ له : أَعْدِد لِيَ العَشاء ، واشدُدْ وَسَطَكَ واخدُمني حتى آكُلَ وأَشرَب ، ثُمَّ تَأكُلُ أَنتَ بَعدَ ذلكَ وتَشرَب . أَتُراه يَشكُرُ للخادم أَنَّهُ فَعَلَ ما أُمِرَ به ؟ وهكذا أَنتم ، إِذا فَعَلتُم جميعَ ما أُمِرتُم بِهِ فقولوا : نَحنْ خَدَمٌ لا خَيرَ فيهم ، وما كان يَجِبُ عَلينا أَن نَفعَلَه فعلناه . »

* * *

إختارت كارولين المقطع وقدّمت له . ثم تعاطته الفرقة عبر مداخلات تقدّم بها كل من رُلى ح. وانجليك ومارينا والمرشد .

وقد تبيّن من هذا التداول أنّ المثل الذي يرويه يسوع هنا ، والذي يصوّر وجهًا من حياة البشر في تلك الأيام ، وهو علاقة سيّد

بخادمه في مجتمع زراعيّ، لا يُقصد منه، على الإطلاق، تصوير أخلاق الله. إذ الواضح أنّ العبرة فيه ليست في سلوك السيّد بل في سلوك الخادم. فالسيّد يتصرّف هنا بأنانية واستغلال لا يمتّان إلى الله بصلة بل يستلهمان مفهومًا للسيادة شائعًا بين الناس، خصوصًا في ذلك العهد (حيث لم يكونا يجدان حرجًا في التعبير عن ذاتيهما بصراحة وقحة، في حين أنهما اليوم يُضطّران غالبًا الى التستّر). وقد رفض يسوع هذا المفهوم جذريًا وحذّر منه التلاميذ (راجع مثلًا مرقس ١٠:٤١-٤٥) موضحًا لهم أن الكبير فعلًا هو خادم الآخرين، وأن مقياس العظمة هو البذل لا الاستئثار. وإذا كانت العظمة البشرية، كما بيّنها يسوع، على هذا المنوال تكون، فكم بالحريّ هي حال العظمة الإلهية التي هي مصدر كل عظمة ونموذجها!

وبالفعل كشف الله لنا مواصفات عظمته في سلوك يسوع المسيح الذي تجلّت لنا في إنسانيته صورة الله الحقيقية: «من رآني فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤:٩). لذا فإذا شئنا ان نتعرّف إلى حقيقة عظمة الله، كان علينا أن نتأمل لا سلوك سيّد هذا المثل، بل اللوحة التي يرسمها لنا يوحنا الإنجيلي عندما يروي عشاء يسوع الأخير مع تلاميذه حيث صوّر مسبقًا بذل ذاته حتى الموت صلبًا، رحمةً بالناس:

«... كان قد أحبّ خاصته الذين في العالم، فبلغ به الحبّ لهم إلى أقصى حدوده. (...) فقام من العشاء فخلع

ثيابه، وأخذ مِنديلًا فائتزر به، ثم صبّ ماءً في مَطهرة وأخذ يغسل أقدام التلاميذ، ويمسحهما بالمنديل الذي ائتزر به (...) .فلما غسل اقدامهم لبس ثيابه وعاد إلى المائدة فقال لهم: (...) أنتم تدعونني «المعلّم والربّ» وأصبتم فيما تقولون، فهكذا أنا. فإذا كنت أنا الربّ والمعلّم قد غسلتُ أقدامكم، فيجب عليكم أيضًا أن يغسل بعضكم أقدام بعض ...» (يوحنا ١٣: ١، ٤-٥، ١٢-١٤).

هنا نرى يسوع، وهو الصورة البشرية الكاملة الوحيدة لله، يترجم العظمة الإلهية (عظمته هو وعظمة الآب على السواء) بغسله أرجل التلاميذ وقيامه، بالتالي، بينهم، وهو المعلّم والسيّد، بالدور الذي كان يُسند آنذاك الى الخادم، كما يوضح هو نفسه في هذا المقطع من إنجيل لوقا:

«فَمَن الأكبر؟ أَمَن جَلَسَ للطعام أم الذي يَخْدُم؟ أَمَا هو الجالس للطعام؟ ومع ذلك فانا بينكم كالذي يَخدُم» (لوقا ٢٢: ٢٧)

في ضوء ذلك يتّضح أن سيّد المثل الذي يأمر خادمه المتعب قائلًا بلا رحمة: «أَعدِد لي العشاء، واشدد وَسَطَكَ واخدمني حتى آكل وأشرب، ثم تأكل أنت بعد ذلك وتشرب» (لوقا ١٧: ٨)، إنما يتصرف على نقيض السيّد الإلهي، الذي، إن شئنا أن نرى له صورة، وجدناها في سلوك سيّد مثل آخر أورد فيه الإنجيلي لوقا نفسه أقوال يسوع التالية:

«طوبى لأولئك الخَدَمَ الذين إذا جاء سيّدهم وجدهم ساهرين. ألحقّ أقول لكم **إنه يشدّ وسطه ويُجلِسهم للطعام، ويدور عليهم يخدمهم» (لوقا ١٢ :٣٧).**

في المثل الذي نحن بصدده، صورة الله ينبغي اذًا أن نلتمسها، لا في سلوك السيد المتسلّط المستأثر، بل في اندفاع الخادم (شرط أن نتصوّره محرَّرًا من الإكراه الذي يخضع له في المثل المذكور)، هذا الاندفاع الذي لا منّة فيه، على شاكلة عطاء الله الذي ينسكب بلا قيد أو شرط على العالمين، حبًا مجانيًّا يطال كل إنسان، صالحاً كان أم شريرًا (متى ٥ :٤٥)، انسكاب مياه الينبوع المروّية المخصبة وأشعة الشمس الدافئة المحيية.

ما يعلّمنا إياه المثل اذًا هو أننا، إذا خدمنا الله، وترجمنا خدمتنا له خدمة للناس، فلا داعي لأن نمنّن احدًا على ذلك، لأننا، بسلوكنا هذا، لا نتعدّى التعبير الطبيعي البسيط الواجب عن شكرنا له على هبة الوجود الممنوحة لنا منه في كل لحظة، والترجمة البديهية لصورته التي زرعها فينا، فنكون مثله محبين وباذلين، وبهذا التمثّل نحقّق انسانيتنا بالفعل.

وقد أوضح المرشد أنّ هذه الخدمة لا تَذَلُّلَ فيها لأحد، حتى وخصوصًا إذا قصدنا بهذا «الأحد» الله، لأنّ الله أبعد ما يكون عن الرغبة في إذلالنا، بل إنها، على العكس، تجعلنا نكبر، على قياس الله، بتجاوبنا الحرّ مع حاجات الآخرين دون أن نشترط عليهم مقابلتنا بالمثل.

خلاصة القول أن عبرة المثل ليست، كما يُظنّ نتيجة لقراءة متسرّعة له، دعوة إلى الخنوع لإله طاغية نتصور سيادته على شاكلة تسلّط البشر، بل نداءٌ إلى تحقيق السموّ فعلًا فينا، بالمشاركة في سموّ الله، وهو السموّ الحقيقي الوحيد: «من أراد أن يكون **كبيرًا** فيكم، فليكن لكم **خادمًا**» (مرقس ١٠:٤٣).

ألحلقة رقم ١١

إجتماع الخميس ٧ كانون الأوّل ١٩٩٥

ألموضوع : تعاطي مرقس ٢٠:١-١٢

ألنص

« وعاد بعدَ بِضعةِ أَيامٍ إلى كَفَرناحوم ، فَسَمِعَ الناسُ أَنَّهُ في البَيت . فَاجتَمَعَ مِنهُم عَدَدٌ كَثير ، ولَم يَبْقَ مَوضِعٌ خاليًا حتى عِندَ الباب ، فَأَلقى إلَيهم كَلِمةَ الله ، فَأتَوه بِمُقعَدٍ يَحمِلُهُ أَربَعَةُ رِجال . فَلَم يَستَطيعوا الوُصولَ به إليهِ لِكَثْرَةِ الزِّحامِ . فَنَبَشُوا عن السَّقفِ فَوقَ المَكانِ الذي هو فيهِ ونَقَبوهُ . ثم دَلُّوا الفِرَاشَ الذي كان عَلَيهِ المُقعَد ، فَلَمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم ، قالَ للمُقعَد : « يا بُنَيَّ ، غُفِرتَ لَكَ خطاياك » . وكانَ بَينَ الحاضِرين هُناكَ بَعضُ الكَتَبَة ، فَقالوا في قُلوبِهِم : « ما بالُ هذا الرَّجُل يتكلَّمُ بذلك ؟ إنَّهُ لَيُجَدِّف . فَمَن يَقدِرُ أَن يَغفِرَ الخطايا إلّا اللهُ وَحدَه ؟ » فَعَلِمَ يسوعُ عِندَئذٍ في سَرِّهِ أَنَّهُم يَقولونَ ذلك في أَنفُسِهم ، فَسَأَلهم : « لماذا تقولونَ هذا في قُلوبِكُمْ ؟ فَأَيُّما أيسَر ؟ أ، يُقال للمُقعد : غُفِرت لكَ خطاياك ، أم أَن يُقال : قُمْ فاحمِل فِراشَكَ وامشِ ؟ فلِكي تَعْلَموا أَنَّ ابنَ الإنسانِ لهُ سلطانٌ يَغفِرُ به الخطايا في الأرض » . ثم قالَ

للمُقعَد : « أقولُ لكَ : قُمْ فاحمِل فِراشَكَ واذْهَبْ إلى بيتِكَ » . فقامَ فحَمَلَ فِراشَه لِوَقتِه ، وخَرَجَ بمَرأى من جَميعِ النَّاس ، حتّى دَهِشوا جَميعًا ومَجَّدوا الله وقالوا : « ما رَأَيْنا مِثلَ هذا قطّ » .

* * *

أعدّ إيلي النصّ وقدّم له بكلمة ذكر فيها ما برز أمامه من معاني في هذا المقطع ، ومنها قدرة المسيح على التحرير والغفران ، وانتقال هذه القدرة منه الى الكنيسة . وسأل إيلي إذا كان المسيح تصرّف في هذا المقطع بلاهوته أو بناسوته ، وكيف يتصرف الآن .

أجاب المرشد مبديًا ، في هذا الشأن ، عقيدة الكنيسة ، كما أوضحها المجمع المسكوني الرابع الذي عُقد في خلقيدونية (آسيا الصغرى) سنة ٤٥١. قال إن يسوع ، في المقطع الذي نحن في صدده ، كما وفي حياته كلِّها ، تصرّف **بوحدة شخصه** التي اندمج فيها اللاهوت بالناسوت ، دون اختلاط (أي بقي اللاهوت لاهوتًا والناسوت ناسوتًا) ولا انفصال (أي بقيا ملازِمين أحدهما للآخر في تمايزهما) ، وإن اللاهوت كان ، في يسوع ، طيلة حياته الارضية ، محتجبًا وراء ناسوته الذي كان المسيح بموجبه معانيًا الجوعَ والعطش والتجربة والحزن والألم والموت (هذا ما عبّر عنه الرسول بولس بقولِه إنه « أفرغ ذاته آخذًا صورة عبد وصائرًا بشبه البشر » : فيليبي ٢ : ٧) ، ولكن ألوهته ما زالت حاضرة في كل أحوال معاناته تلك ، وحتى على الصليب حيث ذاق الله نفسه ،

وهو غير المائت، طعم الموت في شخص يسوع، محبةً «جنونية» منه (حسب تعبير مكسيموس المعترف ونقولا كاباسيلاس) للناس ومشاركةً لهم في مأساتهم (حضور الألوهة في المصلوب أشار اليه الرسول بولس بقوله: «لو عرفوا لما صلبوا ربّ المجد»: ١ كورنثوس ٢:٨). أمّا في القيامة وما بعدها، فقد سطع اللاهوت، بعد احتجاب، في إنسانية يسوع برمّتها، وأصبح مالئًا إياها وهي متأجِّجة به، كما يتوهَّج الحديد بالنار مع أنه يبقى حديدًا.

وتحدثت أنجليك عن ثلاثة عناصر قالت إنّها وجدتها في المقطع، منها أننا قد نكون، على شاكلة علماء الشريعة، غافلين عن حقيقة يسوع. ومنها أننا كثيرًا ما نطالب يسوع بالملموسات والمحسوسات في حين أنه يريد أن يعطينا الملكوت. وقد علّق المرشد على مداخلتها موضحًا أنّ يسوع لم يكن يهمل الملموس، بل كان يقدّمه للناس المحتاجين اليه، وذلك رأفةً بهم، وإنما كان يدعوهم ألّا يَقِفُوا عند هذا الملموس بل يذهبوا إلى ما هو أبعد. وأضاف المرشد، جوابًا عن سؤال، أنّ يسوع كان، على كلّ حال، سوف يشفي المشلول من مرضه، ولكنه أعطى الأولوية لغفران خطاياه، لأنّ غفران الخطايا يعني المصالحة مع الله، وتاليًا الالتحام بذاك الذي هو ينبوع الوجود، ما يسمح وحده بتحقيق ملء إنسانية الإنسان، وبلوغ الحرية، التي تكلّم عليها إيلي، أي انعتاق طاقات الإنسان من كلّ ما يكبّلها من قيود، وانطلاقها في رحاب القدرة والإبداع، ذاك الانطلاق الذي لم يكن تحرُّر المشلول من كساحه سوى صورة عنه.

هنا سأل حبيب لماذا شفى المسيح الذين آمنوا به في زمانه، ولا يشفيهم الآن؟ أجاب المرشد: إنّ الذين شفاهم يسوع - وعددهم محدود على كل حال - مرضوا بعد ذلك وماتوا. فالعجائب التي حصلت آنذاك - والتي لا تزال تحصل الى يومنا هذا - ليست اذًا حلًّا نهائيًا للمشكلة، إنما هي صورة ومقدّمة للملكوت، أو نافذة تسمح بالإطلال عليه، ذلك الملكوت الذي أتى يسوع ليدشّنه في أرضنا الشقيّة، والذي سوف يكتمل لدى تجديد الكون في اليوم الأخير، حين يمسح الله كل دمعة ولن يكون في ما بعد مرض او ألم أو موت (رؤيا ٢١:٤). أضاف المرشد: إن يسوع نفسه قد قَبِلَ الموت ولم ينزل عن الصليب، كما كان خصومه يطلبون إليه، وذلك لكي يحتضن الله، به ومن خلاله، كلّ آلام البشر وأمراضهم وويلاتهم، حتى لا يشعروا بأنّهم متروكون لوحدهم في شقائهم. لذا فإن خبرة المؤمن، فيما يشقى بمرضه، أنه يحمل في ذاته نورًا وسلامًا لا يقوى المرض نفسه على انتزاعهما منه، وشعلة ليس بمقدور المرض أن يطفئها، وأنه ينعم في قرارة نفسه بثقة راسخة رسوخ هدوء أعماق البحر عندما تخبط الريح سطحه مثيرة تلاطم الأمواج. أي إنّ خلاص يسوع يطاله ولو لم يُشفَ من مرضه.

ألحلقة رقم ١٢

إجتماع الخميس ١٤ كانون الأوّل ١٩٩٥

ألموضوع: أضواء على الصهيونية

بما أن موضوع «الصهيونية»، الذي اقترحت الفرقة تدارسه، يتطلّب أساسًا معلومات تاريخية لم تكن متوفرة بالقدر الكافي لدى أعضاء الفرقة، وبما أن المراجع التي كانت بين يديها لم تكن لتفي بالمطلوب، فقد اضطر المرشد أن يستأثر بعرض عناصر البحث مع اقتناعه بأن هذه الطريقة ليست المثلى.

قال إن كثيرين من المسيحيين، شرقًا وغربًا، يخلطون بين الصهيونية وبين التوراة (التي يعتبرها المسيحيون جزءًا من كتابهم المقدس ويسمّونها «العهد القديم»)، ما يدفع الكثيرين منهم، في الغرب، إلى مساندة الصهيونية باسم تمسّكهم بالتوراة، في حين أن العديد منهم، في الشرق هذه المرة، يذهبون إلى حدّ رفض التوراة بحجة رفضهم الصهيونيّة.

أوضح المرشد أن الصهيونية متميّزة عن الدين اليهودي الذي منه انبثقت المسيحية، لا إلغاءً له بل تكميلًا، وأنها قراءة منحرفة للتوراة تجعل من الله إله قبيلة، في حين أنه ربّ العالمين، وتجعل من

« اختيار » الشعب اليهودي ، الذي تقول به التوراة ، **امتيازًا** يسمح له بالاستعلاء على الشعوب الأخرى ، في حين أنه ، في حقيقته ، **رسالة خدمة** للبشرية جمعاء ، اختار لها الله هذا الشعبَ وأوكله بها وائتمنه عليها وألقاها مسؤولية على عاتقه لا عنوان ترفّع واستكبار .

وبيّن المرشد أنّ كثيرين من الصهاينة ملحدون أو غير متدينين ، يتّخذون من يهوديتهم قوميةً لا دينًا (ولسان حالهم النكتة التي ألقاها الممثل Woody Allen: « الله غير موجود ، ونحن شعبه المختار ») ، في حين أن كثيرين من اليهود المتدينين يرفضون الضهيونية لانهم يرونها غريبة عن روح كتابهم (كما فعل عمانوئيل ليفين) ، أو على الاقل يتصّدون لانحرافاتها بوحي من إيمانهم اليهوديّ النقيّ (كما فعل الفيلسوف الذائع الصيت Martin Buber، والمفكر الكبير Yeshayahu Leibovitz).

وحدّد المرشد الصهيونية على انها مشروع إقامة وطن قوميّ لليهود في فلسطين يستند الى ذريعة ما ورد في التوراة من وعد قطعه الله بإعطاء هذه الأرض لإبراهيم ولنسله . وأوضح أن مطلق الفكرة (سنة ١٨٩٦) كان صحفيًا يهوديًا مَجَريًّا يُدعى تيودور هرزل ، وأن هذا كان ملحدًا ، وأنه استند في بناء مشروعه ، لا إلى التوراة أساسًا ، بل إلى الحركة القوميّة التي اجتاحت أوروبا في القرن التاسع عشر وأدّت إلى كارثة الحرب العالمية الأولى ومجازرها ، وأن دعوته لقيت صدى بين يهود الشتات في أوروبا ، الذين ، بعد أن أتاح لهم انتصار مبادئ الثورة الفرنسية أن يبدأوا بالاندماج في

المجتمعات التي كانوا يعيشون فيها وبتخطي التقوقع السابق (« الغيتو » الذي كان مفروضًا عليهم)، أصيبوا بردّة بعد الاضطهاد العنصري الذي تعرّضوا له، خاصة في أوروبا الشرقية، وفي روسيا القيصرية بالذات حيث كانت تُشنّ ضدّهم حملات اعتداء وتقتيل.

أضاف المرشد أن المشروع الصهيوني تحقّق عند قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨، وأنه بُني على شعار يُزَيِّف الواقع، أطلقه اسرائيل زنغويل سنة ١٩٠١، وهو « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض »، وهو شعار يعتبر الشعب الفلسطيني غيرَ موجود، يلغيه بشحطة قلم، ما ينافي رسالة التوراة التي تعطي كل إنسان قيمة فائقة لأنه مخلوق على صورة الله، وتوصي اليهود بإكرام الغرباء متذكّرين ما اصابهم، في فترة اغترابهم في مصر، من معاملة قاسية ومعاناة شديدة (راجع لاويين ١٨:٣-٥).

وللاستزادة من الموضوع، أوصى المرشد بمطالعة كتابه « إسرائيل بين الدعوة والرفض » (سلسلة « الإنجيل على دروب العصر »، رقم ٧، منشورات النور، بيروت، ١٩٨٥).

ألحلقة رقم ١٣

إجتماع الخميس ٢١ كانون الأوّل ١٩٩٥

ألموضوع : تعاطي متّى ٩:١٤–١٧

ألنصّ

« فَدَنا إِلَيه تلاميذُ يوحَنّا وقالوا لَه : « لماذا نَصومُ نَحنُ والفَرّيسيّون وَتلاميذُكَ لا يَصومون ؟ » فَقَالَ لَهُم يسوع : « أَيَستَطيعُ أَهلُ العُرسِ أن يَحزَنوا ما دامَ العَريسُ بَينَهُم ؟ ولكِن سَتَأتي أَيّامٌ فيها يُرفَعُ العَريسُ مِن بَينِهم ، فحينئذٍ يَصومون . ما مِن أحَدٍ يَجعَلُ في ثَوبٍ عَتيقٍ قِطعَةً مِن نسيجٍ خَام ، لِأَنَّها تَأخُذُ من الثَّوبِ على مِقدارِها ، فَيَصيرُ الخَرَقُ أَسوأ . ولا تُجعَلُ الخَمْرَةُ الجَديدةُ في زِقاقٍ عتيقة ، لِئَلَّا تَنشَقَّ الزِّقاقُ فَتُراق الخَمرُ وتَتلَفَ الزِّقاق ، بل تُجعَلُ الخَمَرةُ الجديدة في زِقاقٍ جَديدَة ، فَتَسلَمُ جميعًا ».

* * *

إختارت مارينا المقطع وقدّمت له .

بناء على سؤال طرحه إيلي حول معنى الصوم ، أفاد المرشد أنه

كان ، عند اليهود ، تعبيرًا عن الحزن والذلّ ، لذا أجاب يسوع أن تلاميذه لا يصومون لأن الوقت كان وقت فرح لا وقت اكتئاب . ذلك أن الله شاء أن يقيم ، في يسوع ومن خلاله ، عرسًا مع البشريّة ، أي اتحادًا معها والتحامًا بها حميمًا ، وكان يسوع هو عريس ذلك العرس إذ به أتى الله ليطلب البشرية ويدخل معها في عناق ما بعده من عناق . ولكن العرس تحوّل الى مناحة عندما قتل رؤساءُ الشعب اليهودي العريسَ . إلّا أنهم ، مع ذلك ، لم يتمكّنوا من إبطال العرس ، لا بل أتاحوا له ، على عكس ما قصدوا ، أن يكتمل بموت المسيح ، إذ آل هذا الموت الى التحام أكمل لله بالإنسان عِبْرَ انحداره إلى عمق مأساته لمشاركته بها ، وعِبْرَ بَثِّهِ ، بالقيامة ، حياته الظافرة في الإنسانية الشقية التي قاسمها المصير حتى النهاية .

من هنا ، أضاف المرشد ، أن المسيحيين صاروا يصومون تذكارًا لآلام المسيح وحزنًا على رحيله عنهم ، ولكن صومهم يغلب عليه الفرح والنور لانهم به يتحررون من انغلاق ذواتهم ، فاتِحين بالحرمان ثغرة في كيانهم يلاقون عبرها الرب الناهض من بين الأموات ، والحيّ الى الأبد ، الذي وعد بأن يكون معهم الى منتهى الدهر .

وقد استفسر إيلي عن معنى « المصالحة الكونية » التي نسعى اليها في زمن الصوم عبر الامتناع عن قتل الحيوان . فأوضح المرشد أن هذا الامتناع عن ممارسة عنف حلال هو من باب الإمعان في عيش المحبة التي بها نلاقي الرب .

أمّا بخصوص ما ورد في النصّ عن الجديد والقديم، فقد أوضح المرشد كيف أن ذلك يدعونا اليوم الى نقد النزعة التي تراودنا بسكب المضمون الإنجيليّ، بجدّتة الجذريّة، في قوالب سلوكيّة تتنافر معه اذ تحمل طابع عتاقة العادات والأهواء. وقدّم مثلًا على ذلك، القوالب الطائفية التي ارتضاها المسيحيون في لبنان، والتي تحوّل جماعاتهم الى قبائل متقوقعة على ذاتها، في حين أن الإنجيل يريدها نورًا **للعالم**، كل العالم، (والنور لا تُقام حوله الحواجز)، وملحًا **للأرض**، كل الارض (والملح ينبثّ في الطعام ولا يُراكَم الى جانبه)، وخميرة **للدنيا** (والخميرة تختلط بالعجين ولا تنفرد عنه)، أي إنه يريدها أن تعمل من أجل خير **المجتمع كله** وسعادته وليس لأجل مصالحها ومنافعها هي على حساب خير المجموع ونموّه المتكامل.

أضاف المرشد أن جدّة الإنجيل لا يمكنها أن تتعايش مع عتاقة القوالب، إذ لا بدّ إمّا أن تخنق هذه القوالبُ الإنجيلَ، إمّا ان يفجّر الإنجيلُ هذه القوالبَ. لذا فإن حركة الشبيبة الأرثوذكسية، في مؤتمر عَقَدته في كانون الأوّل ١٩٧٠، أقرّت ما سُمّي ب «وثيقة التزام شؤون الأرض»، التي تدعو فيها، باسم الإنجيل، إلى نفض القوالب الطائفية والاهتداء الى تعهّد الشأن العامّ بروح الإنجيل، سعيًا إلى تحرير كلّ إنسان وإحقاق كرامته.

أخيرًا دعا المرشد الفرقة إلى البحث عن أمثلة أخرى لهذا التنافر بين الإنجيل والقوالب التي نحاول أن نسكبه فيها في حياتنا الشخصية والجماعية.

ألحلقة رقم ١٤

إجتماع السبت ١٩٩٥/١٢/٣٠

ألموضوع: لماذا ندرس العهد القديم؟

تداولت الفرقة سؤالًا طرحه فادي، وهو: «لماذا ندرس العهد القديم، بالرغم من أنّ الصهيونية واليهود لهم منه مرجع لمعتقداتهم وتطرفهم؟»

طلب المرشد أولًا من أعضاء الفرقة أن يدلوا بأفكارهم وتساؤلاتهم حول هذا الموضوع. تحدثت مارينا ثم رُلى ح. ثم انجليك (التي استندت إلى مرجع كان المرشد قد أشار اليه، وهو مقال للمطران جورج خضر عن «مكانة العهد القديم في الديانة المسيحية»، نشر في مجلة «النور»، العدد ١، سنة ١٩٩٥، وقد كان هذا المرجع أمامها). فُهم من مداخلاتهنّ أن العهد القديم هو تحضير للعهد الجديد، وأنهما متكاملان، وأن العهد الجديد تتويج للعهد القديم، في حين أن هذا الأخير يعطي العهد الجديد جذوره.

ثم ألقى المرشد مداخلته، الطويلة نسبيًا، التي أوضح فيها الفرق بين قراءة المسيحيين للعهد القديم، وقراءة اليهود له، وقراءة الصهاينة له.

* قال إن الفرق بين قراءَتنا له وقراءَة اليهود، هو في كوننا نعترف بيسوع مسيحًا، في حين أن اليهود لا يعترفون له بهذه الصفة، من هنا أن قراءتهم له مُغْلَقَة، في حين أن قراءتنا له مفتوحة، بالنور الذي أخذناه من يسوع المسيح، على آفاق رحبة. فمفهوم «شعب الله»، مثلاً، اتّخذ مضمونًا جديدًا بالنسبة إلينا، اذ أصبح يشير إلى جماعة المؤمنين بالمسيح من كل الأمم، تلك الجماعة المعدّة لتكون خميرة لتجديد البشرية قاطبة، المدعوّة إلى أن تصير كلّها «شعب الله» في آخر المطاف. كذلك أصبحت «أرض الميعاد» إشارة إلى الأرض كلّها، المدعوّة إلى التجدّد بقيامة المسيح والتحوّل إلى ملكوت الله. كذلك التحرّر من عبوديّة فرعون صار إشارة إلى «فصح» (والكلمة تفيد العبور) البشرية كلّها، بفعل القيامة، من العبودية إلى التحرّر من الشرّ والظلم والألم والموت. أما المنُّ، هذا «الخبز النازل من السماء» لإطعام الجياع، فقد صار رمزًا للإفخارستيا، خبز الحياة التي لا تعرف الفناء. أما الشريعة اليهودية، بتعقيداتها، فقد زالت، لأنّه اتّضح لنا أنها لم تكن سوى تهيئة للمحبة التي هي «كمال الناموس» (رومية ١٠:٣). من هنا قول الرسول بولس إن من يقرأ العهد القديم بدون نور المسيح، يكون كمن يضع برقعًا على وجهه يحجب عنه المعنى الصحيح لهذا الكتاب (راجع ٢ كورنثوس ٣:١٢-١٦). فالمسيح وحده مفتاح هذا المعنى.

* أما الفرق بين قراءَتنا للعهد القديم وقراءَة اليهود ذوي الإيمان اليهودي الخالص له (مع اختلاف إيمانهم هذا عن إيماننا)، من

جهة ، وقراءَة الصهاينة له (ما عدا الذين تلطّفت ايديولوجيتهم بروح الأنبياء) ، من جهة أخرى ، فهو الفرق بين قراءَة مَنْ كان هاجسهم **أن يخدموا الله** ، أي أن يتخلقوا بأخلاقه هو وأن يتحوّلوا «مَنْ القلب الحجريّ الى القلب اللحميّ» (حزقيال ١١:١٩) ، ليتجدّدوا هم ويجدّدوا البشرية ، وقراءة الذين شغلهم الشاغل أن **يستخدموا الله** ، أي أن يسخّروه لتبرير مطامعهم في الهيمنة والظلم والعدوان والاستئثار. هؤلاء لا يعرفون حقيقة الكتاب ، لأنّها لا تنكشف إلّا لمن صفا قلبه «طوبى لأنقياء القلوب لأنهم يعاينون الله» (متّى ٥:٨). كان لا بدّ لله ، كي يتواصل معنا ، أن يخاطبنا بلغتنا ، لذا فالكتاب المقدس هو كلام الله مَصُوغًا في كلمات بشرية تعبّر عنه وتحجبه بآن. وحده مَنْ صفا قلبه يستطيع أن يميّز حقيقة فكر الله في هذا القالب الترابيّ. فالذين تنقّت قلوبهم بسعيهم الصادق إلى إطاعة الله على حساب أهوائهم ، يرون بوضوح في العهد القديم ما يدين لاإنسانية الصهيونية ، مثلًا :

« ويل لمن يبني مدينة بالدماء ويؤسّس قرية على الإثم !»

(حبقوق ٢:١٢)

«إسمعوا هذا يا رؤساء آل يعقوب ، وحكّام آل اسرائيل ، (...) الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالجريمة ! (...) وهم إلى ذلك على الرب يعتمدون !...»

(ميخا ٣:٩-١١)

أمّا الصهاينة فيتجاهلون نصوص الأنبياء هذه ، ليستندوا إلى نصوص مثل كتاب يشوع بن نون ، يتشوّه فيها الوحي الإلهي بفعل ما اختلط به من إسقاطات بشرية نابعة من الأهواء (يُروى في هذا الكتاب أن الله أمر يشوع بإبادة مدن بكاملها بنسائها وأطفالها وشيوخها !).

والمرجع الأخير والحاسم في التمييز بين ما هو أصيل في النصوص الكتابية وبين ما قد يختلط بها من إفرازات جهل البشر وأهوائهم ، إنما هو تعليم يسوع المسيح وسيرته ، اذ كانت الإنسانية فيه كاملة الشفافية للألوهة ، بحيث استطاع أن يقول : « من رآني فقد رأى الآب » (يوحنا ١٤ :٩).

ختم المرشد بقوله : لا بدّ أن هذه المداخلة السريعة ، على طولها ، قد أثارت لديكم تساؤلات ، فأرجوكم أن تسجّلوها فورًا بعد الاجتماع لنعود إليها لاحقًا .

ألحلقة رقم ١٥

إجتماع السبت ١٩٩٦/٢/١٧

ألموضوع: طبيعة محبّة الأعداء وإمكانية عيشها

طلب المرشد من الأعضاء ان يُبدوا الأفكار والتساؤلات التي تراودهم حول هذا الموضوع الحسّاس، الذي كانت الفرقة قد اختلفت عليه، بشيء من الحدّة، في اجتماع عقدته وحدها في غياب المرشد الذي كان مسافرًا. وقبل بدء الخوض في الموضوع، رفع المرشد صلاة عفوية، سائلًا الربّ أن يلقي روحه فينا، لكي تتحقق بيننا وبينه «وحدة الحال» التي تسمح للصديق أن يفهم كلام صديقه حين لا يفهمه الآخرون.

ثم تحدّث كلّ من حبيب ومارينا وإيلي (الذي طرح سؤالًا جوهريًّا هو: ما المقصود بالمحبة عندما نتحدث عن محبة الأعداء؟) وانجليك وزُلى ح. فعبّروا عن تساؤلاتهم. أجاب المرشد عنها بمداخلة بيّن فيها أن محبة الأعداء ليس المقصود منها أن نشعر بميل عاطفيّ إليهم (فالإنسان يمكنه التحكّم بسلوكه لا بمشاعره)، بل أن نتّخذ منهم موقفًا نعتبر بموجبه **أنّ العدُوّ لا يزال أخًا لنا** رغم الضرر الذي ألحقه بنا والنفور الذي يثيره فينا لا محالة من جرّاء

ذلك. ففي العائلة قد يسيء أخ الى أخيه بشكل فادح، ولكن هذا الأخير، إذا بقي لديه شيء من الحسّ العائليّ، يستمرّ في اعتبار المسيء أخًا له مهما كان.

أوضح المرشد أن الرب يسوع يطلب منا ان نعمم هذا الموقف الذي نراه يعاش في العائلات الجديرة بهذا الاسم، على البشرية كلها، لأنها كلّها، في رؤية المؤمن، عائلة واحدة أَللهُ ابوها.

من هنا أن محبة الأعداء تفترض، حتى تصبح ممكنة، أن نتقبّل في ذواتنا روح الله، الذي به يمكننا ان نتغير داخليًا، **فنرى البشر كما يراهم الله نفسه**، أي أبناءً له، وبالتالي إخوة لنا.

فإذا استطعنا أن ننظر، على هذا المنوال، إلى العدوّ على أنه أخ، رغم شروره، لا نكون متشبهين بالله فحسب، بل أيضًا محافظين على إنسانيتنا، تلك الإنسانية التي على صورته وُجدت، ولا تستقيم إلّا إذا سارت على مثاله. فالإنسان الحقّ هو ذاك الذي لا يتنكّر لأيّ إنسان آخر: لأن كل إنسان آخر هو «منه وفيه»، فاذا تنكّر له تنكّر لإنسانيته وانتقص منها. ألم يقل أحد الحكماء الاقدمين، وهو Térence، وكان وثنيًا: «إنّني انسان، وما من شيء يمتّ إلى الإنسان بغريب عني»؟

وإذا حافظنا نحن على إنسانيتنا في تعاملنا مع العدوّ، أعطيناه فرصة العودة بدوره إلى إنسانيته السليبة. أما اذا استطاع هو أن يستدرجنا الى مجاراته في شرّه، يكون، عندها، قد أحرز علينا أعظم انتصار، لأنه تمكّن من انتزاع إنسانيتنا منا، وسلبنا بالتالي

أثمن ما لدينا، وألحق بنا هزيمة ما بعدها من هزيمة. لذا نرى الرسول بولس يوصي، في هذا السياق: «لا تَجْزوا أحدًا شرًّا بشرّ (...). لا تدع الشرّ يقهرك، بل كُن بالخير للشرّ قاهرًا.» (رومية ١٢: ١٦و٢١).

هذا وإن محبة الأعداء لا تنفي النضال ضد الشرّ، لا بل إنها، بالعكس، تستدعيه. ذلك أن محبة العدوّ تقتضي الحيلولة دون تماديه في شرّه. بهذه الروح خاض غاندي، الذي تأثّر كثيرًا بالمسيح، نضاله الطويل، القاسي في لاعنفه، ضد مستعمري الهند البريطانيين، إذ كان يبغي لا تَحرير شعبه من الطغيان وحسب، بل أيضًا تحرير الطغاة أنفسهم من شرّ مظالمهم.

ألحلقة رقم ١٦

إجتماع السبت ١٩٩٦/٢/٢٤

ألموضوع : ألصوم ، انطلاقًا من تعاطي إشعيا ٥٨:٢-١١

ألنصّ

« ...يَسألونَني أَحكامَ البِرّ
ويرومون التَقَرُّبَ الى الله .
« ما بالُنا صُمنا وأنتَ لم تَرَ
وعَذَّبنا أَنفُسَنا وأَنتَ لم تَعْلَمْ ؟»
في يَومِ صَومِكُم تَجِدونَ مَرامَكم
وتُعامِلَونَ بِقَسوةٍ جَميعَ عُمّالِكُمْ .
إنكم للخُصومةِ والمشاجَرَةِ تَصُومون
وَلِتَضْرِبوا بِلْكَمَةِ الشَّرّ .
لا تَصوموا كاليَوم
لِتُسمِعوا أصواتكم في العَلاء .
أهكذا يكونُ الصَّومُ الذي فَضَّلتُه

أليَومُ الذي فيهِ يُعَذِّبُ الإنْسانُ نَفسَه .
أإذا حَنَى رَأسَهُ كالقَصَبِ
وافتَرشَ المِسحَ والرَّماد
تُسَمّي ذلك صومًا ويومًا مَرضِيًّا للربّ ؟
أليسَ الصومُ الذي فَضَّلْتُهُ هو هذا :
حَلُّ قُيودِ الشَّرِّ وفَكُّ رُبُطِ النِّير
وإطلاقُ المسحوقينَ أَحْرارًا
وتَحطيمُ كلِّ نير ؟
أَليسَ هو أَن تَكسِرَ للجائِعِ خُبْزَكَ
وأَن تُدخِلَ البائسينَ المطرودينَ بَيتَكَ
وإذا رأيتَ العُرْيانَ أَن تَكسُوَه
وأَن لا تَتوارى عن لَحْمِكَ ؟
حينَئذٍ يَبْزُغُ كالفَجرِ نورُكَ
ويَنْدَبُ جُرحُكَ أمامَكَ
ومَجدُ الربِّ يجمَعُ شَملَكَ .
حينئذٍ تَدعو فيستجيبُ الربّ
وتَسْتَغِيثُ فيقول : هاءَنذا (...).
اذا تخَلَّيتَ عن لُقمَتِكَ لِلجائِعِ
وأَشبَعتَ الحَلقَ المعذَّب

يُشرقُ نورُك في الظُلمة
ويكونُ دَيجورُكَ كالظُّهر
ويَهديكَ الربُّ في كلّ حين
ويُشبِعُ نَفسَكَ في الأَرضِ القاحِلَة
ويقوّي عِظامَكَ فتكونُ كَجَنَّةٍ رَيّا
وكيَنبوعِ مياهٍ لا تَنضُب » .

* * *

تعاطت الفرقة إشعيا ٥٨:٢-١١. وقد تبيّن منه أن الصوم الحقيقي ليس تعذيبًا للنفس، إنما هو مشاركة للآخرين، وأن الإنسان لا يمكنه أن يرضي الله بصومه إذا كان يظلم سواه ويعنّفهم ويقسو عليهم، أو يتنكّر لهم ولحاجاتهم، وأنه قد يعتقد أنه يصوم من أجل الله في حين أنه لا يبغي بالحقيقة إلّا إرضاء نفسه عن طريق التبجُّح بصومه أو اتخاذه وسيلة لتهدئة شعور بالذنب ينتابه، فلا يتعدّى به، على كل حال، دائرة ذاته الضيقة المنغلقة. أمّا أن يكون بصومه قد بلغ الله ونال فعلًا رضاه، فمؤشّره خروج الصائم الى الآخرين بالمشاركة والعطاء.

وقد قارنت أنجليك بين الصوم الزائف الذي يتصدّى له هذا المقطع، وبين صوم الفرّيسيّ في مَثَلِ الفرّيسي والعشّار. وسأل حبيب: كيف يمكن الإنسان أن يصوم إذا كان يجهل معنى الصوم؟ فأجاب المرشد محاولًا إيضاح جوهر الصوم.

قال إن الطعام ، وسائر مباهج الحياة ، إنما هي هبة حبٍّ من الله للإنسان . والله يفرح لاستمتاعنا بها ، وهو بالضبط ما قصده ، ولكنه يبغي أيضًا أن نعي عِبرَها حبّه لنا ، أن نتلقّى رسالة الحنان التي حمّلها إياها إلينا ، وأن نقرأ في تلك الرسالة رغبته في لقائنا وإقامة علاقة إلفة وودّ ومشاركة بيننا وبينه . ولكن ما يحصل كثيرًا ، للأسف ، وليس أيّ منا بمأمن منه ، هو أننا نُفتَن بجمال هذه العطايا إلى حدّ أننا نتلهّى ببريقها (الذي شاءَه الله لفرحنا) عن بهاء معطيها . إذ ذاك لا نلحق الصَّدَّ والخيبة بالله وحسب ، بل نُمنى نحن بخسارة فادحة ، ولو أننا لا نشعر بها في غفلتنا ، لأننا قد تحوّلنا عن الذي بمقدوره هو وحده أن يُروّي عطش قلبنا ، في حين أن خيرات الدنيا مجتمعةً لا يسعها ، كما تلاحظ الحكمة الشعبية ، أن « تملأ عين الإنسان » ، لأن هذه العين متطلّعة أبدًا ، في آخر المطاف ، إلى اللامتناهي .

من هنا أن الصوم يأتي ليوقظنا من تلك الغفلة القاتلة ، التي ، بانقيادنا إليها ، نضحي أعداء لأنفسنا . إنه بمثابة ترويض لنا لنتعلّم أن نعيد الأمور إلى نصابها وأن نصحّح الرؤية ونقوّم الاتجاه . فبالصوم نمتنع طوعًا عن بعض لذائذ الحياة ليتسنّى لنا التفرّغ إلى واهبها والتمرّس على اكتشاف أولويته كهَدَف مطلَق لوجودنا . والجدير بالذكر أنه ليس في الصوم الأصيل أيّ احتقار للطعام ، بل بالأحرى إعادة اعتبار له ، لأننا ، إذا ما عدنا إليه بعد امتناع طوعيّ عنه التماسًا لوجه الله ، وجدنا له نكهة جديدة ومميَّزة ، نكهة الحنان

الإلهي التي غَدَونا قادرين أن نتذوّقها فيه بعد أن توطّدت علاقتنا بمعطيه فانجلت من جراء ذلك بصيرتنا فصرنا قادرين أن نراه ونلمسه في كل الأشياء التي تقوت وتبهج حياتنا.

فإذا ما تقرّبنا، على هذا النحو، من الحبيب الإلهي، تقرّبنا تلقائيًا من البشر كلّهم، لأنهم عائلته وأحبّاؤه، وتقرّبنا خصوصًا من هؤلاء الذين يحتلّون مكانة مميَّزة في عينيه، ألا وهم المعوزون والمحرومون، الذين وحّد المسيح ذاته بهم، ونزف، على الصليب، بجراحاتهم. لذا فإننا، بصومنا، نشارك هؤلاء، ولو وقتيًا وجزئيًا، في حرمانهم، ونعطيهم ما توفّر لنا من جراء حرماننا، فيأتي عطاؤنا، والحالة هذه، لا مترفّعًا مستعليًا، بل من صميم الحرمان الذي شاركناهم طوعًا به، كما شارك المسيح طوعًا في بؤسنا ليمدّنا بغنى جوده (راجع ٢ كورنثوس ٨:٩).

سأل إيلي: كيف يتصرّف الإنسان اذا لم يكن بامكانه أن يصوم؟ أجاب المرشد: إنْ لم يستطع الصوم على المنوال الذي تحدده الكنيسة (أي، في فترة الصوم الكبير، الانقطاع كليًا عن الطعام حتى الظهر، إضافة إلى الامتناع الدائم عن أكل اللحم وسائر المشتّقات الحيوانية)، يستطيع أن يجد طيّبات يمتنع عنها (مثلًا الامتناع عن اللحم على الأقلّ، عن الشوكولا والحلويات، عن السينما ...). ألمهمّ أن يجد لنفسه نهجًا رصينًا ومثابرًا من الحرمان يفتح به ثغرة في اكتفائيته الذاتية تفسح في حياته مكانًا لله ومطلًّا على حاجات المحرومين.

وسألت أنجليك إذا كانت الكنيسة تسمح بعدم الصوم في حالة المرض فقط. فأجاب المرشد بأنّه يرى أن منظار « الفرائض » تجاوزه الإنجيل الذي، بموجبه، لم يعد هناك من « ناموس » يتحكّم بالإنسان، بل حياة جديدة زُرعت فينا ينبغي الحفاظ عليها وتنميتها عبر جهاد عسير لا مكان فيه للرخاوة والاستهتار. والصوم من تعابير هذا الجهاد. وترسم لنا الكنيسة نمطًا من الصوم هو وليد خبرة لها امتدّت على أجيال تطوّر خلالها هذا النمط وتبدّل حتى بلغ، منذ قرون، شكله الحاضر، كما يشهد مثلًا مجمع « ترولُّو » سنة ٦٩٢. هذا الشكل تقدّمه لنا الكنيسة اليوم على سبيل النموذج، ولكنها تترك لكل مؤمن مسؤولية أن يأخذ منه ما استطاع، في وقفة صادقة امام ربّه وضميره، متجنّبًا المكابَرَةَ كما وإفراط التساهل مع النفس، مستلهمًا الروح الذي يسكبه الله فيه ومسترشدًا سواه إذا أمكن. وبمقدوره أن يتدرّج في حفظ الصوم وفقًا لما بلغه من النموّ الروحيّ.

قالت رُلى أ. إنها تصوم، ولكنها تجد منذ فترة صعوبات في الاشتراك بالصلوات التي تقام أثناء الصيام. فلفتها المرشد إلى أن الصلوات تساعد على تحقيق غاية الانقطاع عن الطعام التي هي ملاقاة الله ومناجاته. أجابت رُلى بأنّها مقتنعة بذلك ولكنّ أمرًا ما يشدّها الى الإِحجام. فاقترح حبيب أن يرافقها شخص إلى الكنيسة في بداية الامر. فشبّه المرشد ذلك بـ « دفش » السيارة ريثما تحمى فتنطلق لوحدها.

سأل المرشد: كيف يمكن أن يعاش في الفرقة المقطع الكتابي الذي تعاطيناه اليوم؟ أجاب إيلي: هناك «صوم المشاركة» (وهي صيغة اعتُمِدت منذ أعوام في فرع الميناء لحركة الشبيبة الأرثوذكسية وامتدّت منه الى سائر رعية الميناء. وهي تدعو الى أن يجمع المؤمن، أثناء الصوم الكبير، ما يتوفّر لديه من مال نتيجة حرمانه الطوعيّ، ليقدّمه إلى مشاريع في خدمة المحرومين). فسأل المرشد: كيف يمكننا أن نعيشه، لا كمجرد مؤسسة حركية نلتزم بها لمجرد انتمائنا إلى الحركة، بل عن قناعة صميمة، أي كيف يمكننا ان نخرج به من الروتين وأن نحقّق به دعوة الرسول: «إن الله يحبّ المعطي المتهلّل» (٢ كورنثوس ٧:٩) فارتأت أنجليك أن اختبارنا لما نلمسه من فرح لدى إنسان، نتيجة لعطائنا، يشكّل دافعًا قويًا للاقتناع بالعطاء. وقدّمت مثلًا محسوسًا على ذلك، هو خبرة عاشتها الفرقة عندما كانت تتألف من فتيات فقط. إقترح المرشد أن يُبَتّ بالموضوع في الاجتماع المقبل عند اكتمال عدد الأعضاء (إذ لم يشارك منهم سوى ستة في الاجتماع الحاضر)، وطلب من الحاضرين أن يضعوا الغائبين في صورة الحديث الذي دار اليوم بيننا.

ألحلقة رقم ١٧

إجتماع السبت ١٩٩٦/٣/٩

ألموضوع: تعاطي لوقا ٩:٥٧-٦٢

ألنصّ

« وبَينَما هُم سائِرون، قالَ له رَجُلٌ في الطَّريق: «أَتبَعُكَ حَيثُ تَمضي». فَقالَ لَهُ يسوعُ: «إِنَّ لِلثَّعالِبِ أَوجِرَةً ولِطيورِ السَّماءِ أَوكارًا، وأمّا ابنُ الإِنسان فَلَيْسَ لَه ما يَضَعُ عليه رَأسَه». وَقَالَ لِآخَر: «إتْبَعني!» فقال: «إئذَنْ لي أَنْ أَمضيَ أَوَّلًا فَأَدْفِنَ أَبِي». فَقالَ لَه: «دَع الموتى يَدفِنونَ مَوتاهم. وأَمّا أنتَ فَامضِ وَبَشِّرْ بِمَلكوتِ الله». وقالَ له آخَر: «أَتْبَعُكَ يا ربّ، ولكِنِ ائْذَنْ لي أوّلًا أَنْ أوَدِّعَ أَهلَ بَيْتي». فَقالَ له يسوع: «ما من أحدٍ يَضَعُ يَدَهُ على المِحْراث، ثُمَّ يَلْتَفِتُ إلى الوَراء، يَصْلُحُ لملكوتِ الله».

* * *

تعاطت الفرقة هذا المقطع الإنجيلي الذي اختارته أنجليك وقدّمت له. بعد مداخلتها مهّد المرشد لتداول الفرقة هذا النصّ القاسي، بقوله:

من الطبيعي أن يهزّنا الإنجيل وأن « يشقلب » أفكارنا (أي يقلبها رأسًا على عقب)، لأن، لولا ذلك، لما كان بإمكانه أن يغيّرنا جذريًّا، علمًا بأن تلك هي رسالته. فكما أن خبرة الحُبّ تنقل من يحياها إلى عالم جديد، لم يألفه قبلها، تتحوّل فيه نظرته إلى كل الأمور، فيبدو له من الأهميّة بمكان ما لم يكن يكترث به سابقًا، والعكس بالعكس، كذلك فإن لقاء يسوع، لا كما قد يحلو لنا أن نتصوّره بل في حقيقته الراهنة، يقلب كل مقاييسنا. لذا فإنها لاستجابةٌ صحيّة أن يُلحِق بنا هذا اللقاء « خضّة » وصدمة، وأن يثير فينا للوهلة الأولى شعورًا بالاستغراب، لا بل وبالاستهجان، طالما لم نتآلف بعد مع عالم الإنجيل بحيث ندعه يَنفُذُ الى أعماقنا ويبدّل نمط تفكيرنا ويحوّل معاييرنا وموازيننا، فنصبح إذ ذاك قادرين على فهمه والانسجام معه. ومن أجل أن يتمّ هذا التحوّل، وبانتظار أن يحصل - وهي عملية لا تنتهي مدى العمر - فلا بدّ لنا أن نتعاطى مع النصّ الإنجيلي بصراحة منفتحة، وأن لا نخشى من إبداء ما يثيره فينا من ردود فعل وتساؤلات لا بل ومن اعتراضات. فقد غبّط الربّ، في مَثَل الابنَين (متّى ٢١:٢٨-٣٢)، ذاك الذي اعترض أولًا ورفض ولكنه أعطى نفسه الوقت الكافي ليتفاعل، ولو بحدّة، مع التوجيه الأبوي، فيقتنع به في آخر المطاف ويتغيّر بموجبه، وفضّله على ذاك الذي أبدى طاعة فوريّة ولكنها ظاهريّة لم تَتَعَدَّ النوايا الطيّبة، ولم تبدّل شيئًا في السلوك الفعليّ.

بناءً عليه، دعا المرشد أعضاء الفرقة إلى التفاعل بحرّيّة مع النصّ الذي قرأناه.

أدار حبيب الحوار، وقُدّمت تساؤلات أو مداخلات من كلّ من نقولا وإيلي والياس وفؤاد وفادي، أظهر بعضها استغرابًا حيال ما بدا تناقضًا بين دعوة يسوع إلى احترام الوالدين من جهة، وبين ما يظهر وكأنَّه يُنادي به في نصّ اليوم من تنكّر للأَبوَين وللأَهل.

بعد ذلك تحدّث المرشد، فتناول نقطتين:

١– إن المسيح يوجّه دعوة فريدة الى كل شخص، تتناسب مع فرادة شخصه وظروفه. ألم يقل عن نفسه إنه «يدعو كلّ واحد من خرافه باسمه» (يوحنا ١٠:٣)؟ فمثلًا، عندما عرض عليه المجنون الذي شفاه في ناحية الجرَاسيّين، على الشاطئ الشرقي الجنوبي من بحيرة طبرية، أن يرافقه في جولاته التبشيرية، «لم يأذن له بل قال له: «إِذْهَب إلى بيتك، وحَدِّث ذويك بما آتاك الربّ من رحمته».» (مرقس ٥:١٩). أمّا هنا، فإنه يوجّه لشخصَين دعوة إلى اتّباعه، متشدّدة وجذريّة، لأنه قرأ في قلبَيهما حاجة إلى هذا النمط من الدعوة. فمثلًا قد يكون عدم سماحه لأحدهما بتوديع أهله، عائدًا (كما أشار فادي في مداخلته) إلى كونه عالمًا بأن هذا الإنسان قد يغلبه الضعف والنزعة إلى التراجع إذا ما ذهب لتوديعهم واستأثر به الرباط العائلي (الذي كان فائق القوة في ذلك العهد) على حساب رغبته في التفرّغ للرسالة، مع أنه وجد في هذا التفرغ معنى حياته، وبأنه يُستحسَن بالتالي، في وضعه الشخصي هذا، أن

يسرع بالقاء نفسه في الخطّ الجديد الذي انكشف له ، دون التفات منه الى الماضي لئلا يقع في فخّ ضعفه فيفوّت فرصة عمره . فإذا صحّ ذلك ، تكون عبارات يسوع ، لا من باب التجريح والتعجيز ، بل من باب التحذير والإيقاظ . أمّا الشخص الثاني الذي لم يَدَع له يسوع مجال التأجيل ، فقد يكون توقّع له ، هو أيضًا ، خطر الوقوع في الشَّرَك نفسِه، إذا ما ذهب ليدفن أباه .

٢- إن يسوع لا يناقض هنا - خلافًا للظاهر - ما علّمه عن محبة الأهل ، لا بل عن محبة الناس أجمعين ، وهو الذي ذكّر بوصيّة الناموس « أكرم أباك وأمّك » واعتبرها من شروط السير في درب « الحياة » (مرقس ١٠:١٩) ، ووبّخ الفرّيسيين على انتقاصهم منها عن طريق سماحهم بالاحتيال عليها ، مندِّدًا بفتاويهم التي كانت تعفي إنسانًا ما من مساعدة أهله بذريعة تحويله هذه المساعدة إلى « قربان » ، أي إلى هبة - يختزلها فعلًا بقيمة رمزية - يقدّمها إلى الهيكل (مرقس ٧:٩-١٣) . ولكن المسيح يعرف ، بآن ، أنه يصعب على المرء أن يحبّ أهله ، كما وأن يحبّ الناس ، **محبّةً حَقّةً** ، محبة خالصة ، لأنه ينزع عفويًّا إلى محبتهم ، لا من أجل أنفسهم ، بل من أجل ذاته هو ، من أجل حاجته هو إليهم ، بحيث ، إذا اختلفت مصالحه عن مصالحهم ورغباته عن رغائبهم ، تنكّر لهم ونبذهم وعاداهم (إلى حدّ أن آباء يقومون ، في هذه الحال ، على بنيهم ، وبنين على آبائهم ، وأشقّاء على بعضهم البعض ، وتدمَّر عائلات بأكملها نتيجة تناحُر أفرادها) .

لذا يدعو المسيح لا إلى تقليص الحبّ بل الى تقليص الحاجة قصدَ أن يبلغ الحب ملء حقيقته. يدعو إلى انسلاخ عن الحاجة التي تشدّنا إلى أهلنا وإلى الناس فتحجب عنّا حقيقة حاجاتهم هم وأهميتهم بحدّ ذواتهم. يدعو إلى ترويض حاجتنا إلى من حولنا وإلى التحرّر من طغيانها، حتى يتسنّى لنا محبة الآخرين من أجل أنفسهم، أو، بعبارة أخرى، محبتهم مجانًا، على طريقة محبة الله لنا. فالرهبان، الذين ينقطعون كليًا عن الناس، يبلغون، من جراء انسلاخهم هذا، إلى حالٍ تُمكّنهم من أن يحملوا، ليل نهار، في صلاتهم، هاجس الناس وعبء مآسيهم، ومن أن يتجنّدوا لخدمتهم بتفانٍ عند الاقتضاء (كما كان يفعل رهبان صحراء مصر الأقدمون عندما كانوا يؤجّرون أنفسهم للعمل في الحقول، في مواسم الحصاد، فيشحنون، من ثمرة أتعابهم، سفنًا بأكملها بالقمح الذي تلقّوه أجرًا، لإطعام جياع المدن المصربة). لذا صوّرت إحدى الحِكَم الرهبانية الراهب بأنّه «منقطع عن الجميع ومتّصل بالجميع»، والحقيقة أن الأمرين متلازمان، وأن عمق اتصاله مرهون بعمق انقطاعه. فالتحرّر من قيود حاجتي إلى الآخر شرط لكي يستقيم حبّي لهذا الآخر. لا حبّ حقًّا بدون حرية: هذا ما أبرزه يسوع.

ولكن، كلما كان إنسان قريبًا مني ازدادت حاجتي اليه، وتعاظم بالتالي خطر طغيانها على علاقتي به. من هنا ان المحبة التي تربط الزوجين، وتلك التي تجمع بين الآباء والبنين، مهدّدة أبدًا بالانحراف إلى امتلاك خانق لكلّ من طرَفي العلاقة، يجهض الحبّ

بينهما بحجّة الغلوّ فيه (ألا يقال: «ومن الحبّ ما قتل» ؟) ويهدّد بتحويله إلى كراهية عندما لا يستجيب واحد من الطرفين لما ينتظره الطرف الآخر منه ويطالبه به. من هنا أن قسطًا من الانسلاخ لا بدّ وأن يقترن بالحبّ الزوجيّ والوالدي والبنوي، وكذلك الأخوي، كي يصفو هذا الحبّ ويغدو محييًا ومحرِّرًا، وكي يتسع للناس جميعًا عائلة الله، فيغتني وينضج بانفتاحه هذا.

خلاصة القول أن دعوة الإنجيل إلى الانسلاخ عن الأسرة، لا تناهض الحبّ بل تدعم أصالته وتحرّره من قيوده.

ألحلقة رقم ١٨

إجتماع السبت ١٩٩٦/٣/١٦

ألموضوع : « هل إنّ وجود الأجانب في البلاد العربية يثير التعصّب الطائفي ؟ »

عدنا في هذا الاجتماع إلى موضوع التعصّب الطائفي الذي اعتمدته الفرقة كأحد محاورها الأساسية لهذه الفترة ، فعالجنا حلقة منه تمثَّلَ عنوانها بالسؤال المذكور أعلاه ، وهو من جملة الأسئلة الفرعية التي طرحها أعضاء الفرقة حول موضوع التعصّب .

لاحظ المرشد أن غموضًا يكتنف معنى السؤال ، وطلب من الذي طرحه ، إذا كان في الاجتماع ، توضيحَ ما قصده به . ولكن طارح السؤال لم يكن ، على ما يبدو ، حاضرًا بين الأعضاء التسعة الذين شاركوا في الاجتماع ، فتطوّع كل من فادي والياس وأنجليك ، على التوالي ، بإبداء تأويلهم لفحوى السؤال . فكانت مداخلاتهم منطلقًا لحوار حيّ وشيّق ، امتدّ وتشعّب وتجاوز ، بفعل تَداعي الأفكار ، حدود السؤال بحرفيّته . وكانت زبدة هذا الحوار ما يلي :

● إن وجود الأجانب في البلاد العربية ، من شأنه أن يثير

التعصّب لدى مُسْلمي تلك البلاد ، إذ إن أولئك (أي الأجانب) قد يعكسون لهم ، بتصرفاتهم ، بعض انحرافات الغرب (كالخلاعة مثلًا) ، فيستجيب المسلمون بردّة فعل انغلاقيّة ، وبالتالي تعصبيّة (لأن التعصّب هو الانغلاق ، كما ذكّرنا فادي) .

● وقد توضّح أنّ المسلمين يقفون من الغرب موقف رفض ، لأنهم تعرّضوا ، طيلة قرون ، ومنذ الحروب الصليبية ، لعدوانه واستعماره ، ولا يزالون يتعرضون لهما بأشكال جديدة . وهم يعبّرون عن هذا الرفض بانغلاق على هوية إسلامية يؤوّلونها بشكل ضيّق ، دفاعًا عن أنفسهم وتشبُّثًا بهويتهم ، في حين أن الإسلام ، في عصوره الذهبية ، انفتح على الحضارات الإغريقية والفارسية والهندية ، ولم يخشَ من التفاعل معها ، وجعل من الاندلس ، في حقبته المجيدة ، بوتقة لتعايش الأديان والحضارات وتحاورها واغتنائها بعضها ببعض . وقد بيّن الكاتب اللبناني اللامع أمين معلوف ، في كتابه التوثيقي الشهير « الحملات الصليبية كما رآها العرب » ، كيف أن العدوان الصليبي ، الذي دام سحابة قرنَين (من أواخر القرن الحادي عشر إلى أواخر القرن الثالث عشر) ، في فترة كان فيها الشرق المسلم متفوقًا حضاريًا ، وبشكل ملحوظ ، على الغرب المسيحي ، آل إلى انطواء ذلك الشرق على نفسه وانعزاله المفجع عن التطوّر الحضاريّ في الوقت الذي كان الغرب قد صار فيه ، بدءًا من عصر نهضته ، مسرحًا لذلك التطوّر .

● هذا الرفض للغرب (الذي هو، في الأساس، كما أوضحت أنجليك، موقف إيديولوجي، لا موقف ديني) يكتنفه، ككل ردّ فعل انفعاليّ، تشويش فكريّ يؤول إلى التباسات خطيرة:

* فمن جهة، يُخلَط بين الغرب وبين المسيحيّة، في حين أن الحضارة الغربية هي حضارة علمانية ليست المسيحية سوى أحد عناصرها، وفي حين أن المسيحيين المؤمنين يعتبرون أنفسهم، في الوقت الحاضر، أقليّة في الغرب، ويجاهرون بذلك.

* من جهة أخرى، يُخلط بين الغرب وبين سلبياته، في حين أن الحضارة الغربية تحوي أيضًا إيجابيات يحتاج شرقنا إلى اقتباسها منها. فالغرب مثلًا لا يُختزل في مظالمه وخلاعته وماديّته وفردانيته individualisme وتنافسه الشَرِس وتأليهه المالَ والاستهلاك، اذ يشتمل أيضًا على قيم سامية يدين بها ويسعى إليها، ولو كان لا يطبّقها إلا جزئيًا، كالعلم والموضوعية والعقلانية والروح النقدية والاستعداد لإعادة النظر في الآراء والمواقف، والحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان (هذه الحقوق التي تتجنّد منظّمات إنسانية غربيّة المنشأ، كمثل «الصليب الأحمر» و«أطّباء بلا حدود»، للنهوض بها في البلاد المتخلّفة، كما تتصدى أخرى، من المنشأ نفسه، كمثل «منظمة العفو الدولية» "Amnesty International" لانتهاكاتها في العالم كلّه، غربه وشرقه، شماله وجنوبه)، وتحرير المرأة،

والحفاظ على حقوق الطفل. هذه القِيَم يدين بها الغرب، إلى حدّ بعيد، للخميرة المسيحية التي عملت فيه طيلة ألفي سنة، ولو أن المؤسسة المسيحية التاريخية كثيرًا ما تنكّرت لهذه القيم الإنجيلية الأصل وعارضتها وتركت لغير المؤمنين أن يحتضنوها. إن الخلط بين الغرب ومساوئه، يحول دون رؤية المسلمين قِيَمًا في الغرب تتجاوب مع جوهر إيمانهم وتراثهم، ومنها التأكيد على كرامة الإنسان الذي يعتبره القرآن «خليفة» لله في الأرض.

● وقد تبيّن أنّ موقف عدد من المسيحيين في الشرق يساهم في تعميق التشوش الفكري الذي نحن بصدده. فإنهم مثلًا يعتبرون تبنّي الخلاعة الغربية (كاللباس القصير والكاشف مثلًا) تعبيرًا عن هويتهم «المسيحية» وبذلك يضلّلون المسلمين.

● بالمقابل فإنّ التشويش الفكري الذي وصفناه، لا يخلو منه الغرب من جهته. إذ ان العداء للإسلام ينتشر فيه حاليًا بشكل مقلق، كردّ فعل انفعاليّ على تطرّف «الإسلاميين» وأعمالهم الإرهابية (التفجيرات الأخيرة في فرنسا مثلًا، الاعتداء على السّواح الأجانب في مصر...). ويغتذي هذا العداء بِخَلْطٍ غير مُبرَّر يجريه الناس هناك بين «الإسلاميين» والإسلام (تشجعه التسمية التي يتخذها «الإسلاميون» للإشارة إلى أنفسهم، وكأنهم بذلك يدّعون - بدون حقّ - احتكار الإسلام)، وهو خلط يحاول تبديده

الواعون بين الغربيين وبين المسلمين على حدّ سواء، وبينهم عَدَدٌ متعاظم من المسلمين الغربيين الشباب.

● وقد رأينا كم هو خطير هذا الاختلاط الفكري الذي ينتشر حاليًا شرقًا وغربًا، وكم يتطلّب منا وعيًا ننقله إلى من هم حولنا، وكم نحن مهدَّدون بالانزلاق إلى التعصّب حتى في الحركة نفسها(*) التي وَضَعت استنكاره في صُلب مبادئها الأساسية.

(*) المقصود: حركة الشبيبة الارثوذكسية.

ألحلقة رقم ١٩

إجتماع السبت ١٩٩٦/٣/٢٣

ألموضوع: تعاطي لوقا ٨:١٦–١٨

ألنصّ

«١٦: ما من أحد يوقد سراجًا ويحجبه بوعاءٍ أو يضعه تحت سرير، بل يضعه على منارة ليستضيء به الداخلون. ١٧: فما من خَفِيٍّ إِلّا سيُظهَر، ولا مِن مكتومٍ إلّا سيُعلَم ويُعْلَن. ١٨: فتنبَّهوا كيف تسمعون! لِأَنَّ من كان له شيء يُزاد، ومن ليس له شيء يُنتزع منه حتى الذي يَظنُّه له».

تعاطي النصّ

إختار فؤاد النصّ وتعاطته الفرقة. علّقت أنجليك على الآية ١٦، فأبرزت مسؤوليتنا في البشارة، وأشارت إلى أن النور الذي نخفيه ينطفئ فينا. ولفتتنا رُلى ح. إلى أن السراج الذي نوقده إنما هو المسيح نفسه (هنا ذكّر المرشد أن يسوع قال «أنا نور العالم» – يوحنا ٨:١٢). وعلّق حبيب على الآية ١٨ التي ورد في مطلعها: «فتنبّهوا كيف تسمعون!»، متسائلًا: كيف يمكننا أن نسمع كلمة

الله ؟ فأجاب المرشد : إنّ المهمّ ليس سماع الأذن بل سماع القلب ، ذاك الذي عبّر عنه صموئيل الطفل بهتافه جوابًا على نداء الله : « تكلّم يا رب ، فإنّ عبدك يسمع » (١ ملوك ٣ : ١٠) . سماع القلب هذا ، يعني أن ندع الله يمسّنا ، أن نقف منه موقف الشفافية ، أن نجعل أنفسنا على موجته نفسِها لكي يصبح الاتصال ممكنًا بيننا – بدون ذلك يبدو لنا كلامه مجرّد كلام (« كلامًا بكلام » كما في التعبير الشائع) ، يُلامِسُ سَمْعَنا دون أن يحرّك فينا شيئًا ، تغلّفه رتابة العادة وتحجب عنا حدّة معانيه وتحدّيها إيّانا (خلافًا لما اختبرته وعبّرت عنه فتاة مسلمة كانت تجتمع مع إحدى الفرق الحركية ، وكانت تقول إنها ، في كل مرة كان يقع فيها نظرها ، في مصلّى بيت الحركة ، على الآية الإنجيلية : « ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه » ، كانت تشعر أن كيانها يهتز برمّته تحت وقعها) . لا بل إننا ، بدون سماع القلب هذا ، قد نسيء فهم الكلام الإلهي ونسخّره لخدمة أهوائنا ، حتى إننا قد نبرّر به أبشع التصرفات ، من كراهية وعدوان مثلًا . من هنا – قال المرشد – أن المهم في عبارة « تنبّهوا كيف تسمعون ! » ، هو ، بالضبط ، كما لفتنا حبيب ، كلمة « **كيف** ». ثم ربط بين هذه العبارة « تنبّهوا كيف تسمعون ! » وبين باقي الآية : « لأن من كان له شيء يُزاد ، ومن ليس له شيء يُنتَزَع منه حتى الذي يظنّه له » ، فقال إنّ الذي « له » (أي إنه حقّق) هذا التواصل الصميم مع كلمة الله ، « يُزادُ له » ، لأن إلفته مع الله ، القائمة أساسًا ، تغتذي

تباعًا بهذا التواصل، فيزداد بها، باطّرادٍ، قوة وانتعاشًا؛ اما «من ليس له» هذا التواصل (أي من لم يُقِمْه منطَلَقًا لتعامله مع كلمة الله)، فتذوي وتتلاشى فيه، بسبب انقطاع الغذاء عنها، تلك الهوية المسيحية التي كان «يظنّها له».

قال نقولا إنه لا يرى الصلة بين الآيتين ١٦ و١٧. فأجاب المرشد انهما بالفعل موضوعان مختلفان يبدو أن الإنجيلي لوقا جمعهما هنا (مع أن يسوع أوردهما في مناسبتين مختلفتين) بسبب تشابه لفظيّ بين الآيتين («يحجبه»، في العدد ١٦، و«ما من خَفِيٍّ»، في العدد ١٧)، بموجب الأسلوب التحريريّ الذي يسمّيه مفسّرو الكتاب أسلوب «الكلمة العلّاقة» mot-crochet. وارتأى المرشد أنه يمكن، مع ذلك، ربط الآيتين من حيث المعنى على الوجه الآتي: قد نخفي نحن نور المسيح، إلّا أن هذا النور لا بدّ له أن يظهر ويشعّ، ولو عن طريق غيرنا، وقد يكون هؤلاء غير مسيحيين من حيث انتماؤهم الظاهريّ.

وأبدى فادي س.، وهو مرشد سابق للفرقة عُقد اجتماع اليوم في بيته، مداخلة قال فيها إنّ تَقَبُّلَنا لكلمة الله لا يكتمل اذا لم تدفعنا المحبة إلى حمل هذه الكلمة إلى الآخرين. فعلّق المرشد الحاليّ بقوله إن ما سبق وأشار إليه من ضرورة وضع أنفسنا على موجة الله نَفسِها، لا يتمّ إلّا إذا وضعنا أنفسنا على موجة المحبة، لأن «الله محبة. فمن أقام في المحبة أقام في الله وأقام الله فيه» (١ يوحنا ٤:١٦).

ألحلقة رقم ٢٠

إجتماع السبت ١٩٩٦/٤/٦

ألموضوع : خوارق العهد القديم : حقيقة أم خيال ؟

في هذا الاجتماع أجاب المرشد عن السؤال الآتي الذي طرحته الفرقة ، وهو من أسئلة رغبت الفرقة في طرحها بقصد أن تزداد تعرّفًا إلى العهد القديم :

« في العهد القديم صورة بارزة لِأعمال خارقة بشكل سحر لانفهم معناها . هل تلك الأعمال الخارقة حصلت ، أم إنها من نسج الخيال المتأثر بالبيئة التي كانت سائدة آنذاك ؟ »

نبّه المرشد إلى أن الموضوع مهمّ ودقيق ، وإلى أنه سيقدّم عرضًا عنه على دفعتين ، تكون أولاهما في اجتماع اليوم .

قال إن سرد الخوارق في العهد القديم لا يمكن فصله عن خلفية الذهنية التي كانت سائدة في ذلك الحين ، وقد فطن طارح السؤال إلى هذا الأمر وأشار اليه في سؤاله . ومن أجل إيضاح تلك الذهنية قال المرشد :

تُحدَّد الأعجوبة بأنّها ظاهرة تخالف قوانين الطبيعة . ولكن مفهوم قوانين أو نواميس للطبيعة إنما هو مفهوم حديث العهد ، ظهر

مع نشوء العلم الحديث، أي منذ القرن السابع عشر ليس إلّا. ففي القديم كان البشر يتصوّرون أن وراء كل عنصر من عناصر الطبيعة إلهًا يتحكّم به ويسيّره. فالرياح تهبّ لأن إله الريح يطلقها من جواربه، وتهمد عندما يلجمها ويستعيدها الى معقلها. والبحر يهتاج إذا كان إله البحر غاضبًا، ويهدأ إذا سكن غضبه. والبراكين تثور اذا أشعل إله البراكين حممها، وهكذا دواليك. إذًا، بموجب هذا التصوّر، لا تتحكّم بالطبيعة نواميس بل إرادات **تسيّر على هواها** قوى الطبيعة، ولا يبقى للبشر إلّا أن يحاولوا استمالتها كي تعمل لصالحهم ولا تؤذيهم. في طفولة البشرية، كانت تسود إذًا ذهنيّة «إحيائية» animiste، تنسب إلى قوى الطبيعة إرادة ورغبات تحركها كما تحرك السلوك البشري، وهي ذهنية تشبه ما يلاحظ عند الطفل من أنسنة لعناصر الكون، إذ يعتقد مثلًا أن الغيوم تقصد الذهاب إلى مكان ما لتسكب فيه مطرها، وأن الشمس تنظر إليه، لذا فهو يصوّرها في رسومه بوجه بشريّ.

ظهور التوحيد في الدين اليهودي أحدث انقلابًا في هذه العقلية، إذ جرّد قوى الطبيعة من صفتها الإلهية واعتبرها مجرد مخلوقات أبدعها الإله الواحد وجعل لها، بسلطانه، نظامًا لا تحيد عنه: «لأنه ثبّت المسكونة فلا تتزعزع» (مزمور ٩٢ :١)، «... قال فَصُنِعت، وأَمَرَ فَخُلِقَتْ، ووطّدها إلى الأبد وإلى أبد الآبدين، وأقام لها شَرِعَة فلا تَتَعدّاها.» (مزمور ١٤٨ :٥،٦) فمن يقرأ الفصل الأوّل من سفر التكوين يَرَه يبدأ بهذه العبارات: «في البدء خلق

الله السماوات والأرض» (تك ١:١). من هنا يُفهم أن السماء والأرض، اللتين كانتا تُعتبَران كائنين إلهيين، أصبحتا مجرد مخلوقات، وكذلك هي الحال بالنسبة لسائر الكائنات الأخرى. حتى إن الشمس والقمر اعتُبِرَا لا إلهين عظيمين، كما كان يُنظَر إليهما، بل مجرد «مصباحين» علّقهما الله في الفضاء ليضيء بهما الأرض (تك ١:١٦و١٧). هذا الانقلاب الفكري كان أساسًا لانطلاق العلم الحديث، لأن قوى الطبيعة، إذ جرّدها التوحيد من رهبتها الإلهية واستقلالها، وجعلها خاضعة لنظام ثابت وضعه الله لها، صارت، من جراء ذلك، قابلة للخضوع للاستقصاء العلمي وبالتالي لإمكانية تسخيرها لمشاريع الإنسان، الذي نرى الفصل نفسه من سفر التكوين يمنحه سلطانًا على الكون هو انتداب لسلطان الخالق (تك ١:٢٦).

إلّا أن بروز الإيمان بالإله الواحد لم يقضِ بالكليّة على التصوّرات القديمة التي تسرّبت رواسبها الى تصوّر الناس لله نفسه، بحيث لم يقيموا بما فيه الكفاية التمييز بينه وبين الكون الذي خلقه، فتصوروا (كما لا نزال نحن نتصور، للأسف، إلى حدّ بعيد) أن كل ما يجري في الكون صادر مباشرة عن إرادة الهية لا عن طبيعة الكون ونظامه، وتخيّلوا الله متحكمًا بكل شاردة وواردة في الدنيا وفقًا لمقاصده، كما يتحكّم صاحب مسرح الدمى بكل حركة من حركات دماه. ولنا على ذلك شواهد في نصوص العهد القديم. فقد ورد مثلًا في المزامير: «فأرعد الله من السماء والعليّ

أبدى صوته. أطلق النبال فَفَرَّقَهم وأرسل البروق فأَربكَهم» (مز ١٧:١٣و١٤)، ما يُفهم منه أن الرعد والبرق ليسا مجرد ظواهر كهربائية تتحكّم بها نواميس فيزيائية، بل أن الرعد إنما هو صوت الله والبروق نبالٌ يطلقها ليدمّر بها اعداءَه. كذلك نقرأ عن الله في السفر نفسه: «الذي ينظر إلى الأرض فيجعلها ترتعد ويمسّ الجبال فتدخّن» (مز ٣٢:١٠٣)، ما يفيد ان الزلازل ناتجة عن أن الأرض تصيبها الرجفة إذا نظر الله إليها، وأن انفجار البراكين ناتج عن ملامسته الجبال. هذه التصوّرات لا تزال، كما قلنا، شائعة إلى يومنا هذا، إذ ننسب مثلًا إلى الله كلّ تقلّبات الطقس، ونقول عنها، اذا كانت مزعجة: «هذا غضب!»، كما لو كانت تقلّبات الطقس تعكس، في نظرنا، تقلّبات المزاج الإلهي! ونتخيّل أن الله يزلزل الأرض عندما تحدث الهزّات الأرضية، فيمسح المدن ويدمّرها على رؤوس ساكنيها. وإذا أصابنا مرض أو مكروه، نهتف بذهول ومرارة «شو عملتلّو لَ الله؟» (ماذا تُراني صنعتُ لله حتى يعاملني هكذا؟)، ونتمنى بعضنا لبعض: «ألله لا يضرّك»، ونقول أحيانًا عمّن أصابته مصيبة: «ما بيستاهل» (أي إنه لا يستحق ذلك)، وكأننا نتصور الله يرشق البشر بمختلف الاضرار التي تلحقها الحياة بهم، عن استحقاق منهم أو حتى عن غير استحقاق! كل هذه التصوّرات النابعة من وثنية قديمة جدًا لا تزال رواسبها كامنة في نفوسنا، تلحق أفدح التشويه بإيماننا بالإله الواحد، خصوصًا كما انكشف لنا في يسوع المسيح.

من هذه الخلفية ينبغي ان ننطلق إذا شئنا أن نفهم سَرْدَ الخوارق في العهد القديم، ونميّز بين الحقيقة التي تُبطنها والقالب الخيالي الذي تُغَلَّف به تلك الحقيقة.

فالشعب اليهودي عاش خبرة فريدة، كانت أساسية في حياته وتاريخه، وهي خبرة رعاية حميمة اكتنفه الله بها، وتجلّت مُرافَقَةً له واعتناءً به وحنوًّا عليه. تلك هي الحقيقة. فقد شاء الله، لمجرد حنانه، أن يخصّ هذا الشعب، الذي لم يكن افضل من سواه، بعناية مميَّزة، لا ليُعْليه فوق غيره، بل ليجعل منه مَعبَرًا لنوره وحقّه وسلامه إلى جميع أمم الارض. خبرة هذه العناية الفائقة عاش العبرانيون وجهًا رئيسًا لها عندما كانوا مستعبَدين في مصر، محكومًا عليهم بالأشغال الشاقّة وبالإبادة، إذ اختبروا، بعد ان بلغوا اسفل دركات البؤس، أنهم استطاعوا أن يتحرّروا، لا بقدرتهم الخاصّة - فقد كانوا لا حول لهم ولا طول حيال جبرؤوت فرعون ودولته (التي كانت حينذاك بمثابة ما نسميه اليوم بـ «القوى العظمى») - بل باقتدار الله الذي مدّ لهم يد المعونة وحطّم نيرهم وقادهم، على يد موسى، إلى رحاب الحرية. وقد تجدّد اختبارهم هذا للعضد الإلهي، لدى اجتيازهم لاحقًا ظروفًا عصيبة من تاريخهم، مثلًا عندما أتيح لهم أن يعودوا إلى أورشليم، بعد نفي دام أربعين سنة إلى ما بين النهرين، وأن يعيدوا بناءَها وبناء هيكلها بعد ان دمّرها الكلدانيون الفاتحون.

ولما شاء هذا الشعب أن يعبّر عن اختباره رعايةَ الله الفائقة له،

انطلق من الذهنية السائدة آنذاك والتي اسلفنا وصفها، وقلنا انها كانت تتصور الله متحكمًا مباشرة في كل ظاهرة من ظواهر الكون. لذا لجأ إلى الخوارق ليصوّر بها عظمة العناية التي تلقّاها من الله.

فمثلًا، عندما خرج العبرانيون من مصر، كان عليهم اجتياز البحر الأحمر بسرعة لأن الجيش الفرعوني كان يطاردهم، ولم تكن الوسائل متوفّرة لديهم لتحقيق هذا الغرض. ومع ذلك توصّلوا إلى إنجازه بصورة لم يكونوا يتوقعونها، رأوا فيها يد الله، أي إنّهم شعروا بأن الله أرشدهم إليها وسهّلها أمامهم. فعبّروا عن ذلك بالأسلوب الملحميّ (والملاحم، عند كل الشعوب، تنطلق من حدث تاريخي كان له أهمية مصيرية بالنسبة لهذا الشعب، فتضخّم بالخيال هذا الحدث وتعطيه حجمًا أسطوريًا بقصد ابراز اهميّته الفائقة) ورَووا أن الله شقّ البحر أمامهم، فانتصبت مياهه من كل جهة مفسحة أمامهم طريق المرور على اليابسة:

«ومدّ موسى يده على البحر، فدفع الربّ البحر بريح شرقية شديدة طوال الليل، حتى جعل البحر جافًا، وقد انشقَّت المياه. ودخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليَبَس، والمياه لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم.»

(خروج ١٤: ٢١و٢٢)

مَثَل آخر: في فترة لاحقة، زحف سنحاريب ملك أشور بجيش جرّار على اورشليم ليغزوها، وكان ذلك في زمن الملك

حزقيا (راجع سفر الملوك الرابع، الفصلين ١٨و١٩). فهلع قلب سكانها، اذ أنّى لهم، وهم الشعب الصغير، ان يقفوا في وجه الامبراطورية الأشورية العملاقة. فشدَّدَ النبي اشعيا عزائمهم واعدًا إياهم بنصرة الرب لهم. وإذا بهم يُفاجَأون ذات يوم بانسحاب الجيش الأشوري، الذي كان يضرب الحصار على مدينتهم، مخلّفًا وراءَه آلافًا من الجثث. ما حصل، على الأرجح، هو أن وباء الطاعون تفشّى في المعسكر الأشوري وفتك بالعديد من المقاتلين، ما اضطّر الباقين إلى الانسحاب. إنها بحدّ ذاتها ظاهرة طبيعية حصلت مرارًا في تاريخ الحروب: ففي نهاية القرن الثامن عشر، اضطرّ بونابرت ان يرفع الحصار عن عكّا لأن الطاعون أخذ يفتك بجنوده. ولكن حصول هذه الظاهرة الطبيعية في هذا الظرف بالذات الذي كان فيه الشعب اليهودي معرَّضًا للإبادة والدمار، وبعد وعد النبي إشعيا له بمعونة الله، أدركه هذا الشعب على أنه إشارة إلى وقوف الله إلى جانبه لينقذه من خطر مميت. لذا صَوَّركما يلي انهزام الاشوريين:

«وكان في تلك الليلة أَنْ خَرَجَ ملاك الربّ وقتل من عسكر أشور مئة ألف وخمسة وثمانين الفًا. فلما بكّروا صباحًا، إذا هم جميعًا جثث اموات. فَرَحَل سنحاريب ملك أشور، ومضى راجعًا ...»

(٤ ملوك ١٩:٣٥و٣٦)

مجمل الكلام أن خوارق العهد القديم إنما هي تعابير

أسطورية – لعب الخيال إذًا دورًا في صياغتها – لحقيقة الرعاية التي اختبر شعب هذا العهد أن الله أحاطه بها في ظروف عصيبة من تاريخه، ولو كان ذلك عبر عوامل طبيعية مؤاتية، وذلك انطلاقًا من يقينه بأن الله سيد الطبيعة والكون، وأن لا شيء يجري فيهما إلّا بإذنه ومعرفته.

* * *

هذا ما يدعونا إلى مزيد من التعمّق في الموضوع ليتّضح لنا، بأكثر دقّة، ما هي طبيعة علاقة الله بالكون، وكيف أن مرجعيته المطلقة لا تنفي حقيقة ذاتية الكون وتمايزه. هذا التوضيح الذي تُرك لاجتماع لاحق، سوف يسمح لنا أن نتبيّن أن الأعجوبة بمعناها الدقيق (أي كخروج في الظاهر عن نواميس الطبيعة) ممكنة، وأنها ليست دائمًا تعبيرًا أسطوريًّا عن عناية الله(*).

(*) هذا البحث هو موضوع ملحق أضيف إلى هذا الكتاب بعنوان: ألأعجوبة علامة ونبوءة. قراءة للأعجوبة في ضوء علاقة الله بالكون.

ألحلقة رقم ٢١

إجتماع السبت ١٩٩٦/٤/١٣ (السبت العظيم)

ألموضوع : إحتفال بعيد الفرقة . معاني القيامة .

صادف أنّ هذا السبت (وهو اليوم الذي تعقد فيه الفرقة ، منذ فترة ، اجتماعها الأسبوعي) تزامن هذه المرة مع السبت العظيم ، أو ما نسميه شعبيًا « سبت النور » ، والذي ، بسبب هذه التسمية اتُخِذَ عيدًا للفرقة (كونها تُدعى « فرقة **نور** الراعي الصالح ») . لذا احتفلت الفرقة اليوم بعيدها السنوي بحضور أحد عشر من أعضائها . وكان قد اتُفِقَ، في الاجتماع السابق ، على أن يتمحور هذا الاحتفال حول خبرات وشهادات يدلي بها من شاء من أعضاء الفرقة حول ما تعنيه القيامة بالنسبة اليهم .

وقبل الشروع بتنفيذ هذا البرنامج ، تلا المرشد صلاة عفوية خاطب الربّ فيها قائلًا إنّ الفرقة تعيّد بالفعل لا لذاتها بل للنور الذي تسمّت به وهو نور القيامة الذي فاض من القبر وأضاء الكون ، وإنّ ما سوف يُقال في الاجتماع إنما غايته التعمّق في فهم هذا النور المحيي . ثم تطرق في صلاته الى معاناة لبنان الحاضرة (وهو يتعرض للغارات الإسرائيلية التي آلت ، في آخر المطاف ، إلى

مجزرة قانا الوحشية)، وسأل الرب الذي يعلو حبه على الغطرسة والعنف والأحقاد، أن يبسط رأفته وحنانه على بلدنا البائس، وأن يعيد إلى الجميع إنسانيتهم، وأن يحفظ الذين يواجهون المخاطر، وأن يحمي من يضعهم واجبهم في المقدّمة، ومنهم أخونا فادي (الذي كان يقوم آنذاك بخدمة العلم، وكان محجوزًا في مركزه في ذلك الظرف العصيب، كسائر الجنود اللبنانيّين).

ثم اعطت أنجليك، أمينة سرّ الفرقة، الكلام لمن شاء من الإخوة التحدّث، إن بصورة مباشرة أو بشكل صلاة عفوية، عمّا تعني له القيامة.

فعبّر كل من أنجليك ونقولا وإيلين (التي انضمّت في هذا الاجتماع، للمرة الأولى، إلى الفرقة)، على التوالي، عن خبرتهم للقيامة، بشكل صلوات عفوية مؤثّرة نابعة من واقعهم المعيوش (مما قالته أنجليك، أنها صارت تشعر أن القيامة إنما هي قيامتها هي). وتُلي مزموران مرتبطان بالسرّ الفصحيّ: المزمور ١٥ (وقد تلته مارينا) والمزمور ٢١ الذي تفوّه يسوع ببدايته على الصليب عندما صرخ: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟» (والذي تلاه الياس، بعد أن شرح المرشد باختصار ارتباطه بآلام السيد وبقيامته). وكانت تتخلّل الكلمات والقراءات، تراتيل فصحية أنشدتها، بصوتها الجميل، كارولين (التي غدت من نجوم الأغنية اللبنانية الصاعدات).

وأدلى المرشد بمداخلة عرض فيها مقاربته الشخصية لسر القيامة

الذي يتجاوز، بعمقه ورحابته، كل إدراك بشريّ. فانطلق من العبارة الليتورجية: « وطئ الموت بالموت »، مبيّنًا أن الله، الذي، من حيث طبيعته، لا يذوق الموت، صار، حبًّا، بيسوع المسيح وعبر إنسانيته، ذائقًا موتَنا، بوجهيه الطبيعي والروحي، ليكون معنا فيه ويحررنا بقدرته. فمن حيث الموت الطبيعي (الذي لا ينحصر في انتهاء الحياة - الذي ليس سوى تتويج له - بل يتعداه إلى كل تلك « الميتات بالتقسيط » التي تعتري سياق حياتنا وتنغّصه، كالخيبة والفشل والحرمان والفراق والعزلة والمرض والالم والحزن والعجز واليأس، تلك الخبرات التي يُخال لنا، إذا اجتزناها وعانينا فيها من انحسار الحياة عنا، أن الله نفسه - وهو ينبوع الحياة وسيّدها - قد تخلّى عنا)، فقد شاركَنا يسوعُ حزنَنا إذ تجرّع كأسه حتى الثمالة (« نفسي حزينة حتى الموت »، مرقس ١٤:٣٤)، وشاركَنا موتَنا بأبشع صورة (إذ إن موت الصليب هو من أشنع طرق الإعدام التي ابتكرها خيال البشر المنحرف والشرير). والأمر المذهل إلى أبعد حدّ، هو أن الله شاء أن يذوق، عِبَر يسوع، مرارة ما نعانيه من « التخلّي الإلهي » (كما نسمّيه) والغربة عن الله، حين ندرك أدنى دركات البؤس والشقاء: « إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟» (مرقس ١٥:٣٤). كلّ ذلك، لكي لا نشعر في ساعات بؤسنا، أننا مرميّون فيه لوحدنا، بل نسمع يسوع، والله فيه، يخاطبنا قائلًا: « لا تخف، فأنا معك في بؤسك لأني عانيته معك ومثلك. لذا فأنت أعظم منه! إنتصب إذًا، إرفع رأسك، فإن ما من شيء قادر

على تحطيمك طالما أنا معك. وحتى إذا بلغت حياتُك نهايتها، فسأكون آنذاك معك وإلى جانبك، وسأحملك على منكبيّ إذا ما اجتزتَ «وادي ظلّ الموت» (مز ٢٢:٤)، وأغلّب الحياة فيك على الفناء، وأجعل من موتك «فصحًا»، أي عبورًا إلى «أرض الأحياء». فاعلم إذًا أن الكلمة الاخيرة ليست للعدم بل للحبّ الظافر بي على قوى التفكّك والفناء.»

أما من حيث الموت الروحيّ، الذي هو موت الحبّ أو انتقاصه فينا (تلك هي «الخطيئة»، وهي عبارة لم يعد يفهمها إنسان اليوم)، والذي به تموت انسانيتنا، ويُحكَم علينا بالتفاهة، ونصبح متشبهين بصالبي المسيح، لأننا نقتله فينا عندما نطفئ في ذواتنا شعلة الحبّ، فيسوع، والله فيه، يخاطبنا هنا ايضًا قائلًا: «لا تيأس، فإنني لن أتركك وحدك في خطيئتك. فقد ألقيت بنفسي في عالم شرورك وخطاياك، لا كمرتكب للخطيئة (فهي غريبة عنّي) بل كضحية لها، لذا فأنا معك، إذا شئتَ، في مواجهتها، ولسوف أحرّرك منها، اذا وضعت يدك الضعيفة في يدي، وأُوقِظ الحبَّ فيك من جديد وأُعيدك إلى ذاتك الحقيقية، إلى أصالتك، فانتصِبْ وتشجَّع وثِقْ وناضل معي حتى الغلبة.»

وخلص المرشد إلى القول: لقد انحدر الله، في يسوع، إلى جحيمنا (إذ الجحيم هو الغربة عن الله الناتجة إن عن الموت الطبيعي او عن الموت الروحي) ليحرّرنا من الجحيم. هذا ما تصوّره إيقونة القيامة التي ترسم الناهض من الأموات، بثيابه البيضاء كالنور،

يمسك بيديه المقتدرتين يد كل من آدم وحواء (وهما يمثّلان هنا البشرية برمّتها) ليصعدهما من الهوّة إلى رحابة الضياء.

وأنهى المرشد مداخلته بصلاة عفوية قصيرة قال فيها: إن حبّك، يا ربّ، لمُحيِّر، مذهل، ما كان ليخطر على بالنا لو لم تكشفه لنا. فأعطنا أن ندركه ونتصرف بموجبه، فيولد فينا الحبّ لك ولإخوتنا.

بعد ذلك شاركت الفرقة في مائدة محبة بسيطة احتفالاً بالعيد.

ألحلقة رقم ٢٢

إجتماع السبت ١٩٩٦/٤/٢٠

ألموضوع: تعاطي متّى ٢٥: ٣١-٤٦

« وإذا جاءَ ابنُ الإنسانِ في مَجْدِهِ، تُواكِبُهُ جَميعُ الملائِكَة، يَجْلِسُ على عَرْشِ مَجْدِه، وتُحْشَرُ لَدَيهِ جميعُ الأُمَم، فَيفْصِلُ بَعضَهم عَن بَعْضٍ، كما يَفصِلُ الرَّاعي الخِراف عَنِ الجِداء. فَيقيمُ الخِرافَ عَن يَمينِه والجِداءَ عَن شِماله. ثُمَّ يَقولُ الملكُ لِلَّذين عن يَمينِه: « تَعالَوا، يا مَن بارَكَهُم أَبي، فَرِثُوا الملكوت المُعَدَّ لكُم مُنذُ إِنشاءِ العالَم: لِأَنِّي جُعتُ فَأَطعَمتُوني، وعَطِشْتُ فسَقَيْتُموني، وكنتُ غريبًا فآويتموني، وعُريانًا فكَسَوْتموني، ومريضًا فعُعدْتموني، وسَجينًا فَجِئتُم إليَّ ». فَيُجيبُه الأَبرار: « يا ربّ، متى رَأيناكَ جائعًا فَأَطْعَمناك أَو عَطشانَ فَسَقَيناك؟ ومتى رأيناكَ غَريبًا فَآوَينَاكَ أو عُريانًا فَكَسَوناكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَريضًا أو سَجينًا فَجِئنا إِليكَ؟ » فَيُجيبُهُم المِلِك: « ألحقَّ أقولُ لكُم: كُلَّما صَنَعْتُم شَيئًا من ذلك لواحدٍ من إخوتي هَؤلاءِ الصِّغار، فَلي قد صَنَعتُموه ».

ثم يقولُ لِلَّذينَ عَنِ الشِّمال: « إِليكُمْ عَنّي، أَيُّها

الملاعين، إلى النّار الأَبَدِيَّة المعَدَّةِ لإِبْليسَ وَملائِكتِه: لِأَنّي جُعْتُ فما أَطْعَمتُموني، وَعَطِشتُ فما سَقَيتُموني، وكُنتُ غَريبًا فما آويتُموني، وعُريانًا فَمَا كَسَوْتُمُوني، ومَرِيضًا وسَجينًا فَما زُرتُموني». فَيُجيبُه هؤلاءِ أيضًا: «يا ربّ، متى رَأيناكَ جائعًا أو عطشان، غَريبًا أو عُرْيانًا، مريضًا أو سجينًا، وما أسعَفْناك؟» فيَجيبُهم: «ألحقَّ أَقولُ لَكُم: أَيَّما مَرَّةٍ لَم تَصنَعوا ذلك لِواحدٍ مِن هَؤلاءِ الصِّغار فَلي لَم تَصنَعُوه». فَيَذْهَبُ هَؤلاء إِلى العَذابِ الأَبَديّ، والأَبرارُ إِلى الحَياةِ الأَبدِيَّة».

* * *

أعدّ المقطع نقولا وتلاه. ذكر للفرقة ما يعنيه له هذا المقطع، الذي قال إنه يحبّه بنوع خاص، وبيّن أن محبتنا لله تظهر فيه مرتبطة بمحبتنا للإنسان. وفي مداخلة لاحقة له، روى قصةً تشير إلى أن المسيح لا يقبل صلاة المؤمنين به، إذا هم أهملوا إخوتهم البائسين. ثم دعا المرشد جميع أعضاء الفرقة إلى التفاعل مع هذا المقطع بخواطرهم وخبراتهم وتساؤلاتهم، وأوضح أن لكل منهم كلمة فريدة لا يستطيع سواه أن يقولها عنه.

تكلّمت أنجليك، فشهدت كيف أن «الخراف» و«الجداء» الذين يتكلم المقطع عليهم، يتجاذبانها هي ويشدّانها كلّ الى طرفه. وطرح إيلي أسئلة، منها: لماذا المسيح، الذي يسمّي نفسه هنا «ابن الانسان» ويظهر عادة بمظهر التواضع، يبدو في هذا المقطع بمظهر الجبرؤوت؟ وأيضًا: لماذا يُرسل الأشرار إلى النار، وما

هي هذه النار؟ أجاب حبيب وإيلان عن السؤال الثاني، بإيضاحهما أن هذه النار إنما هي عذاب الغربة عن الله. وأبدت إيلان كم هو مهمّ أن نرى صورة الله في الآخرين، وكيف أن ذلك حريّ بأن يغيّر مجرى حياتنا، وأشارت بآن الى صعوبة ذلك الأمر، ولمّحت الى نقاش قالت إنه طالما يدور بين مرشدي أسرة الطفولة (وهي منهم) حول ما إذا كان الإنسان يدين نفسه أو أن الله يدينه، وقالت إن الجواب الأوّل شائع بينهم، ولكنها ترى أنه، إذا صحّ أن الإنسان يدين نفسه، فالله يدينه ايضًا. وأشارت إيلان إلى قصة الرجل الذي شاء أن يلقى الله، ولكن كُشِفَ له أنه فَوَّت هذه الفرصة على نفسه برفض لقاء أناس كانوا محتاجين إليه (نثبت هذه القصة كملحق لهذه الحلقة).

ثم أبدى المرشد مداخلة ختامية، اجتهد أن يجيب فيها عن التساؤلات المطروحة:

● عن تسمية يسوع بـ «**ابن الانسان**»، قال إن هذه العبارة – التي كان السيد يحب بنوع خاص أن يطلقها على نفسه – لها خلفيّات كتابية تشير بآن الى الضعف («فما هو الإنسان حتى تذكره أو ابن الإنسان حتى تفتقده؟» مزمور ٨:٤)، وإلى المجد والعظمة (ففي رؤيا النبي دانيال نقرأ حديثًا يظهر فيه «ابن الانسان» آتيًا على سحاب السماء ليتسلّم سلطة إلهية على الكائنات:

«وكنت أنظر في رؤياي ليلًا

فإذا بِمثلِ ابن انسان
آتٍ على غمام السماء
فَبَلَغَ الى قديم الأيّام
وقُرِّبَ إلى أمامِه
وأُوتيَ سلطانًا ومجدًا وملكًا
فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه
وسلطانه سلطان أبديّ لا يزول
ومُلكُه لا ينقرض.» دانيال ٧:١٣-١٤)

هكذا المسيح اتخذ انسانيتنا بكل هشاشتها ومعطوبيتها – ما عدا الخطيئة – ولكنه رفعها إلى المجد الإلهي. ولكن هذا المجد ليس «جبرؤوتًا»، كما قد نتصوّر، لأنه هكذا يكون غالبًا مجد البشر، بل هو مجد المحبة. فمجد الله هو أن يحبّ، كما ان مجد الشمس هو أن تنير، ومجد النبع أن يروي، ومجد الأب أن يحيي ويُنمي البنين.

● إذًا، فما معنى «النار الأبدية»؟ إن الانسان، في اليوم الاخير، ينتصب عاريًا من كل ما يخدع به عادة ذاته والآخرين، امام نور الله الكاشف، الذي يريه ذاته على حقيقتها ويقطع عليه طريق التهرّب مِن مواجهتها. بهذا المعنى «يدينه الله»، كما قالت ايلان، وليس بمعنى أنه يلفظ حكمًا عليه. عند ذاك لا بدّ للإنسان أن يعرف، في «ساعة الحقيقة» هذه، إذا كان فعلًا يُحبّ او لا يُحِبّ. فإذا

انكشف له أنه لا يحبّ، وأنه رسّخ نفسه نهائيًا في موقف الرفض والانكفاء هذا، وجد نفسه محشورًا في مأزق مصيريّ أعدّه هو لنفسه. لِأَنَّه من جهة يدرك – وقد عرّاه الموت من خيرات الأرض، التي هي في الأصل عطايا إلهية، ولكنه حوّلها إلى مخدّر يلهو به، موهمًا نفسه أن بمقدور هذه الخيرات ان تغنيه عن معطيها – أن عطشه إلى الحياة والفرح لا يرويه إلا الله وحده الذي على صورته خُلق. ومن جهة أخرى، يرى نفسه مقيّدًا الى ذاته، عاجزًا عن تجاوزها ليلقى الله، الذي اتضح له الآن أنه بغيته وحاجته الجوهريّة. أما عجزه هذا عن لقاء الله، فليس ناتجًا عن أن الله يقصيه – فالله لا يزال يحبّه وينتظره فاتحًا له ذراعيه – بل عن كونه اختار هو أن يقطع الطريق بينه وبين الله، بانهماكه بذاته واتخاذها محورًا للوجود، ورفضه التجاوب مع الحبّ المقدَّم له من خالقه. عندئذ يلتهب بعطش ليس له ما يرويه سوى فراغه الذاتي، فيكتوي باحتراق شبيه بفعل النار (من هنا صورة «النار الأبدية»). هكذا نرى أن حقيقة الأمر ليست أن الله «يُرسله» إلى النار لينتقم من عدم حبّه، بل أنه هو يلقي بنفسه في «النار» لإصراره على الغربة. والله يعاني من مأساته أكثر مما يعاني هو نفسه، لسبب بسيط وهو أن الله لا يزال يحبه، أكثر مما يحبّ هو نفسه. ولكن لا حيلة لله في ذلك، لأنه مُقيّد بحرية الانسان: فالحب لا يمكن أن يحصل بالإكراه، لذا يملك الإنسان قدرة مخيفة على إفشال أمنية الله بإشراكه في فرحه.

أضاف المرشد أن هذا المقطع الإنجيلي يخبرنا أن موضوع الدينونة سوف يكون الحبّ وليس شيئًا آخر (كالأصوام والصلوات ، وحتى استقامة المعتقَد ، على أهمية كل ذلك) . ولكن هذا الحبّ ينبغي أن يثبت أصالته بأعمال **ملموسة** (« يا أبنائي الصغار لا تكن محبتنا بالكلام او باللسان بل بالعمل والحق » ، ١ يوحنا ٣:١٨) ، يعدّد بعضها هذا المقطع ، نسديها **فعلًا** للمحتاجين إلى عون ماديّ او معنويّ ، لأن « إذا قال أحد : « إني أحبّ الله » وهو لا يحبّ أخاه ، كان كاذبًا ، لأن الذي لا يحبّ أخاه وهو يراه ، لا يستطيع أن يحبّ الله وهو لا يراه » . (١ يوحنا ٤:٢٠) .

ولفت المرشد نظر الفرقة إلى كلمة « **الصغار** » الواردة في النصّ ، والتي هي بالغة التعبير ، لأن المطلوب هو أن ننتبه إلى الذين لا يراهم أحدٌ ولا يسمعهم ولا يحسّ بهم ، لانهم غير مهمين في نظر الناس ، في حين أنَّ من يعتبرهم هؤلاء « مهمّين » يملأون الأنظار بمظاهرهم ، والأسماع بضجيجهم ، ويتهافت الكلّ على التماس رضاهم .

ملحق

(نثبت في ما يلي نصًا أشارت إليه إيلان في مداخلة لها ، وهو من النصوص التي تُستعمَل في اللقاءات الصلاتيّة في فرع الميناء لحركة الشبيبة الأرثوذكسية) .

لقد كان هناك

« كان رابّي إسحق (...) رجلًا بارًّا وتقيًّا . كان يدرس الكتاب المقدس ليلًا ونهارًا ، ويطبّق بدقّة كلّ أوامره . وقد ذاع صيته ، وقَصَده الناس من بعيد يستشيرونه .

وفيما كان يتقدّم بالسنّ كان يشعر بتعاظم رغبته في أن يرى أخيرًا ذلك الاله الذي كان يخدمه منذ سنين طويلة . وذات مساء ، لم يعد يتمالك نفسه فصلّى هكذا : يا ربّ ، إله آبائي ، إصرف وجهك عن ذنوبي ، أنظر إليّ نظرة تعطّف . وإذا كُنتُ قد وجدتُ حظوةً في عينيك ، فامنحني نعمة أخيرة : إسمح بأن أرى وجهك ولو للحظة واحدة قبل وفاتي . حينذاك أَرقد بنفس مطمئنة رقادي الأخير .

فسُمِع من أعلى السماء صوت القدّوس ، تبارك اسمه ، يقول : يا إسحق ، خادمي الأمين ، فليكن لك ما طلبتَه ، ففي السبت المقبل ، منذ عودتك من المجمع ، كن مستعدًا ، فإنني سوف أُومِئُ إليك .

فغَمَرالفرح رابّي إسحق واستعدّ للقاء ربّه بالصيام وتكرار أعمال التطهير الطقسية وقراءَة الكتاب مرارًا دون هوادة. وإذ أقبل السبت ، أسرع إلى مغادرة المجمع وقفل راكضًا إلى منزله .

كانت حركة كبيرة تدبّ في البيت . واستُقبل الرجل بهتافات الفرح : فمنذ قليل كانت كنّته قد وضعت قبل ميعادها فأنجبت أول أحفاده . وصاح به ابنه البكر من بعيد : تعالَ وانظرهما . ولكنه دفعه

من طريقه وهو يغمغم: حسن، حسن جدًا، سنترك الأمر لمرة أخرى، واندفع الى السلّم المؤدّي الى السطح حيث كان من عادته ان يصلّي، واختفى فيه بعد أن منع بصراحة أن يزعجه أحد، حتى ولو كان ذلك بداعي حمل الطعام اليه.

وفيما كان يصعد الدرجات بأسرع ما يمكن، اصطدم بأحد تلامذته، (الذي هتف به قائلًا): رابيّ، إن صديقي قد اتُّهِمَ زورًا. فإن لم تأتِ لتدافع عنه، سيدينه قضاة ظالمون. أتوسّل اليك، فلنذهب كلانا دون أي تأخير! ولكنه صاح بأعلى صوته: مستحيل اليوم، وقد أخذه رُعب مجنون لدى تفكيره باحتمال تفويت موعده.

ولما صار وحده على السطح، أخذ بالصلاة، وانتظر. إنتظر كل فترة الصباح، إنتظر كل فترة بعد الظهر. ولكن القدوس، تبارك اسمه، لم يكن ليُظهر ذاته بعد. فكّر: لا بدَّ ان صلاتي تنقصها الحرارة. قد أكون أطلتُ الحديث فوق اللزوم مع ابني أو تلميذي. قد تكون أصوات الشارع تدفعني الى الشرود. لذا صمَّم أن يسجد وأن لا يبدي حراكًا في ما بعد مهما حصل.

ولكنه عبثًا حاول سدّ أذنيه عن الصراخ والضجيج اللذين تصاعدا فجأة من السلّم، فلم يسعه تجنّب سماع الصوت الذي كان يصيح في أذنه بنبرة ثاقبة: باسم الإله الحيّ، إرحمني يا سيّد، أعطني قليلًا من المال، فأنا محروم من كل شيء وأنت غنيّ. ولكنه لم يُجِب حتى ولا برفع رأسه. وكان انفراجه عظيمًا عندما

سكتت أخيرًا أنّات الدخيل وقد طرده الخدم بضربات كبيرة من هِراواتهم.

عاد رابيّ إسحق إلى انتظاره المنفرد. حلّ المساء ثم هبط الليل، ولكنه كان لا يزال وحيدًا. وأخيرًا انفجر يأسه. فمزّق ثيابه وشكا بمرارة: ماذا فعلتُ بحقّك، يا إلهي، حتى أنك نسيتني على هذا المنوال؟ كيف يمكن أن تهمل أنت، على هذه الصورة، ما قَطعتَه من وعود؟

عند ذاك سُمع من أعلى السماء صوت القدّوس، تبارك اسمه، يقول بصراحة: لم أنْسَكَ، يا إسحق. على دفعتين، أرسلتُ بطلبك. وفي المرة الثالثة أتيتُ بنفسي. ولكنك لم تصغِ إليَّ قط، وقد تَرَكتَني أُطرَدُ من بيتك.»

عن اسطورة من التراث الروحيّ اليهوديّ معرَّب عن مجلة ALLIANCE، العدد ٣٩/ ٤٠، أيار – آب ١٩٨٥، منشور في كتاب: نصوص للتأمل والصلاة

الصادر عن حركة الشبيبة الأرثوذكسية – فرع الميناء – مجلس الإرشاد، ١٩٩٣، ص ١٩–٢٠

ألحلقة رقم ٢٣

إجتماع السبت ١٩٩٦/٤/٢٧

ألموضوع: «لِمَ التعصّب بين الطائفة المارونية والطائفة الأرثوذكسية؟»

عادت الفرقة في هذا الاجتماع إلى الأسئلة التي كانت قد طرحتها، والمتفرعة من موضوع عام هو «التعصّب الطائفي». فتعاطت اليوم العنوان المذكور أعلاه.

أعطى المرشد الكلام للفرقة على أن يدير حبيب كالعادة تعاقب المداخلات. فتكلم نقولا وأنجليك وإيلان وسمر وإيلي ورُلى ح. وحبيب، وأبدوا خواطر وتساؤلات تمحورت حول موضوع المناولة المشتركة بين الكنيستين. وقد أيّد بعضهم ممارستها، فيما عارضها البعض الآخر من باب التمسّك بالعقيدة.

وقد أبدى المرشد مداخلة ختامية امتنع فيها، كما قال، عن تغطية الموضوع بكل سَعَتِه، ومكتفيًا بالتفاعل مع ما ورد في مداخلات الاعضاء. فأشار إلى الاختلاف بين التمسّك بالعقيدة (الذي ورد ذكره في مداخلات إيلي وإيلان وحبيب، وقد دعاه هذا الأخير «التزامًا») وبين التعصّب (الذي ورد تحديد له عند

أنجليك وإيلان) . بيّن المرشد أن التعصّب قد يوجَد ، كما أشارت إيلان ، عند من لا يمارس دينه ، وقد يكون ، في هذه الحال ، تعصبًا لكتلة اجتماعية ، لنوع من القبيلة أو العشيرة ، لا يُعتبر المذهب الديني إلّا مجرّد شعار لها (وقد لفت بالمناسبة ، إلى الاستعمال المعبِّر لكلمة « طائفة » ، بدل « كنيسة » ، في السؤال الذي نحن بصدد تداوله اليوم) . هذا التعصّب لتكتّل اجتماعي يوجِد ، عند المنتمي إليه ، النفور والكراهية لمن ينتمي الى تكتلات مختلفة لمجرد كونها مختلفة ، وكأنّ لتكتّله وحده الحقّ بالوجود . ولكن التعصّب قد يتّخذ أيضًا شكل تديّن يتّسم بالتقوقع والانغلاق اللذين اشارت اليهما أنجليك ، إذ لا يعتبر صاحبه أن معتقده هو أكمل وجه للحقيقة وحسب (كما هو طبيعي بالنسبة لمؤمن) بل يتصور أن ذلك المعتقد يحتكر وحده الحقّ والنور والخير والجمال ، وأن كل ما عداه ما هو إلّا ضلال وظلمة و« نفايات » . وكأنّه يتوهّم أنه وأهل جماعته يمتلكون الله ويحصرونه فيهم .

أما عن موضوع المناولة (التي تساءلت كل من أنجليك ورُلى ح. لماذا لا تكون مشتركة بين الكنيستين) ، فقد أوضح المرشد أن المناولة هي ، في إيماننا ، سرّ الوحدة الكاملة ، مستشهدًا بقول الرسول بولس : « فلمّا كان هناك خبز واحد ، فنحن ، على كثرتنا جسد واحد ، لأننا نشترك كلّنا في هذا الخبز الواحد .» (١ كورنثوس ١٠:١٧). لذا لا يمكن أن نُقبل إلى المناولة معًا إلّا إذا كنّا موحَّدين في الإيمان ، وإلّا كذبنا على المسيح وعلى أنفسنا ، إذ

نتصرف كما لو كنا واحدًا، طالبين من المسيح ان يكرِّس بجسده وحدتنا هذه، فيما نحن بالفعل منقسمون. وأشار المرشد الى الانقسام الأساسي في الإيمان بين الكنيستين، فقال إن الأرثوذكسية تؤمن بأن للكنيسة رأسًا واحدًا، وهو المسيح، ولذا فالكنائس المحلّيّة كلها متساوية، بانتمائها الى هذا الرأس الواحد، ينسّق في ما بينها ويحافظ على وحدتها متقدّم كان، قبل الانقسام، بابا روما الذي كان يُنظر إليه على أنه مرجع لكافة الكنائس وليس على أنه حاكم لها: تلك كانت، مع بعض الاختلاف في التفاصيل، عقيدة الكنيستين المشتركة في الألف سنة الأولى للمسيحية. إلّا أن الكثلكة طوّرت هذه العقيدة حتى أعلنت، في المجمع الفاتيكاني الأول المنعقد سنة ١٨٧٠، أن للكنيسة، عدا رأسها غير المنظور الذي هو المسيح، رأسًا منظورًا يمثّله، وهو البابا، الذي اعتُبِر، بهذه الصفة، أسقفًا عامًا يرأس الكنيسة كلها، لا بل نُسبت اليه «العِصْمة»، أي إن بوسعه أن يحدّد، دون أن يخطئ، عقيدة ما، دون الرجوع إلى إجماع الكنيسة. بسبب هذا الاختلاف الجوهري في الإيمان (مع أنه لا يطال الأسس، وتبقى الكنيستان «شقيقتين» كما أعلنت لجنة الحوار الأرثوذكسي - الكاثوليكي العالمية، في دورتها المنعقدة في البلمند سنة ١٩٩٣)، لا يمكننا ان نتناول، بصدق، مع الموارنة وغيرهم من ابناء الكنيسة الكاثوليكية، ولكنه يمكننا أن نصلّي معهم (خلافًا للاعتقاد الذي عبّرت عنه رُلى ح. في مداخلتها)، لا بل وأن نقوم معهم، إن شئنا وشاؤوا، بأعمال أخرى كثيرة، على الصعيدين الروحي والإنساني.

وقد وافق المرشد على ما قالته سمر وهو أننا، بتناول كل من كنيستيْنا على حدة، نكون قد قسّمنا المسيح، ولكنه اضاف: هذا ليس سوى تعبير صحيح عن واقع انشقاقنا، الذي، من جرائه هو، تمزّق المسيح فعلاً. وهذا ما يدفع مسيحيي مختلف الكنائس، منذ أوائل القرن العشرين، إلى السعي إلى إعادة الوحدة بين كنائسهم، أي إنّ ما يحرّكهم في هذا الخطّ، ويحفزهم الى بذل جهود مُضْنيَة في سبيله، هو شعورهم بأنهم، بانقسامهم، يمزّقون المسيح ويعطّلون شهادته أمام الناس (وليس هو دوافع سياسية وطائفية، كما هي الحال الشائعة عندنا). وذكر المرشد كيف أن الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية تسعيان إلى التقارب منذ أن التقى البطريرك المسكوني أثيناغوراس الأوّل والبابا بولس السادس، في القدس، سنة ١٩٦٤، وتعانقا على قبر المسيح. وأضاف أن بطريرك القسطنطينية وبابا روما يتزاوران منذ ذلك الحين ويشاركان في الصلاة والقداس، ولكنهما يمتنعان عن التناول معًا، اعترافًا منهما بانهما لا يزالان يحملان صليب الانقسام، وعلى رجاء أن يعقبه، يومًا، فرح الاتحاد، بنعمة الناهض من بين الأموات.

ولمّا كانت سمر قد أتت على ذكر موضوع الزواج المختلط بين الطائفتين، أوضح المرشد أنه لا يطرح مشكلة إذا كان الزوجان ينتميان إلى كنيستيهما مجرد انتماء طائفي، أي مجرد انتماء اجتماعي مصدره الوراثة، أللهم إلّا المشاكل الاجتماعية التي يثيرها التزاوج بين قبيلتين، من اختلاف بين العادات والأعراف وتنازع على

تأكيد الهوية القبليّة . أما إذا كان كلّ منهما ملتزمًا إيمان كنيسته ، فهذا يطرح مشكلة حقيقية على صعيد الوجدان ، ويشكّل عائقًا أمام اتحادهما (دون أن يعني استحالته) ، ذلك أن الاختلاف في النظرة الإيمانية يوجِد صعوبة في وجه لقائهما الشخصي الكامل ، كما أنه يثير إشكالًا حول اية تربية دينية ينبغي إعطاؤها للأولاد ، ثمرةِ هذا الزواج .

ألحلقة رقم ٢٤

إجتماع السبت ١٩٩٦/٥/٤

ألموضوع : تعاطي لوقا ٩:٢٣-٢٧ ولوقا ١٢:٢٢-٣٤

ألنصّان

● « وقالَ لِلناسِ أَجمَعين : مَن أرادَ أن يَتْبَعَني ، فَلْيَزْهَدْ في نَفسِه ويَحمِل صَليبَهُ كُلَّ يَومٍ ويَتْبَعْني . لِأَنَّ الذي يُريدُ أَن يُخلِّصَ حَيَاتَه يَفقِدُها . وأَمّا الذي يَفقِدُ حَياتَهُ في سَبيلي فإِنَّهُ يُخلِّصُها . فَماذا يَنفَعُ الإِنسانَ لَو رَبحَ العالَم كُلَّهُ ، وفَقَدَ نَفسَهُ أَو خَسِرَها ؟ لِأَنْ من يَستَحيي بي وبِكلامي يَستَحيي بِه ابنُ الإنسان متى جاءَ في مَجدِهِ ومَجدِ الآبِ والملائِكَةِ الأطهار . وبِحقٍّ أَقولُ لكُم : في جُمْلَةِ الحاضِرينَ ههُنا من لا يَذوقون الموتَ حتى يُشاهدوا ملكوتَ الله » .

(لوقا ٩:٢٣-٢٧)

● « وقالَ لِتلاميذِه : « لِذلِكَ أَقولُ لكُم : لا يُهمَّكم لِلْعَيشِ ما تَأْكُلون ، ولا لِلجَسَد ما تَلبَسون ، لِأَنَّ الحياةَ أَعظَمُ من الطَّعام ، والجَسَدَ أعظَمُ من اللِّباس . أُنظرُوا الى الغِربانِ كيفَ لا تَزرَعُ ولا تَحصدُ ، وما من مَخزَنٍ لَها ولا هُرْيٍ ،

واللهُ يَرزُقُها ، وكم أنتُم أثمَنُ من الطُّيور ! ومَن مِنكم يَستَطيعُ ، إذًا اهتمَّ ، أَن يُضيفَ الى حَياتِهِ مِقدَارَ ذِراعِ واحِدة ؟ فَإذَا كُنتُم لا تَستَطيعونَ ولا إلى القَليلِ سبيلًا ، فلماذَا تكونونَ في همٍّ مِن سائِرِ الأُمور ؟ أنظروا الى الزَّنابِقِ كيفَ لا تَغزِلُ ولا تَنْسجُ . أَقولُ لكُم إنَّ سُليمانَ نَفسَه في كلِّ مَجدِهِ لَم يَلبَس مِثلَ وَاحدةٍ منها . فاذا كانَ العُشبُ في الحَقْل ، وهو يوجَدُ اليَومَ ، ويُطرحُ غدًا في التنّور ، يُلبسُهُ الله هكذا ، فما أحراكُم بِأن يُلبِسَكم يا قَليلي الإيمان ؟ فلا تَطلُبوا أَنتُم ما تَأكلونَ أو ما تَشربونَ ولا تكونوا في قَلق ، فَهذا كُلُّه يَسعى إلَيه وَثَنِيّو العالَم ، وأمّا أَنتُم فَأَبوكُم يَعلَمُ أنكُم تَحتَاجونَ إلَيه . بل أَطلُبوا مَلكوتَهُ تُزادوا ذلك . لا تَخَفْ أَيُّها القطيعُ الصغير ، فَقَد حَسُنَ لَدى أبيكُم أَن يُنعِمَ عَليكُم بالملكوت . بيعوا أموالَكُم وتَصَدَّقوا بها واجعَلوا لكُم أكياسًا لا تَبلى ، وكنزًا في السموات لا يَنفَد ، حيث لا سارقٌ يَدْنو ولا سوسٌ يُفسِدُ . فحَيثُ يكونُ كنزُكُم يكونُ قَلبُكُم » .

(لوقا ١٢ :٢٢–٣٤)

إختارت إيلان هذين المقطعين لاجتماع اليوم ، وقدّمت لهما قائلة إنها وجدت رباطًا بينهما لأنهما يتناولان كلاهما ما يطلبه يسوع ، برأيِها ، منّا ، ألا وهو التخلّي عن ما أسمته « الحياة العملية » ، وترك كثير مما دعته « الاهتمامات الدنيوية » ، من أجل اتّباعه ، وهو أمر عسير .

طلب المرشد من أعضاء الفرقة أن يتكلموا بدورهم ويدلوا

بخواطرهم وتساؤلاتهم . فتحدّثت أنجليك موضحة أن يسوع ، الذي شاركنا حياتنا ، لا يطلب منا أن ننفصل عن العالم ، بل أن لا ندع العطايا الإلهية – وهي خيرات الارض – تحجب عنا المعطي . وطرح إيلي سؤالين ، أولهما : يقول يسوع : « من يستحي بي أمام الناس استحي به أمام أبي الذي في السماوات » ، فكيف يعامِل الإنسانَ بالمثل وهو الذي يدعو إلى الصفح ؟ اما سؤاله الثاني فهو : ما معنى كلام يسوع : « في جملة الحضور هنا من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا ملكوت الله» ؟ فأجابت ايلان عن السؤال الأول بقولها : ألمقصود هنا هو ان من يستحي بيسوع إنما يرفض الله ، ولذا فإنه يجد نفسه ، في يوم الدينونة ، غريبًا عن الله بسبب هذا الرفض الذي اختاره هو . فأبدى المرشد موافقته على هذا الجواب ، وذكّر بما قلناه في اجتماع سابق عن معنى جهنّم . ولما سأل إيلي : لماذا استعمل المسيح إذًا التعابير المشار إليها أعلاه ، أوضح المرشد أنها التعابير التي كانت تناسب لغة ذلك العصر ، وأنه لا يجوز ، كما أوضحت إيلان ، أن تؤخذ بمعناها الحرفيّ ، لأنه ، لو أراد يسوع الانتقام ، لكان سحق الذين أرادوا صلبه بدل أن يدعهم يفعلون ، وأن يصلي بعد ذلك لأجلهم هاتفًا وهو على الصليب : « يا أبتِ اغفِرْ لهم ، لانهم لا يدركون ما يفعلون » (لوقا ٢٣:٣٤). اما عن السؤال الثاني ، فقد أوضح المرشد أن المقصود بـ « ملكوت الله » هنا ، ليس اكتماله في اليوم الاخير ، بل تباشيره التي ظهرت بشكل ملفت لما انتشرت البشارة ، بسرعة النار في الهشيم ، في كل حوض البحر الأبيض المتوسط ، وذلك إبّانَ فترة وجيزة لم تتعدَّ بضع

عشرات من السنين، وفيما كان بعض الذين رافقوا يسوع لا يزالون على قيد الحياة.

أما عن الموضوع الرئيس الذي طرحته إيلان، فقد أوضح المرشد أن الإيمان بيسوع لا يقتضي منا ان نترك العالم بالضرورة. فقد صلّى يسوع، قبل آلامه، من أجل التلاميذ، قائلًا: «لا اسألك أن تُخرِجَهم من العالم بل ان تحفظهم من الشرير» (يوحنا ١٧:١٥). صحيح أنّ بعض المسيحيين، وهم الرهبان، يتركون العالم، ولكنهم أقليّة لا تنطبق دعوتها الخاصة، التي لها فحواها وأهميتها، على مُجمَل الذين يؤمنون بالمسيح. إنّ يسوع قد شاركَنا بكل شيء، ما عدا الخطيئة. لقد عاش حياتنا بكل وجوهها، فكان، على سبيل المثال، يأكل ويشرب مع الناس ومثلهم، حتى إن خصومه اتّهموه بأنه «رجلٌ أكولٌ شِرِّيبٌ للخمر» (متى ١١:١٩). ألمطلوب إذًا منا، إذا كنا أتباع يسوع، لا أن نمتنع عن الدنيا، بل أن نمتنع عن الخطيئة. والخطيئة هي أن نترك خيرات الأرض تطفئ المحبة فينا، فتحجب عنا آنذاك مبدعها ومعطيها، كما قالت أنجليك. فمثلًا ليست التجارة والصناعة مما يفصلنا عن الله، بل طريقة ممارستنا إيّاهما إذا أدّت إلى حجب الأجر العادل عن عمالنا ودوس كرامتهم وحقوقهم. إذ ذاك يحتجب الله عنا ولو ذهبنا كل يوم الى الكنيسة، لأن «إذا قال أحد: «إني أحبّ الله»، وهو يبغض أخاه، كان كاذبًا، لان الذي لا يحبّ أخاه وهو يراه لا يستطيع أن يحبّ الله وهو لا يراه.» (١ يوحنا ٤:١٩).

في القرن الثاني للميلاد ظهرت وثيقة مسيحية هامة معروفة

بعنوان « الرسالة الى ذْيُغنيتوس » Epître à Diognète، يخاطب كاتبها – المجهول الاسم – الوثنيين ، فيقول لهم : نحن موجودون في كل الأماكن التي تتواجدون فيها ، في شوارعكم وساحاتكم وأسواقكم ومسارحكم ، ونشارككم في كل شيء ، ولكننا من نوع آخر ، لأن المسيح غيّرنا إذ زرع المحبة فينا .

أما « الاهتمامات الدنيوية » ، التي أشارت إليها إيلان ، والتي تطلب « التسبحة الشاروبيمية » (التي تُرتَّل في كل قدّاس قبل التطواف بالقرابين) أن نطرحها عنا استعدادًا « لاستقبال ملك الكل » ، فليس المقصود منها الاهتمام بالدنيا – لأن طلبات القداس حافلة بهذا الاهتمام ، إذ نضرع من أجل المسافرين في البحر والبرّ ، ومن أجل المطروحين في الأمراض ، ومن أجل الأسرى ، ومن أجل اعتدال الأهوية وخصب الأرض بالثمار ...، ولأننا في وقت استدعاء الروح القدس على القرابين ، نرفع الدنيا كلها الى الله : « التي لك ، مما لك ، نقدّمها لك ...» – بل المقصود هنا بِ« الاهتمامات الدنيوية » ، إنما هو أن نترك مغريات الدنيا ومطامعنا فيها تخمد فينا المحبة – كما خنقت الأشواكُ الزرعَ الذي نبت بينها في مثل الزارع – وتحجب الله عنا . هذا ما نحن مدعوون الى طرحه جانبًا ، وليس الدنيا ، التي إن أَحسَنّا النظر اليها ، تبيّن لنا انها دنيا الله .

من كل ذلك يتضح أن المسيحية ، وإن كانت صعبة ، ككل إنجاز جميل في الحياة ، فليست هي مستحيلة ، كما يصوّرها

البعض، لأنها لا تطلب منا أن ننفصل عن الدنيا، بل عن صنمية الدنيا التي تشوّه الدنيا وتُشوِّهنا بآن،، وأن نسلك في الدنيا طريق التحرّر والتجدّد، فنجدّد معنا الدنيا ونعمّدها بالنور.

وفي الختام شكر المرشد إيلان لأن مداخلتها سمحت بخوض مسألة بالغة الأهمية، وتوضيح الأفكار حولها.

ألحلقة رقم ٢٥

إجتماع السبت ١٩٩٦/٥/١١

ألموضوع : صورة الله في العهد القديم

منذ بداية مرافقتي إيّاها، تمنّت الفرقة أن يتاح لها التعرّف بشكل أفضل إلى العهد القديم، وقد اتفقنا آنذاك على أن تصاغ أسئلة حوله تمهيدًا لتداولها في الاجتماعات. وهكذا كان، فتعرضنا في اجتماع ١٩٩٩/٤/٦ لتساؤل حول «خوارق العهد القديم». أما اليوم فقد عالجنا سؤالًا آخر تناول «صورة الله في العهد القديم» وصيغ على الشكل الآتي:

«ألجوّ العامّ السائد في العهد القديم هو جوّ خطيئة، مأساة، ويُظهر هذا العهد وكأن الله هو قاضٍ متسلّط وحاكم عنيف مع شعبه كلّما أخطأ. ما سبب ذلك؟»

أعطى المرشد الكلام لمن شاء من أعضاء الفرقة. فرأى إيلي أنّ الصورة التي يرسمها السؤال عن العهد القديم إنّما هي مجتزَأة. وقالت ايلان إنّ في العهد القديم تصوّرات بدائية عن الله، تنسب اليه مباشرة كلّ ما يحدث، كانت شائعة قبل تجسد المسيح. واستوضح ألفريد (وقد انضم اليوم للمرة الأولى إلى الفرقة) عن

معنى السؤال، متوجهًا إلى أنجليك التي بدا أنها هي التي طرحته. فأوضحت أنجليك أنها لمست في العهد القديم حجم وجود الخطيئة (مثلًا في قصّة سدوم وعمورة، في حادثة عبادة العجلِ الذهبي أثناء غياب موسى...)، ولاحظت أن هناك، مع ذلك، أبرارا في العهد القديم عاشوا حياة قداسة. وتكلّم نقولا مشيرًا إلى قصة أيوب. هذا وأقرّ كل من إيلي وأنجليك، في مداخلتيهما، أن معرفتهما للعهد القديم ليست معرفة كافية.

وتحدث المرشد فعلّق على قول إيلان، مشيرًا إلى أن العهد القديم هو، كما أدرَكت، كلام إلهيّ منقول بكلمات بشرية. وأوضح ان الشعب العبراني، في مسيرته الطويلة مع الله، اختبر أن الخطيئة كانت تدمّر إنسانيته، وأن ذلك كان ينعكس على قدرته على الصمود أمام أعدائه المجاورين له، ومنهم الامبراطوريات المفترسة، المصرية والأشوريّة والبابلية. ذلك أنه، عندما كان يترك اللهَ لينقاد وراءَ أهوائه ويتعبّد لها، متمثّلة بالأوثان (البعل وعشتروت وغيرهما)، كان يخسر، من جراء ذلك، تلك القوة المعنوية التي كان يستمدّها من إلفته مع الله، والتي كانت تدعم صموده في وجه قوى تفوقه بما لا يقاس، وهو الشعب الصغير والضعيف. كذلك كان، بابتعاده عن الله وتهافته على إشباع الأهواء على اختلافها، يبتعد حكمًا عن العدل والإنصاف والتضامن والتآزر، فيتسرّب الظلم والاستغلال إلى علاقة أفراده وفئاته بعضهم ببعض، ويشيع بينهم الاستعلاء والحسد والكراهية والعداء، فتتفكك وحدته الداخلية ويتشرذم وتضعف بالتالي مقاومته حيال الطامعين

بالهيمنة عليه. فإذا ما مُني بالكوارث نتيجة لكل ذلك، كان يعزوها، نتيجة للذهنية التي أشارت إليها إيلان، إلى الانتقام الإلهي، بدل أن يراها نتيجة طبيعية لانحرافاته وابتعاده عن درب الله الذي هو درب حياة.

تلك، أضاف المرشد، نزعة لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، مع ان ظهور المسيح كان، كما أشارت إيلان، مفروضًا به أن يحرّرنا منها (ولكن المسيح لا يحرّرنا قسرًا). تأملوا في الحرب اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠). لقد كنا مسؤولين عن هذه المأساة. لم نكن وحدنا مسؤولين، هذا صحيح، ولكن حصتنا من المسؤولية كانت كبيرة، وكبيرة جدًا، إذ لولا تَواطُؤُنا مع القوى والمصالح المتربّصة بنا، لما سمحنا لها بأن تكتسب تلك الفعالية المدمّرة. لكن، عندما ابتعدنا عن الله، متذرّعين به لنمعن في إنكاره فعليًا، وأدرنا الظهر لمشيئته التي تريدنا متعاونين، متآخين، في ما بيننا، مسيحيين كنا أو مسلمين، كوننا جميعًا أبناءَه، ومسخناه إلى صنم نبرّر به عبادَتَنا المهووسة للسيطرة والسؤدد وإلغاء الآخر، واقتتلنا باسمه في ما بيننا ولم نخجل من ارتكاب الفظائع تحت شعاره، دمّرنا إذ ذاك بلدنا وأفسحنا المجال لكل الطامعين فيه، في المنطقة والعالم، دمّرناه على رؤوسنا كلنا، ولم ينهض بعدُ فعلًا الى الآن، وها نحن نعاني من كبوته في كل مجالات الحياة. شعبيًا، كثيرًا ما يُزعَم أن تلك الحرب إنما كانت انتقامًا إلهيًا من معاصينا. هذا إسقاط على الله لبشاعتنا نحن، والحقيقة ان الله بريء من هذه الحرب، ولكننا جلبناها نحن على أنفسنا بابتعادنا عن جادّة الصواب عندما ابتعدنا

عنه . على هذا المثال اختبر الشعب العبراني أن الخطيئة كانت تدمّره ، ولكنه لم يحسن التعبير عن هذه الخبرة عندما اعتقد أن الله هو مصدر ذلك التدمير . من هنا صورة « القاضي المتسلّط والحاكم العنيف » التي تحدّث عنها السؤال .

ولكن صورة نقيضة لتلك تَرِدُ بكثرة في العهد القديم . وإذا شئتم أن تأخذوا كتاب المزامير ، الذي اعتدنا أن نختتم بقراءة منه اجتماعاتنا ، وطالعتموه « من الدفّة إلى الدفّة » ، في ترجمة واضحة مفهومة ، وسجّلتم مقاطعه التي تعبّر عن حنان الله ، لملأتم بذلك دفترًا بكامله .

هنا استشهد المرشد بعدّة نصوص تبيّن بجلاء رأفة الله وعطفه ، وتصوّره يَحْنُو على شعبه حنانًا شبيهًا بحنان الاب ، لا بل يفوق برقّته احتضان الأمّ طِفلَها . وهاك النصوص التي أتى على ذكرها :

● «قالت صهيون : « تركني الربّ
ونسيني سيّدي » .
أتنسى المرأة رضيعها
فلا ترحم ابن بطنها ؟
حتى وإن نسيت النساء
فأنا لا أنساكِ .
ها أنا على كَفَّيَّ نقشتُكِ ...»

(إشعيا ٤٩ : ١٤-١٧)

● «لأنه هكذا قال الربّ :

هاءنذا أميل اليها (إلى اورشليم) السلامَ كالنهر

(...)

فَترْضَعون وعلى الوَرْكِ تُحمَلون

وعلى الرُّكبتَين تُدَلَّلون

كإنسانٍ تُعزِّيه أمُّهُ

كذلك أنا أُعَزّيكم...»

(إشعيا ٦٦:١٢-١٣)

● «لَمَّا كان إسرائيل صبيًّا أحببتُه

ومن مِصَر دَعَوْتُ ابني

(...)

أنا دَرّجتُ أَفْرائيمَ وحَمَلتُهم على ذراعي

لكنهم لم يعلموا أنّي اهتممتُ بهم.

بِحِبالِ البَشَر، بروابط الحبّ اجتلبتُهُم

وكنتُ لهم كمن يَرفع الرضيعَ الى وَجنَتَيه

وانحنيتُ عليه وأطعمتُه

(...)

كيف أهجُرُكَ يا أَفرائيم

وكيف أُسْلِمكَ يا إسرائيل؟

(...)

قد انقَلَب فيَّ فؤادي

واضطرمَتْ أحشائي

لا أُطلِقُ حدّة غَضَبي

ولا أعودُ الى تَدمير أفرائيم

لأنّي انا الله لا إنسان

والقدّوسُ في وَسْطِكَ

فَلَن آتي ساخطًا.»

(هوشع ١١ :١و٣و٤و٨و٩)

(توقّف المرشد عند العبارات التي شدّدها في النص أعلاه)

● **(مزمور ١٠٢ :١-٦و٨-١٤).**

وعلّق المرشد على المأساة التي تصوّرها قصة أيوب. قال إن تلك القصة إنما تعبّر عن سؤال قضّ مضاجع شعب العهد القديم، ألا وهو: لماذا يشقى البارّ؟ ولم يجد هذا السؤال جوابًا قبل أن يأتي المسيح ويضطلع بدور أيوب ويحمل خطايانا وهو البريء. أصدقاء أيوب حاولوا أن يقنعوه - وفقًا للرأي الشائع آنذاك - بأنه لا محالة خاطئ، طالما انه يتألم. ولكنه أصرَّ على إعلان براءَته وعلى معاتبة الله. أخيرًا انحنى أمام السرّ الإلهيّ، دون أن يتلقّى الجواب عن سؤاله، ولكنه وَثِقَ بالله وبإنصافه له في آخر المطاف. بالمقابل

فإن الله أنَّبَ أصدقاء أيوب على تجنّيهم عليه وزكّاه هو وشهد إن ما قاله صواب .

أما الحيّز الكبير الذي تشغله الخطيئة في العهد القديم ، فقد قال المرشد إن مردّه أن شعب ذلك العهد اختبر ضعف الإنسان أمام الخطيئة ولم يكن قد اختبر بَعد قوةَ القيامة التي أتتنا بيسوع المسيح . الشريعة التي أُعطيت له لم تكن لِتَكُفَّهُ عن الخطيئة ، بل كانت تكشف له الشرّ الذي يرتكبه بمخالفتها دون أن تمنحه القوة الكافية لمقاومته . من هنا أنها كانت تزيد شعوره بخطيئته ، كما بيّن الرسول بولس (راجع رومية ٧:٧-٢٥) . مع ذلك ، فإن بُشرى التحرُّر والخلاص حاضرة في العهد القديم ، وبنوع خاص في ما يسمّى ب « إشعيا الثاني » ، وهو مجموعة الفصول ٤٠ الى ٥٥ من نبوءة إشعيا ، التي كتبها أحد تلامذة هذا النبي أثناء النفي إلى بابل ، والتي تسمَّى أيضًا « كتاب تعزية إسرائيل » ، لأنها كُتبت لتعزيته في فترة كان يرزح فيها تحت وطأة البؤس . وقد دُعيت هذه الفصول أيضًا « انجيلًا » (وكلمة « إنجيل » مشتقة من عبارة يونانية تعني « نبأ مُفرح ») ، لانها تحمل بشرى خلاص توجّها في ما بعد إنجيلُ يسوع المسيح . هنا تلا المرشد مقطعًا من هذا النمط (إشعيا ٣٥:١-٧) حافلًا بالوعد والرجاء ، وقال إن يسوع استشهد به :

« لتفرح البرّية والقفر
ولتبتهج البادية وتُزهر كالنرجس
لتُزْهِر إزهارًا

وتبتهج ابتهاجًا مع هتاف .
قد أُوتيت مجدَ لبنان
وبهاء الكرمِل والشارون
فهم يَرَوْنَ مجد الرب وبهاءَ إلهنا .
قوّوا الأيدي المسترخية
وشدّدوا الرُكَبَ الواهنة .
قولوا لفَزعي القلوب
« تقوَّوا ولا تخافوا
هوذا إلهُكم
(...)
هو يأتي فيخلِّصُكم .»
حينئذ تتفتَّحُ عيون العميان
وآذان الصمّ تتفتَّح
وحينئذ يقفز الأعرج كالأيِّل
ويهتف لسانُ الأبكَم
فقد انفجرت المياه في البرّيّة
والأنهار في البادية
ألأرض الحامية تنقلب غديرًا
والمَعْطَشَة ينابيع مياه ...»

ألحلقة رقم ٢٦

إجتماع السبت ١٩٩٦/٥/١٨

ألموضوع : تعاطي مرقس ١٣:٣٢-٣٧

ألنصّ

« وأمّا ذلك اليوم أو تلك الساعةُ فما من أحَدٍ يعلمهما : لا الملائكة في السماء، ولا الابنُ، إلّا الآب .

فاحذَروا واسهَروا، لأنكم لا تعلمون متى يَحين الوقت . فَمَثَلُ ذلك كَمَثَلِ رجلٍ سافرَ وترك بيته، وفَوَّضَ الأمر الى خَدَمَتِه، كلٌّ واحدٍ وَعَمَلُه، وأوصى البوّابَ بالسهر . فاسهروا إذًا، لِأنكم لا تعلمون متى يأتي ربُّ البيت : أفي المساء أم في منتَصَف الليل أم عندَ صِياح الديك أم في الصَّباح، لئلّا يأتي بَغتَةً فَيَجِدُكُم نائمين . وما أقوله لكم أقولُه للناسِ أجمعين : إسهَروا !»

* * *

أعدّ حبيب المقطع وقدَّم الخواطر التي أَوْحى بها اليه . فأبدى

استغرابه لما وَرَدَ فيه من أن الابن نفسه لا يعلم الساعة التي يعلمها الآب وحده، مع أن الابن والآب متساويان.

أعطى المرشد الكلام للفرقة. فقدّم كلٌّ من رُلى ح. وإيلان وأنجليك والياس مداخلات. ثم اختتم المرشد هذا التبادل بمداخلة أجاب فيها أولًا عن تساؤل حبيب، فأوضح أن سرّ المسيح إنما هو الاتحاد فيه بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية، إذ هو إله تامّ وإنسانٌ تامّ، ولا يعطّل الناسوتُ فيه اللاهوتَ ولا اللاهوتُ الناسوت. وهو حينًا يتحدث من منطلق طبيعته الإلهية، فيقول مثلًا: «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠:٣٠)، و «قبل أن يكون إبراهيم، أنا هو» (يوحنا ٨:٥٨)، وللرجل المقعَد: «يا بنيّ، مغفورة لك خطاياك» (مرقس ٢:٥) (في حين أن الكتبة لما سمعوا هذا الكلام، فكّروا بحقّ: «من يقدر أن يغفر الخطايا إلّا الله وحدَه؟»: مرقس ٢:٧)؛ وحينًا من منطلق طبيعته الإنسانية، كما يفعل في هذا النصّ الذي نحن بصدده، عندما يقول إن الابن لا يعرف «الساعة». فقد احتجبت الألوهة، في المسيح، وراء الإنسانية التي اتخذ سماتها. فعدم المعرفة الذي يتكلم عليه هنا، هو بمثابة ما عرفه من جوع وعطش وتجربة وحزن وألم وموت. وكان لا بدّ من ذلك ليتشبّه فعلًا بنا، فيأخذنا حقيقة في ذاته ويضمّنا إلى لاهوته. هذا هو «إفراغ الذات» (kenosis باليونانية و Kénose بالفرنسية) الذي عاشه المسيح من أجلنا والذي تحدّث عنه الرسول بولس في مقطع شهير من رسالته الى أهل فيليبيّ:

«فمع أنه في صورة الله (...)
تجرّد من ذاته متّخذًا صورة العبد
وصار على مثال البَشَر...» (فيليبي ٢:٦و٧)

أما عن المعنى العام للنصّ، فقد أوضح المرشد أن الله أحبّنا ودعانا إلى لقاء حبّ معه. ونحن نستعدّ لهذا اللقاء بعيشنا الحبّ كلّ يوم في حياتنا، بحيث نناجي الربّ على الدوام، سواءً أَتَحَدَّثْنا اليه مباشرة أَمْ توجهنا بكياننا اليه عبر خدمة لقريبنا (قد تكون كلمة حلوة نقولها لمحزون). هكذا – وكما بيّنت إيلان في مداخلتها – لا يكون بعض من حياتنا لله وبعض لغيره، بل تكون كلّها له، تتحوّل كلها إلى صلاة مقولة أو معيوشة. عند ذاك «نُصبح صلاة»، كما يقول اللاهوتي بول إفدوكيموف.

ولكننا قد لا نلبّي دعوة الله هذه، قد نتغافل عنها، منهمكين بالسعي إلى إرضاء أنفسنا. في هذه الحال «نغرق في الخطايا»، كما قالت رُلى ح؛ نخَدِّرُ عطشنا إلى الله بالتهافت على خيرات الأرض، ونترك هذه العطايا تحجب عنّا المعطي الذي شاء أن يقول لنا حبّه من خلالها ولكنه يستطيع وحده ان يملأ بحضوره قلوبنا.

ذلك هو «النوم» الذي يحذّرنا منه يسوع في هذا المقطع – والذي قالت عنه أنجليك إنه الإهمال والكسل – إنه الغفلة عن دعوة الله إيّانا الى لقائه، لأننا منهمكون برغائبنا وبأشياء الدنيا (وغافلون، بالفعل، لا عن الله وحسب، بل عن قلبنا العميق الذي يتوق اليه، والذي اسكتنا صوته فينا بضجيج الدنيا ونزواتنا).

حتى ، إذا جاء « اليوم » – وهو ليس فقط « اليوم الأخير » ، يوم الدينونة العامة ، بل « يوم » كلّ منا الذي يأتيه في ساعة موته – نجد أنفسنا وقد انتُزعنا من الدنيا التي كنا نتلهّى بها ، ولكننا ، بآن معًا ، متغرّبون عن الله الذي أدرنا له الظهر ، عاجزون عن لقاء ذاك الذي ندرك حينها حقّ الإدراك – وقد غاب عنا كل ما نلهو به عنه – أنّ به ، وبه وحده ، ترتوي قلوبنا .

وعلّق المرشد على بعض ما ورد في مداخلة أنجليك بقوله : إن من استسلم للغفلة ، معلِّلًا النفس بأنه سوف يعود إلى الله في وقت لاحق ، ينسى أنه ، حتى إذا لم يباغته الموت قبل ذلك الحين ، قد يباغَت ، على كل حال ، إذا فكّر يومًا بتبديل حياته احتياطًا للموت المرتَقَب ، باكتشافه أنه لم تعد هناك من طاقة حبّ تنبض في قلبه لأن القطيعة الطويلة قد أخْمَدَتْها وحجّرت هذا القلب .

وختم المرشد بهذه العبارة التي يلخّص بها الـ Abbé Pierre – وهو كاهن كرّس خمسين سنة من حياته لخدمة المشرّدين ، وأيقظ ضمائر الكثيرين في فرنسا وفي العالم بأسره بإحيائه فيهم هاجَس البائسين – معنى الوجود : « لقد أُعطِيَ الإنسانُ الحياةَ كي يتاح له أن يتمرّس على الحب ، استعدادًا للقّاء الكبير . »

ألحلقة رقم ٢٧

إجتماع السبت ١٩٩٦/٥/٢٥

ألموضوع : أضرار التعصّب

عدنا في هذا الاجتماع إلى سياق بحثنا في موضوع التعصّب، فعالجنا السؤال التالي الذي كان قد صدر عن الفرقة : « ما هي الأضرار التي قد تنتج عن التعصّب (دينيًا، إجتماعيًا ...)؟»

أعطى المرشد، كالعادة، الكلام للفرقة، فتحدّث كل من حبيب وإيلي وأنجليك، فَسَلَّطوا بمداخلاتهم كثيرًا من الأضواء على الموضوع. وقد علّق المرشد على مداخلاتهم وزاد عليها، فبرزت من خلال هذه المساهمات كلها النقاط التالية :

١– ألتعصّب يسبّب انعدام المحبة (إيلي) وانعدام الحوار، والكراهية والقتل (حبيب). وقد بيّن المرشد العلاقة القائمة بين الكراهية، التي تودّ إزالة الآخر من وجودي، والقتل، الذي يحقّق هذه الإزالة. واستشهد، بهذا الصدد، بقول الرسول يوحنا : « من أبغض أخاه فهو قاتل » (١ يوحنا ٣:١٥). وأكّد إيلي أن القاتل لا يدمّر الآخر فحسب، إنما يدمّر أيضًا إنسانيته هو. فعلّق المرشد بقوله إن هذا هو ما سمّاه أحد المفكّرين المعاصرين « قتلًا انتحاريًا »

("meurtre suicidaire", Maurice Bellet)، وأضاف ان القاتل يقتل الله في نفسه لانه ، بتدميره إنسانيّته ، يعطّل فيها صورة الله .

٢- ألتعصّب ، برفضه الآخر واعتباره مجرد **شيء** ينبغي إزاحته من الطريق ، يلغي أساس الرباط الاجتماعي (أنجليك) الذي هو ، تحديدًا ، تضامن مع **شبيه وشريك** . أضاف المرشد أن التعصّب يؤول إلى تفكّك الرباط الاجتماعيّ لانه يحوّل الطوائف ، من جماعات متعاونة ومتضامنة لصالح وطن يضمّها ويتجاوزها بآن ، إلى كتل متنافرة تتهافت على مصالحها الفئوية الذاتية على حساب الصالح العامّ وتتناهش البلد وتمزّق وحدته ، ما قد يؤول إلى دمار الوطن ، كما حصل في الحرب اللبنانية التي رسم عنها الكاتب الياس خوري صورة بالغة التعبير عندما كتب أنها كانت بمثابة « رقصة الطوائف على أشلاء لبنان » ، علمًا بأن انهيار الوطن كان لا بدّ له أن يُلحق الأذى بالطوائف كلّها .

٣- ولأن التعصّب يقتل المحبة ، فإنه ، حكمًا ، قال المرشد ، على نقيض الدين ، ليس فقط على نقيض الدين المسيحي الذي يتنافر معه التعصّب بشكل مميّز (لأن هذا الدين يقوم على « أن الله محبة ، من أقام في المحبة أقام في الله وأقام الله فيه » - ١ يوحنا ٤:١٦- وعلى أن « من لا يحبّ لم يعرف الله ، لأن الله محبة » - ١ يوحنا ٤،٨) ، بل وعلى نقيض الدين الإسلامي أيضًا الذي ورد فيه حديث للرسول يعلن أن « الخلق كلهم عيال الله وأحبّهم إليه

أَنْفَعُهم لعياله » . ألتعصّب يدّعي مُصادرةَ الله (إيلي) وبذلك ، أوضح المرشد ، يتنكّر لألوهته التي تتعالى ، بطبيعتها ، على كل محاولة لوضع اليد عليها وامتلاكها . لذا فهو كفر بالله يتذرع بالله لتبرير رفضه الاعتراف بالتعالي الإلهي ، وبذلك ، أي بتسخيره الله هكذا لرفضه الكفريّ ، فهو قمة الكفر ، اي قمة الانقطاع عن الله وتشوّه العلاقة به (كما فسّر المرشد كلمة « كفر » ، جوابًا علن استفسار طرحه إيلي) .

٤- من هذا المنطلق ، تطرّق المرشد إلى مأساة الجزائر ، التي كان حبيب قد أشار إليها في مداخلته . فتناول الخبر المفجع الذي نقلته مؤخّرًا وسائل الإعلام عن اغتيال سبعة رهبان فرنسيين على يد « الجماعة الإسلامية المسلَّحَة » بعد اختطافهم الذي دام شهرين . وأشار إلى استنكار لهذه الجريمة صَدَرَ عن الأوساط الإسلامية ، وذكر إعلان « الجبهة الإسلامية للإنقاذ » بشأنها ، على أنها عمل « بغيض » يتنافى مع تعاليم الإسلام ، وأشار إلى اجتماعات الصلاة والتأمل التي عُقدت البارحة في كل المساجد الإسلامية في فرنسا لذكرى الرهبان المقتولين الذين قضوا شهداء محبتهم لأهل البلد الذين لم يشاؤوا أن ينزحوا ويتخلّوا عنهم رغم معرفتهم بالخطر المميت المحيق بهم ، وأصرّوا على مواصلة خدمة بائسيهم مَهما كلّفهم ذلك . واستشهد المرشد بتصريح إمام جامع باريس ، دليل بوبكر ، الذي أدان الجريمة استنادًا الى الآية القرآنية القائلة : « ... من قتل نفسًا بغير نفس أو فَسَادٍ في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعًا ،

ومن أحياها فكأنّما أحيا الناس جميعًا ..» (سورة المائدة (٥):٣٢).
وقال المرشد إن جرائم من هذا النوع (وقد قتل المتطرفون الإسلاميون، لا هؤلاء الرهبان فحسب، بل أيضًا خمسين من أئّمة المساجد الذين اختلفوا معهم بالرأي) تشير إلى تسخير كفريّ لله في سبيل شهوة الحكم والتسلّط وفرض الرأي.

ألحلقة رقم ٢٨

إجتماع السبت ١٩٩٦/٦/١

ألموضوع : تعاطي مرقس ٣ : ٢١ـ٣٠

ألنصّ

« وبلغ الخبر ذويه فخرجوا ليُمسكوه ، لأنهم كانوا يقولون : « إنه ضائع الرُّشد » . وكان الكتبَة الذين نزَلوا من اورَشليم يقولون : « إنّ فيه بَعلَ زبول ، وإنه بِسَيِّد الشياطين يَطرُد الشياطين » . فدَعاهم وكلَّمهم بالأمثال ، قال : « كيف يستطيع الشيطان أن يَطرُدَ الشيطان ؟ فإذا انقسَمَت مَمْلكَةٌ على نَفْسِها ، فلا تستطيع تلك المملكةُ أن تَثْبُت . وإذا انقسم بيتٌ على نَفسِه ، فلا يستَطيع ذلك البيتُ أن يَثبُت . وإذا ثارَ الشيطان على نَفسِه فانقَسَمَ ، فلا يستطيع أن يَثبتَ ، بل ينتهي أَمْرُه . فما من أَحَدٍ يَستَطيع أَن يَدخُلَ بَيتَ الرَّجلِ القويّ ، ويَنْهَبَ أَمتِعَتُه ، إذا لَمْ يُوثِقْ ذلِكَ الرَّجلَ القَوِيَّ أولًا ، فعَندَئذٍ يَنْهَبُ بيتَه .

« ألحقَّ أقولُ لكم إن كلَّ شيء يُغفَر لِبَني البَشَر من خَطِيئةٍ وتَجْديفٍ مَهما بَلَغَ تَجْديفُهُم . وأمّا مَن جَدَّف على

الرّوح القُدُس ، فَلا غُفرانَ له أبدًا ، بل هو مُذنِبٌ بِخَطيئةٍ للأَبَد » . قال ذلك ردًّا على زَعمِهِم أنّ فيه روحًا نَجِسًا .»

* * *

تعاطت الفرقة هذا النصّ الإنجيليّ ، وقد أعدَّهُ إيلي الذي علّق عليه بتساؤل حول معنى « التجديف على الروح القدس » . أعطى المرشد الكلام لأعضاء الفرقة ، فتحدّث كلٌّ من الياس وألفريد وأنجليك وإيلي ، فأبَدوا مداخلات علّق عليها المرشد . وقد سمح ذلك الحوار بتسليط أضواء هامّة على معاني النصّ .

ثم قدّم المرشد مداخلة ختاميّة بيّن فيها أن « الكتبة » (والعبارة تشير إلى فقهاء أو لاهوتيّي اليهود في ذلك الحين) كانوا في خصام مع يسوع لأنه فَضَحَ التسلّط الذي كانوا يتذرّعون بالدين لممارسته على الناس (مثلًا بتحويلهم السبت إلى نيرٍ يُلقى على كاهل الإنسان فيكبّله ، في حين أن وصية حفظ السبت وُضِعَت في الأصل ، كما ذكّر يسوع ، من أجل الإنسان لا لقمعه) . لذا كان من مصلحة هؤلاء أن ينكروا على يسوع الحقّ بمحاسبتهم ، وذلك عن طريق إنكار رسالته الإلهية . من أجل ذلك ، فإنهم ، لما رأوه يطرد الشياطين ، أي يزيل أذاهم عن الناس ، مما يشير بداهة إلى أنه كان يقهرهم بقوة الله التي تفوق وحدها قدرتهم ، استماتوا في محاولتهم رَفْضَ الاعتراف بهذه الحقيقة عن طريق ادّعائهم بأنه إنما يطرد الشياطين بقوة رئيسهم (المسمّى هنا « بعل زبول » ، وهو أحد

اسماء الشيطان عند اليهود، ومستمدٌّ من اسم اله كان الكنعانيون الوثنيون يتعبّدون له ويطلقون عليه هذه التسمية التي تعني «السيد الملك»).

فما كان من يسوع الّا أن كشف البطلان السافر لزعمهم هذا، مستندًا إلى أمثال تسمح بلمسِه لمس اليد. فبيَّنَ أن البيت الذي ينقسم على نفسه يَخرب، وأن كذلك هي حال المملكة التي تعاني من انقسام داخليّ، وكأنه يقول: إنّ لدى الشيطان ما يكفي من الذكاء كي لا يقبل بأن يَخرُب بيته بيده. كذلك شبّه الشيطان بِرجُلٍ قويّ لا تُنْهَب أمتعته إلّا إذا داهمه من هو أقوى منه وقيّده. هكذا فضح يسوع سوءَ نيّةِ خصومه وكشف بجلاء أنهم إنما يتعمّدون إنكار الحقّ الصريح لغرض في نفوسهم. ويأتي الحديث عن «التجديف على الروح القدس» نتيجة طبيعية لهذا النقاش، وقد أوضح النص هذا الارتباط بقوله: «قال ذلك ردًّا على زعمهم أنّ فيه روحًا نَجِسًا» (٣: ٣٠).

في هذا السياق يتّضح المقصود من عبارة «التجديف على الروح القدس». فإنها تعني أولًا التجنيّ على الروح الإلهي الفاعل بيسوع، عِبَرَ الادّعاء بأن ليس الروح القدس هو الفاعل بل روح نَجس أي شرير. ولكن العبارة تشير أيضًا، وخصوصًا على ما أعتقد، إلى رفض خصوم يسوع المتعمّد لله، عبر استخفافهم بالروح القدس الذي يحاول أن يخاطبهم، من خلال أعمال يسوع، ليكشف لهم حقيقة الله (ما يعني أن هذا الروح هو الله ذاته، لأن

الرسول بولس يقول: «فمن من الناس يعرف ما في الإنسان غير روح الإنسان الذي فيه؟ وكذلك ما من أحد يعرف ما في الله غير روح الله»: ١ كورنثوس ٢: ١٦. فالروح القدس هو الله إذًا لأنه يعرف حقيقة الله كاملة). رَفْضُ الله هذا، الناتجُ عن ملء الإرادة - وليس عن مجرد جهل أو ضعف، لأن حقيقة الله تتجلّى هنا صراحة لإنسان يدير لها ظهره عمدًا - هذا الرفض يقصي به الإنسان نفسَه كلّيًّا عن الله ويقصي الله كلّيًا عنه، مغلقًا على ذاته في العزلة والعداوة. ولأن هذا الرفض صادر عن «سابق تصور وتصميم» (كما يُقال في اللغة القضائيّة)، وليس عن مجرد هفوة عابرة، فإن الإصرار عليه مرشّح أن يستمرّ أبدًا. من هنا قول يسوع عن صاحب هذا الرفض: «فلا غفران له ابدًا، بل هو مذنبٌ بخطيئةٍ للأبد» (٣:٢٩). ليس لأن الله ينتقم منه بإلحاقه به قصاصًا أبديًا، بل لأنه هو يصرّ على إقصاء الله عنه إلى الأبد.

ألحلقة رقم ٢٩

إجتماع السبت ١٩٩٦/٦/٨

ألموضوع: الأشارات الى الثالوث في العهد القديم

عُدنا في هذا الاجتماع إلى سياق المواضيع التي طرحها أعضاء الفرقة بغية مزيد من التعرّف إلى العهد القديم. فتعاطينا السؤال الآتي: «الوهية الابن وألوهية الروح القدس في العهد القديم، والرموز والدلائل التي تبيّن وجود الثالوث».

أعدّت أنجليك الموضوع، مستندة إلى مراجع، منها قاموس الكتاب المقدّس. بسطت لنا حصيلة بحثها، فكانت دراسة دقيقة ومفصَّلة لم تخلُ من بعض الصعوبة. أبدى المرشد بعض التعليقات، كما أثنى على الجهد الكبير الذي بذلته أنجليك في تحضيرها، ثم تناول الموضوع بشكل شاءه أكثر بساطة ووضوحًا.

● أوضح المرشد أن العهد القديم إنما هو، على غِناه، مجرد تهجئة وظلّ للإعلان الكامل الذي لم يحصل إلّا في العهد الجديد. لذا ينبغي ألّا ننتظر منه كشفًا صريحًا للثالوث (هذا الكشف الذي تمّ بيسوع وأوضحته الكنيسة لاحقًا فصاغته عقائديًا، بإلهام الروح القدس الذي كان يسوع قد

أنبأ أنه سوف يقودها الى ملء الحقّ)، بل مجرد إشارات ومقدّمات، لم تُعرف على أنها كذلك إلّا في ضوء الحقيقة الكاملة حين انجلت.

● من الإشارات إلى **الثالوث كَكُلّ**، استشهد المرشد بسفر التكوين ١٨ :١- ٤، منوّهًا بالتأرجح الذي يبدو في هذا المقطع بين «الواحد» و«الثلاثة»، بين المفرد والجمع:

«وتراءى الرّبُّ له عند بَلّوط مَمْرا، وهو جالس بباب الخيمة، عند احتدادِ النهار. فَرفَع عينيه ونَظَر، فإذا **ثلاثة** رجالٍ واقفون بالقرب منه، فلما رآهم، بادَرَ إلى لقائهم من باب الخيمة وسجد الى الارض. وقال: «**سيِّدي**، إن نِلتُ حُظوةً في **عينَيك**، فلا تَجُزْ عن عَبدِك، فَيُقدَّم **لكم** قليلٌ من الماء فتغسلون أرجلكم وتستريحون تحت الشجرة...»

مما يشير إلى «الوحدانية الثالوثية» uni - trinité، وهي عبارة أكثر دقّة من عبارة «ثالوث».

● أما الاشارات إلى **الابن**، فذكر المرشد منها:

* ما ورد في المزمور ١٠٩ :١و٣

– «قال **الربّ لربيّ** إجلس عن يميني حتى أجعل أعداءَكَ موطئًا لقدميك» (١٠٩ :١)

ذكّر المرشد بأن يسوع استشهد بهذه الآية ليبيّن للكتَبَة، اي لعلماء الدين اليهود، أن المسيح ليس **ابن داود** وحسب، كما كانوا يقولون، بل **ربّه** أيضًا. وأشار إلى أنّ الاستعمال المزدوج، في

هذه الآية، لكلمة «ربّ» (علمًا بأن عبارة «الرب» تشير، في العهد القديم، الى الله)، إنما هو تلميح إلى علاقة الآب («الربّ») والابن («لربّي»).

- «من البطن قبل كوكب الصبح ولدتُك» (٣:١٠٩). والله، الذي هو روح، ليس له بطن. فعبارة «من البطن» تعني اذًا «من كياني» (راجع كلمة يسوع: «من آمن بي ستجري من **بطنه** (أي من كيانه، أو، كما قال الفريد، من باطنه) أَنهارُ ماءٍ حيّ»: يوحنا ٧: ٣٨)، ما يعني أن الابن خرج، لا من العدم كالمخلوقات، بل من كيان الله. أما عبارة «قبل كوكب الصبح»، أي قبل الفجر، فهي صورة تشير إلى البدايات، إلى الأزلية، وقد أوضحها يوحنا الإنجيلي بقوله في مقدّمة إنجيله: «في البدء كان الكلمة» (يوحنا ١:١).

* ما ورد في سفر الحكمة (الذي كُتب في منتصف القرن الأوّل قبل الميلاد):

- في حكمة ٧:٢٥-٢٦، تبدو الحكمة وكأنها ليست مجرّد صفة من صفات الله، بل كيان متميّز يعكس صورة الله. إذ يُقال عنها إنها «نفحة من قدرة الله» و«انبعاث خالص من مجد القدير»، و«انعكاس للنور الأزلي» و«مرآة صافية لعمل الله»، و«صورة لصلاحه». وكأن هذه العبارات تسبق فتشير إلى الإله الكلمة الذي قال عنه دستور الإيمان إنه «نور من نور» ووصفه

الرسول بولس بأنه « هو صورة الله الذي لا يُرى » (كولسيّ ١:١٥)، وقالت عنه الرسالة إلى العبرانيين إنه « هو شعاع مجده وصورة جوهره » (عبرانيين ١:٣).

– وفي السفر نفسه تُصوَّر الحكمة بأنّها مشاركة في الخلق. فقد دعيت « مهندسة كل شيء » (حكمة ٧:٢١)، وقيل إنها « تعمل كل شيء »، وأيضًا: « فَمَن أَمهَر منها في هندسة الكائنات ؟» (حكمة ٨:٥-٦). وفي ذلك مقدمات لما ورد في العهد الجديد عن الابن، كلمة الله: « كلّ به كان » (يوحنا ١:٣)، « كلّ شيء خُلِقَ به وله » (كولسّي : ١:١٦).

● أما الإشارات إلى **الروح القدس**، وهي كثيرة في العهد القديم، فقد اكتفى المرشد بأن يذكر منها اثنتين :

* في وصف الخَلق، وَرَدَ في سفر التكوين ما يلي :

« في البدء خلق الله السموات والأرض
وكانت الأرض خاوية خالية
وعلى وجه الغَمرِ ظلام
وروح الله يرفرف على وجه المياه »

(تكوين ١:١و٢)

هذا وإن العبارة التي تُرجَمت « يرفرف »، وردت في الأصل العبرانيّ بمعنى -حضانة الطير لبيضه، تلك الحضانة التي تسمح بتفقيس البيض وخروج الفراخ منه، وفي ذلك إشارة إلى أن روح

الله (أي الروح القدس) خلّاق (وهذه صفة إلهية) إذ إنه يُبرز الحياة في الأرض.

* في المزمور ١٠٣، الذي فيه وصف شعريّ لعظمة خليقة الله وجمالها، وردت الآية التالية: «**تُرْسِل روحَك فيُخلَقون وتجدِّد وجهَ الأرض**» (١٠٣:٣٠). هنا تُنسبُ للروح القدرة الإلهية على خلق الكائنات وتجديدها.

ألحلقة رقم ٣٠

إجتماع السبت ١٩٩٦/٦/١٥

ألموضوع : تعاطي رؤيا ٢٢:٦-١٧

ألنصّ

« وقال لي : « هذا الكلامُ صِدْقٌ وحقٌ . والربُّ الإله ، إلَه أرواحِ الأنبياء ، أرسل ملاكَه لِيُري عِبادهُ ما لا بُدَّ من حُدوثِهِ وشيكا . هاءَنذا آتٍ عَلى عَجَل . طوبى لِلْذي يَحفَظ الأقوالَ النَبوِيَّة التي في هذا الكتاب ! ».

وأنا يوحَنَّا قد سَمِعتُ هذه الأشياءَ ورَأَيتُها . فلمّا سَمِعتُها ورَأَيتُها ، إرْتَمَيتُ عِند قَدَمَي الملاك الذي أراني تلكَ الأشياءَ لِأَسجُدَ له ، فقالَ : « إيّاكَ أن تَفْعَل . أَنا عَبدٌ مِثلُكَ ومِثلُ إخوَتِكَ الأنبياء والذين يحفَظون أقوالَ هذا الكتاب ، فلِلَّه اسجُدْ » .

وقالَ لِي : « لا تَكتُم الأقوالَ النَبوِيَّةَ التي في هذا الكتاب ، لِأَنَّ الوقتَ قد اقترَب . وفاعِلُ الإثْم فَلْيَفْعَلِ الإِثْمَ أيضًا ، والنَّجِسُ فَلْيَتَنَجَّسْ ايضًا ، والبارُ فَلْيَعْمَلِ البِرَّ ايضًا ،

والقدّيسُ فَليتَقَدَّسْ ايضًا . هاءنذا آتٍ على عَجَل ، ومعي جَزائي الذي أُجْزي به كلّ واحِدٍ على قَدرِ عَمَلِه . أنا الألِفُ والياء ، والأَوّلُ والآخِر ، والبِدايَةُ والنهاية . طوبى لِلَّذين يَغْسِلونَ حُلَلَهم لِينالوا السُلطانَ على شَجَرةِ الحياة ويَدخُلوا المدينة من الأبواب . وَلْيَخْسَإِ الكلابُ والسّحَرَة والزناة والقَتَلة وعَبَدَة الأصنام وكلُّ من أَحبَّ الكِذبَ وافتَراه » .

أنا يسوعَ أرسَلتُ مَلاكي لِيَشْهد لكُم بهذه الأشياءِ في شأنِ الكنائِس . أَنا فَرعٌ من داود ، وذرّيتهُ والكوكَبُ الزاهِرُ في الصباح .

يَقولُ الرّوحُ والعَروس : « تعالَ ! » من سَمِعَ فَليَقُل : « تعالَ ! » ، ومن كان عطشانَ فليأتِ ، ومن كانت له الرغبة فليَستَقِ ماء الحياة مجانًا . »

* * *

أَعَدَّت مارينا هذا المقطع وقدّمت له . قالت إنها رأت فيه وجوب الاستعداد لمجيء الربّ . وتساءَلت : طالما اننا لا نزال نخطئ كلّ يوم ، فما هو مصيرنا عند مجيء الربّ ؟ فأجاب نقولا عن هذا التساؤل بقوله : ألمهم أن يسعى الإنسان ، وأن يتعلّم من أخطائه ، وأن يجتهد في التغلّب عليها الواحدة تلو الاخرى . ثم إن هناك نعمة الله : فالإنسان لا يستطيع لوحده شيئًا ، ولكن نعمة الله تعينه . قال المرشد ، عطفًا على هذه المداخلة : ألمهم هو التوتّر نحو الله ،

ولو عِبرَ الأخطاء والسقطات. واستشهد بابيات للشاعر الفرنسي الكبير فيكتور هوغو، يقول فيها: ألله يبارك الإنسان لا لكونه وَجَدَ بل لكونه سعى:

"... Dieu bénit l'homme

Non pour avoir trouvé mais pour avoir cherché."

ورأت أنجليك في النصّ دعوة إلى الاستعداد الدائم. ثم تساءلت: ما معنى قوله: «وفاعِلُ الإثم فليفعل الإثم ايضًا»؟ أجاب نقولا: أعتقد أن يوحنا كان يعتقد بأن مجيء الرب سريع، لذا قال إنه لم يعد يتوفّر متّسع من الوقت لتغيير السلوك. أيّد المرشد هذا التفسير، قال: كان المسيحيون الأوّلون، بوجه عامّ، يعتقدون للوهلة الأولى أن مجيء الربّ كان وشيكًا (مع أن يسوع كان قد نبَّهَهُم إلى أن لا أحد يعرف الساعة)، ثم علموا من خبرتهم انه مؤجَّل. من هنا نرى بولس، في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي (وهي أول رسالة كتبها، وكان ذلك حوالي ٥١ للميلاد) يفترض أنه سوف يكون بين الأحياء عند مجيء الرب، إذ يقول: «**نحن الأحياء** الباقين إلى مجيء الرب» (١ تسالونيكي ٤:١٥)، في حين أننا نراه، في رسالته اللاحقة إلى أهل فيليبي، قد أدرك أنه لن يلاقي الربّ إلّا بعد موته، إذ يقول: «فلي رغبة في الذهاب لأكون مع المسيح» (فيليبي ١:٢٣). ففي عبارة الرؤيا التي استفسرت عنها أنجليك، يقصد يوحنا أن يبالغ في تصوير سرعة

مجيء الرب، وكأنه يقول: لم يعد للآثم وقت ليُعرض عن إثمه. علمًا بأننا نعرف من مثال اللصّ المصلوب الذي اهتدى وقت احتضاره، أنه بوسع الإنسان أن يعود إلى الله ولو في لحظته الأخيرة.

وسأل نقولا: هل قال الملاك حقًّا هذا الكلام الذي ينسبه إليه يوحنا؟ فأجاب المرشد إن كتاب الرؤيا ينتمي إلى ما يُدعى «الأدب الرؤيوي»، الذي كان رائجًا عند اليهود في تلك الحقبة التاريخية. وهو أدب له قواعده وأساليبه، ومنها أن الملائكة تلعب فيه دورًا كبيرًا. فطبقًا لهذه الأساليب، ينسب يوحنا إلى ملاك ما أوحاه الله له. بعبارة أخرى، فإن الأدب الرؤيوي يسكب مضمون الوحي الإلهي في قوالب متعارف عليها وهي من صنع الخيال.

وعلّقت أنجليك على العبارات الأخيرة: «من كان عطشان فليأتِ، ومن كانت له الرغبة فليستقِ ماء الحياة مجانًا» (١٧:٢٢)، فنوّهت بأمرين استلفتاها: أولهما أن الله يعطي دون أن يشترط الأخذ بالمقابل، إذ يدعونا إلى استقاء الماء الحيّ «**مجانًا**»، وثانيهما أنه لا يفرض شيئًا، فمن كان عطشان، من كان راغبًا، فليُقبِل إلى الماء الحيّ.

ختامًا أشار المرشد إلى العبارات السابقة: «يقول الروح والعروس: «تعالَ!». من سمع فليقل: «تعال!»». فأوضح أن «العروس» هي الكنيسة، وقال: صحيح أننا نَعْلَمُ اليوم أن مجيء الرب مؤجّل، ولكن موقفنا الدائم (الذي تعبّر عنه كلمة «تعالَ!»)

هو الامتداد اليه، التوق اليه، ما يجعلنا «نستعجل مجيء يوم الله»، على حدّ تعبير بطرس الرسول (٢ بطرس ٣:١٢)، أي نستبقه برسم صورته في حياتنا ومعاملاتنا ومحيطنا.

ألحلقة رقم ٣١

إجتماع السبت ١٩٩٦/٦/٢٢

ألموضوع : تاثير الأهل المتعصّبين على بنيهم(١)

عودة اليوم إلى موضوع التعصّب عبر تعاطي السؤال التالي المتفرّع منه والذي كانت الفرقة قد طرحته : « ما هي السلبيات التي قد ينقلها الأهل المتعصّبون إلى ابنائهم ؟ » .

تحدّث إيلي عمّا اختبره ، في بيروت ، في إطار خدمة العلم التي انخرط بها مؤخّرًا . قال إنه لاحظ أن الشبان الذين خالطهم هناك ، يحملون أحيانًا ، عن الطوائف الأخرى ، أفكارًا سلبيّة تلقّنوها من أهلهم ، في حين أنه لم يَرَ شخصيًا هذه السلبيّات في واقع معاشرته أبناءَ هذه الطوائف (مثلًا لدى الدروز) . واشار الياس الى أن التعصّب ينتقل ويتواصل عبر الاجيال ، وأنه ، اذا عرف الولد الحقيقة لاحقًا ، تتيقظ عنده ردّة فعل نفورٍ ضدّ أهله الذين خدعوه . وقالت ريمه (التي انتسبت حديثًا إلى الفرقة) إن التعصّب يثير التفكّك ، بدل التدامج ، بين الأديان والطوائف . أما حبيب ، فقد قال ان بلدنا عائش في الأساس على الطائفية ، لذا فإنه (اي حبيب) لا يلوم الأهلَ ، الذين تحيط بهم هذه الأجواء ، بل رجالَ

الدين الذين يُفرض فيهم ان يقوموا بعمل التوعية . وعادت ريمه الى الكلام فقالت : على الأهل أن ينمّوا لدى الولد الاحترام للأديان الأخرى ، إلى جانب تنشئته على دينه . ونوّهت بضرورة الاطّلاع على الأديان الأخرى .

وأبدى نقولا مداخلة حول نقطة حسّاسة ، ما أثار نقاشًا في الفرقة . قال إن أمرًا خطيرًا يتراءى له من خلال ما يحكيه الأهل وغيرهم ، وما يُحكى حتى في الحركة ، ألا وهو فكرة مسبَقة مرسومة عن الآخر ، تصنّفه على أساس مجرّد انتمائه الطائفي . قال إنه ، لدى دخول أحد الشبان إلى بيت الحركة ، يسمع عنه أقوالًا مفادها : هذا مسلم؟ إذًا فهو حكمًا غير « منيح » . وتطرّق إلى خوف الأهل من أن يكون لأولادهم ، ولبناتهم خصوصًا، رفيق مسلم . وأضاف أن المسيحية تطلب الانفتاح على الجميع ، فيما التعصّب يقطع حبل الاتصال . فاعترض حبيب قائلًا : إن تحذير البنات لا يفيد حكمًا التعصّب . فردّ نقولا سائلًا : هل ان تحذيرنا هو من المسلم أيًّا كان ، أو ممن قد يكون « أزعر » بين المسلمين؟ فأجاب حبيب إنه لا يعرف من منهم هو « أَزعر » . وشهدت رُلى أ. بأنها تلاحظ في حارتها (المختَلَطَة طائفيًا) تحذير الأهل لأولادهم بأن لا يخالطوا المسلمين . أما إيلي فقد ارتأى أنّ تحذير الأهل هذا يأتي من خوفهم من الزواج المختَلَط وما يترتّب عليه من محاذير (تعرّض من تتزوج من مسلم الى الطلاق وتعدّد الزوجات) . فأجاب نقولا إن هناك رفضًا ، في المطلَق ، للمسلم ، بغضّ النظر

عن مسألة الزواج. وأضاف: علاقتي ينبغي أن تكون طيّبة مع كلّ جيراني. فردّ إيلي قائلًا: طالما توجد امكانية تطوّر العلاقة (نحو الزواج)، لذلك ينبغي الحذر. وأوضحت ريمه أن تخوّف الأهل قائم بالنسبة للبنت.

وأبدت مارينا الملاحظة التالية: إن جوّ البيت له أهمية كبرى، وقد يسمح بمعاشرة سليمة. قال الياس: نحذر من الشريعة الإسلامية في الزواج. فما يُفهم أنه تَعصّب قد يكون حمايةً. فقالت ريمه: ان تحذير البنت قد ينقلب الى تعصّب. وأضافت: عندما يعيش المسيحيون في أحياء تقطنها أكثرية مسلمة، يخشى الأهل من تأثّر أولادهم بأجواء عدم التهذيب التي قد يصادفها أولادهم إذا ما عاشروا رفاقًا مسلمين. هنا أشارت مارينا إلى الضياع الذي يصيب الفتاة إذا ما أقدمت على زواج مختلط. ولاحظ نقولا - مشيرًا إلى ما قالته مارينا (عن أهمية جوّ البيت) في مداخلتها قبل الأخيرة، وداعمًا إياه - ان التربية الصحيحة خير حافظ من أخطار المعاشرة المختلطة. وقد شاءَت ريمه أن تنقل للفرقة الخبرة التالية: فقد سمعت مسلمة تقول لرفيقة لها كانت بصدد الانتقال إلى بناية جديدة: من حسن حظّك أنه لا يوجد، في تلك البناية، مسيحيون!

وبما أن الوقت كان قد تقدّم، اقترح المرشد إرجاء إكمال الموضوع الى اول اجتماع لاحق يخصَّص لموضوع التعصّب، فوافقت الفرقة. ونوّه المرشد بالمشاركة العارمة التي أبداها الحاضرون

في بحث هذا الموضوع (فقد تحدّثوا كلهم بدون استثناء، ربّما للمرة الأولى منذ تسلّمه إرشاد الفرقة). ثم طرح مداخلة ختامية قال فيها:

لقد كنتم مصيبين في إشارتكم الى الأخطار والمحاذير، ولكنكم لم تعالجوها بالموضوعيّة والتجرّد المطلوبَين، لأنكم تناولتموها بالأفكار المسبَقَة النابعة من الخلفيّات الطائفيّة المعشِّشَة فينا.

وأضاف:

أودّ أن أنطلق من مداخلة ريمه الأخيرة. فلا بدّ لنا أن نشعر، إذا سمعنا كلام هذه المسلمة، أنها متجنّية على المسيحيين ومتعصّبة. إنه من السهل أن نرى التجنّي والتعصّب عند سوانا حيالنا. ولكن ما هو أصعب بكثير هو أن نرى تجنّينا نحن وتعصّبنا. لقد جَرَحَنا، ولا شكّ، رأيُ هذه المسلمة فينا، فما قولكم بأن نتساءَل، انطلاقًا من هذا الشعور، عن إحساس المسلمين اذا ما جوبهوا بمواقفنا منهم وآرائنا فيهم؟ تُرى، ألا يحقّ لهم أن يَرَوا فيها، بدورهم، تجنّيًا وتعصّبًا؟ أَم إننا وحدنا الأطهار، الأنقياء، غير المتعصّبين، فيما الشرّ كلّه والتعصّب كلّه هو لدى الطرف الآخر؟

ليس في الحياة من تمييز قاطع من هذا النوع بين أبيض كليّ البياض وأسود كليّ السواد. لذا يجدر بنا أن نتساءل إذا لم نكن بصدد نزع ما فينا من سواد لنُلصِقَه بالآخرين فنسوّد صفحتهم من أجل تبرير انفسنا، متجاهلين تحذير المسيح:

«لماذا تنظر إلى القذى في عين أخيك، ولا تأبه للخشبة في عينك (...). أيها المرائي، إبدأ بإخراج الخشبة من عينك، حتى تبصر فتُخرِج القذى من عين أخيك»

(متى ٧:٣-٥)

فلْنحاولْ أن نرى أنفسنا بالعين التي يرانا بها الآخرون، بدل أن نكتفي برؤية الآخرين دائمًا كما يتراءَون لأعيننا. ولْنتساءلْ في ضوء ذلك عن حقيقتنا، ولا نتسرّع في الإجابة عن هذا التساؤل بغية إسكاته والتخلّص من إزعاجه لنا. فَلْنَدَعْه، بالأحرى، مُخْلِصين، يشقّ طريقه فينا، لعلّه يؤول الى مراجعة للنفس تحيينا. ذلك هو الطريق الشاقّ الذي تقتضيه التوبة.

ألحلقة رقم ٣٢

إجتماع السبت ١٩٩٦/٧/١٣

ألموضوع : تعاطي متّى ٩:١٨-٢٦

ألنصّ

« وبينما هو يُكلّمهم ، دنا بعضُ الوجَهاءِ فَسَجَد له وقال : « إبنتي تُوُفِّيَت الساعة ، ولكن تعالَ وَضَعْ يَدَكَ عليها تَحْيَ » . فقام يسوع فَتَبِعَهُ هو وتلاميذُه وإذا امرأةٌ مَنزوفَةٌ منذ اثنتَي عَشْرَةَ سَنةً تدنو من خَلف ، وتَلمِسُ هُدْبَ رِدائِه ، لِأَنْها قالَت في نَفْسِها : « يكفي أن أَلمِسَ رداءَه فَأَبرأ » . فالتَفت يسوع فرآها فقال : « ثِقي يا ابنتي ، إيمانُكِ أبرأَكِ » . فَبَرِئت المرأةُ من ساعَتِها .

ولمّا وَصَل يسوع إلى بَيتِ الوَجيه ورأى الزَّمّارين والجَمع في ضجيج ، قال : « إنصرفوا ! فالصبيّةُ لم تَمُتْ ، وإنَّما هي نائِمة » ، فَضَحكوا منه . فَلَمَّا أَخرجَ الجَمْع ، دَخَلَ وأَخَذَ بِيَدِ الصَّبيّةِ فنَهَضَتْ . وذاعَ الخَبَرُ في تِلكَ الأرضِ كلِّها . »

* * *

إختارت النصّ وأعَدَّته أنجليك. قَدَّمت له بقولها إن ما يلفتها هو إيمان هذا الوجيه اليهودي فيما كان كثيرون من رؤساء اليهود يعادون يسوع. ثم توقّفت عند ذكر نازفة الدم التي كانت تُعتبر إذ ذاكَ نجسة، أما يسوع فلم ينظر إليها على أنها هكذا، وغيّر بالتالي مفهوم النجاسة. وبيّنت أنجليك أن الإيمان شفى المرأة إذ أحسّ به يسوع من لمسها إيّاه. وعلّقت على عبارة «أخرج الجميع» بقولها إن يسوع أتمّ خفية هذا السرّ العظيم وهو إقامة الصبيّة، ولم يشأ أن يُجريه أمام جمهورٍ لأنه كان يبغي إحياء الفتاة لا الدعاية لنفسه.

قالت رُلى ح. إن الإيمان القوي يشفي وليس الأعجوبة. فسأل المرشد: ما هو دور يسوع إذًا؟ قالت رُلى ح. إنه يشفع بالمريض. قالت ايلان: الإيمان ليس إيمانًا بفكرةٍ جامدة، إنه إيمان بكائن حيّ هو الله. انه ثقة كبيرة بهذا الكائن. الاعجوبة انما هي اذًا عمل يشارك به المؤمن والربّ.

وأشارت مارينا إلى تناقض بدا لها بين إيمان في المرأة وعدم إيمان النادبين. وعلّقت رُلى ح. على سلوك النادبين بقولها: بدل ان نندب الشخص، الأجدر أن نصلّي من أجله.

ونوّهت أنجليك بثقة المرأة، اذ كانت هذه متأكّدة من أن مجرد لمسها يسوعَ حريّ بأن يشفيها. وأشارت إلى مدى توقها إلى التقرّب من يسوع.

وتساءَل حبيب: هل أتى الوجيه إلى يسوع عن إيمان أم عن مصلحة؟ فأجابت أنجليك: الإيمان يظهر في قوله: «ضَعْ يَدَكَ

عليها تحيَ » . أما مارينا فقد قالت : لولا إيمانه القويّ بيسوع لما كان أتى اليه . وقالت إيلان إنها تلمس عند الوجيه اتّكالًا عميقًا على الربّ يسوع . وذكرت أنجليك أن عبارة « سجد له » تفيد الإيمان .

وأبدى المرشد مداخلة ختامية علّق فيها أولًا على تساؤل حبيب وما تلاه من حوار . قال إن إيمان الوجيه يبدو جليًا ولا يترك مجالًا للشكّ فيه . إلّا أن سؤال حبيب يبقى إذ يتناول بالحقيقة الموضوع التالي : هل أقبل الوجيه إلى يسوع لمجرَّد حاجته إليه ، أم إنه كان يطلبه من أجل ذاته؟ الإيمان المكتمل يطلب بالطبع اللهَ من أجل نفسه وليس من أجل حاجات الإنسان . ولكن هذا إنما يأتي تتويجًا لنموّ ونضج طويلين . فمثلًا كانت المتصوّفة المسلمة الشهيرة رابعة العدويّة، التي عاشت في القرن الثامن الميلاديّ ، تخاطب الله قائلة :

> « إلهي ، إذا كنتُ أعبدك خوفًا من نارك ، فأحرقني بنار جهنم ، واذا كنتُ أعبدك طمعًا في جنّتك فاحرمنيها ، أما إذا كنت أعبدك من أجل محبّتك فلا تحرمني من مشاهدة وجهك » .

أما الوجيه ، فلا يوضح لنا المقطع الإنجيلي الذي نحن بصدده أيّ شوط كان قد قطعه في رحلة الإيمان .

ثم انتقل المرشد الى السؤال الذي كان قد علّق به على مداخلة رُلى ح. حول الإيمان والأعجوبة . قال : طرحتُ هذا السؤال لأن القول التالي شائع بين الناس : آمِن بالحجر تَبرأ . إن ما يسمّى « ايمانًا » هنا ، هو نوع من الايحاء الذاتي auto - suggestion

الذي قد يكون له بعض الأثر الشافي نظرًا لاحتمال تأثّر حالة الجسد بعوامل نفسية (وهو أمر معروف منذ القديم وقد أثبته اليوم ما يسمّى بالطبّ النفسجسدي médecine psychosomatique). ولكن، في حالة الايحاء الذاتي، يبقى الإنسان وحيدًا مع ذاته ويكتفي بممارسة تأثير ذاتيّ على ذاته. أما في الاعجوبة الإلهية، فالله نفسه يفعل، إنه مصدر الشفاء لانه نبع الحياة. ولكن الإيمان ضروري لحصول الأعجوبة، لأنه يسمح بتقبّل الفعل الإلهي المحيي. فالإنسان ينبغي له أن يثق بالله، كما ذكرتم، (وعبارة «آمن» قريبة من كلمة «أَمَّنَ»، التي تعني وَثِقَ)، لكي ينفتح إلى فعله الخلاصيّ. أمّا اذا رفض الإنسان منح هذه الثقة، فانه يعطّل فعل الله الذي يحترم الإنسان إلى أبعد حدّ ولا يغتصبه اغتصابًا. من هنا أن الإنجيل يروي لنا ان يسوع، ذات مرة، لم يقدر ان يصنع، في الناصرة، إلّا عجائب قليلة، بسبب عدم إيمان أهلها (راجع مرقس ٦:٥و٦). إن النور، مع انه يحيط بالبيت، لا يدخله إلّا إذا فتحنا له الشبابيك. كذلك فإنّ الإيمان يسمح لله بالولوج إلينا. الأعجوبة تفترض اذًا قُطبَيْن: قدرة الله وإيمان الإنسان، كما ان التيار الكهربائي لا يمرّ إلا إذا تقابل قطبان، سالب وموجب.

ختامًا أبدى المرشد ارتياحه إلى هذا التبادل الغني الذي جرى بيننا حول المقطع الإنجيلي الذي تعاطيناه، والذي أُهّلنا خلاله لنقل نور الله بعضنا الى بعض عبر انتباهنا إلى كلمته.

ألحلقة رقم ٣٣

إجتماع السبت ١٩٩٦/٧/٢٠

ألموضوع : تأثير المتعصّبين على بنيهم (٢)

تابعت الفرقة اليوم تعاطي موضوع «ما هي السلبيات التي قد ينقلها الأهل المتعصّبون إلى أبنائهم؟»، الذي بدأ بحثه في اجتماع ١٩٩٦/٦/٢٢.

أوجز المرشد مسيرة البحث كما ارتسمت في ذلك الاجتماع، وعلّق عليها. قال إن الفرقة بدأت بتبيان دور الأهل في نقل التعصّب إلى أبنائهم، علمًا بأن أولئك، من جهتهم، وكما بيّن حبيب، يتلقّون التعصّب في المجتمع الطائفي الذي يعيشون فيه. إلّا أنّ المرشد - الذي كان آنذاك يشغل موقع الملاحِظ والمسجِّل لا المشارِك، وبالتالي كان بإمكانه ان يتبيّن الأمور بوضوح أكبر - لاحظ انعطافًا طرأ على الموضوع بعد أن ذُكِرَ أن الأهل المتعصّبين يعارضون معاشرة أولادهم رفاقًا مسلمين، فجنح النقاش إذ ذاك نحو مسألة مشحونة انفعاليًا، وهي معاشرة الفتيات شبّانًا مسلمين، وإذا بتهمة التعصّب تُرفع عن الأهل، وإذا بممانعتهم لهذه المعاشرة تُعزَى إلى مجرّد حماية بناتهم من زواج مختلط يعرّضهنّ للطلاق أو لتعدّد

الزوجات، في ظلّ الشريعة الإسلامية، علمًا بأنه لم يُذكَر أن كثيرين من المسلمين لا يطلّقون ويكتفون بزوجة واحدة، وأن كثيرين من المسيحيين (أو المحسوبين هكذا)، بالمقابل، يطلّقون أو يخونون زوجاتهم. هكذا، قال المرشد، ضُخِّمَت ناحية جانبيّة من الموضوع، في حين أن الناحية الرئيسة التي كانت قد برزت، طُمِسَت، وهي أن الاهل يعترضون، في كثير من الأحوال، على معاشرة أولادهم بشكل عام، وليس فقط بناتهم، رفاقًا مسلمين، انطلاقًا من تصنيف سلبيّ مسبَق للمسلم، أيًّا كان، لمجرّد كونه مسلمًا.

وذكّر المرشد بأن مداخلة ريمه أوضحت للفرقة آنذاك أن هذا التصنيف السلبيّ المسبَق على أساس فئويّ، وارد لدى الطرف الآخر أيضًا، إذ إنها سمعت مسلمة تقول لرفيقة لها انتقلت إلى شقّة جديدة: من حسن حظِّكِ أنه لا يوجد في البناية مسيحيون! وذكّر المرشد بأنه استفاد من مداخلة ريمه المشار إليها، ليدعو الفرقة إلى التساؤل عما إذا كان هذا التحيّز السافر الذي نلمسه – ونرفضه – في حكم هذه المسلمة لا نجد له مثيلًا في نظرتنا نحن إلى المسلمين، عملًا بتحذير السيّد لنا: «لماذا تنظر إلى القذى في عين أخيك، ولا تأبه للخشبة في عينك (...) إبدأ بإخراج الخشبة من عينك، حتى تبصر فتُخرج القذى من عين أخيك» (متّى ٧:٣–٥).

بعد هذا الاستعراض لما جرى في المرحلة الأولى من بحث الموضوع انتقل المرشد إلى عرض آراء له:

● أكّد وجود تصنيف مسبَق سلبيّ لدى المسيحيين للمسلمين، على اساس انتماء هؤلاء الطائفيّ ليس إلّا، مستشهدًا بالمثل الشعبيّ الشائع: «ولو كان حبّة مِسْك، لا تضعه في جيبك». علّق على عبارة «ولو كان حبّة مسك»، مبيّنًا أنها تعني: أيًّا كانت أخلاقه الشخصية، لا تثق به، لأنه مسلم. وأضاف المرشد إن موقفًا موازيًا يوجد بالطبع لدى المسلمين حيال المسيحيين.

● وأورد مثلًا حسّيًا على هذا الموقف التصنيفيّ التعصبيّ، مذكّرًا بحادثة سبق أن رواها للفرقة، وقد جرت فعلًا منذ بضع سنوات، مفادها أن شابًا من المنطقة الشرقية من بيروت نزل ضيفًا على أقارب له في طرابلس. بات الليل عندهم، وقبل طلوع النهار استيقظوا عليه فرأوه يعدّ أمتعته للرحيل والهَلَعُ يملأ قلبه. ولما استفسروا عن السبب، علموا أن الشاب سمع صوت أذان الفجر، فعرف منه أنّ مسلمين يسكنون المدينة! هذا الشاب الذي ترعرع في ظلّ الحرب اللبنانية وما أحدثته من فرز طائفي، لم يكن قد أتيح له أن يرى مسلمًا واحدًا في المنطقة التي كان يقطنها، فلا عجب، بالتالي، أن يكون قد تخيّل المسلم بعبعًا مخيفًا بتأثير الصُوَر التي تلقّنها من أهله ومحيطه والمشحونة بالخوف والعداء المتحكّمَين بالنفوس في تلك الأيام العصيبة والمغتذِيين بالعزلة عن الآخر وعدم توفّر فرصة الاحتكاك به في ظروف الحياة اليومية. وبالفعل كان مسيحيو طرابلس، وفي فترة الحرب، يسمعون من معارفهم في بيروت استغرابًا لكونهم

يستطيعون ان يعيشوا مع مسلمين!

● أضاف المرشد إن الطفل لا يعرف بفطرته التمييز الفئوي التعصبيّ، ولكن أهله قد يزرعونه فيه. وذكر هذه الملاحظة البالغة التعبير التي أوردها إخصائي أميركي في علم النفس الاجتماعي يُدعى Otto Klineberg. فقد روى أن إحدى السيدات أرسلت ذات يوم، للمرة الأولى، ابنها البالغ من العمر أربع سنوات، إلى روضة الأطفال. فلما عاد الى البيت بدا مسرورًا بما شاهد وفعل، وروى لِأُمّه أنه تعرّف إلى رفيق يُدعى جوني، وأنه أحبّه كثيرًا، وأنه يودّ أن يدعوه إلى بيته. أجابت الأم: لا مانع من ذلك، ولكن قل لي: هل إن جوني أبيض أم اسود؟ أجاب الطفل: لم ألاحظ يا ماما، ولكنني سوف ألاحظ في المرة الآتية!

بعد ذلك أعطى المرشد الكلام للفرقة لتعلّق على ما قاله (علمًا بأنه للأسف لم يتمكن سوى أربعة أعضاء من حضور اجتماع اليوم بموضوعه الحسّاس). فقالت رُلى ح. إن مواقف الأهل السلبية من المسلمين لها ما يبرّرها في الخبرة، وأضافت إن هناك اختلافات بين الطائفتين في الدين والسلوك والعادات، وشكت مما سمّته «استعباد المرأة» في الإسلام وأعطت الحجاب مثالًا على ذلك. وتحدّث حبيب مجدَّدًا عن محاذير الزواج المختلَط، وعن سلوك الأزواج المسلمين السلبيّ الذي قال إنه لا يرى سواه. وتحدّث ألفريد عمّا وصفه له أهله من اختلافات بين الطائفتين تجعل من الزواج المختلط مخاطرة. وروت أنجليك خبرة لها عاشتها مؤخَّرًا في المستشفى

عندما خضعت لعملية جراحية: فقد تعرفت بهذه المناسبة إلى سيدتين مسلمتين تختلفان كلّيًا إحداهما عن الأخرى، إذ بدت لها إحداهما متعصّبة والأخرى منفتحة.

وعلّق المرشد بدوره على هذه الآراء فقال:

● لا شكّ في أن هناك سلبيّات عند المسلمين. ولكن الخطأ هو في أن نعمّمها وأن لا نرى سواها (لأننا عند ذاك لا نرى إلّا ما نرغب وننتظر أن نراه).

إن ملاحظة أنجليك لدليل على تنوّع واختلاف المواقف بين المسلمين.

● هناك ظواهر لا يجوز ان نتسرّع في تأويلها: فالحجاب مثلًا ليس بالضرورة علاقة استعباد، إذ أن كثيرات من النساء المسلمات المثقّفات يرتضين الحجاب حماية لهنّ من التحوّل إلى مجرد شيء للمتعة في نظرة الذكور الشهوانية(*).

● هناك اختلافات، ولا شكّ، بين المسلمين والمسيحيين في الدين والعادات والسلوك، هناك ثقافة خاصة تفرزها كل جماعة إنسانية، وهذه الاختلافات تجعل الزواج المختلَط مُكتَنَفًا

(*) تسوق المحلّلة النفسية الفرنسية كريستيان أوليفيه، في أحد كتبها، هذه الملاحظة عن نساء بلدها: «أتعلمون ان نساء عديدات لم يعدن يجرؤن على مواجهة الشارع لأنهنّ لا يشعرن فيه بأنّهنّ كائنات بشرية بل أشياء معروضة». أليس هذا «استعبادًا» يا تُرى؟ راجع:

Christiane OLIVIER: Les enfants de Jocaste, Denoël-Gonthier, Paris, 1982, pp. 94-95.

بالمحاذير . ولكن الموضوع ليس هنا ؛ ألموضوع هو في وجود نظرة مُسبَقة تبخيسية نلقيها على المسلمين (وهم بالمقابل يلقونها علينا) على أساس مجرد الانتماء الطائفي ، وانطلاقًا من مجرد اختلافهم عنا . هذه النظرة تنتقل ، بواسطة الأهل ، من جيل إلى جيل ، وقد حان لنا أن نكسر ، بجدّة المسيح ، هذه السلسلة المدمِّرة .

ألحلقة رقم ٣٤

إجتماع السبت ١٩٩٦/٨/٣

ألموضوع : تعاطي متّى ١٤:٢٢–٣٣

النصّ

« وأجْبَرَ التلاميذَ لِوَقْتِهِ أن يَرْكَبوا السَّفينَةَ ويتَقَدَّموه الى الشَّاطئ المقابِل حتى يَصْرِفَ الجموع . وَلَمَّا صَرَفَهُم صَعِدَ الجَبَلَ لِيُصلّي في العُزلة . وكانَ في المساءِ وحدَه هناك . وأَمّا السَّفينَةُ فَقَد ابتعَدَت عِدَّةَ غَلَواتٍ من البرّ ، وكانَتِ الأَمواجُ تَلطِمُها ، لِأَنَّ الرِّيحَ كانَت مُخَالِفَةً لها . فَعِنْدَ آخِرِ اللَّيل ، جاءَ اليهم ماشِيًا على البَحْر . فَلَّما رآهُ التَّلاميذُ ماشِيًا على البَحْر ، إِضطَرَبُوا وقالوا : « هذا خَيال ! » وَمِن خَوفِهِم صَرَخوا . فبادَرَهم يَسوعُ بِقَوله : « ثِقوا . أنا هو ، لا تَخافوا ! » فَأَجابَه بُطرس : « يا رَبُّ ، إنْ كُنْتَ إيَّاهُ ، فمُرْني أن آتيَ إليك عَلى الماء » . فقال له : « تَعالَ ! » فَنَزَلَ بُطرسُ مِنَ السَّفينةِ وَمَشى على الماء آتِيًا إلى يسوع . ولكِنَّه خَافَ عندما رأى شِدَّةَ الرِّيح ، فَأَخذَ يَغْرَق ، فَصَرَخ : « يا ربّ ، نَجِّني ! » فَمَدَّ يسوعُ يَدَه لِوقْتِهِ وأَمسكَه وهوَ يقولُ له : « يا قَليلِ الإيمان ، لماذا

شكَكْتَ؟» ولما رَكِبا السَّفينَة، سَكَّنْتِ الرِّيح، فسَجَد له الذينَ في السَّفينةِ وقالوا: «أَنتَ ابنُ اللهِ حَقًّا!».»

* * *

إختارت أنجليك هذا المقطع، بدل فؤاد الذي كان مكلّفًا بالأمر فاعتذر. قدّمت أنجليك المقطع بقولها إن ما لفتها فيه أمران، أولهما، أهمية الصلاة بالنسبة إلى يسوع، إذ يبدو لديه جوع وعطش إلى الصلاة التي كان يستمدّ منها، بصفته إنسانًا، قوة من الله. وفي السياق نفسه أكّدت أنجليك على ضرورة الصلاة الفرديّة بما تعنيه من اختلاء امام الربّ ومن ظهور امامه بدون قناع. أما الامر الثاني الذي استرعى اهتمامها، فهو موضوع الإيمان والشكّ. قالت إننا أحيانًا كثيرة، ننسى الله كما نسيه بطرس فبدأ يغرق، في حين أن المطلوب تركيزنا على المسيح. وأضافت: إننا، مثلَ الرسل، بحاجة إلى أشياء ملموسة لنؤمن: فانهم، لما رأوا الأعجوبة، آمنوا بأنه ابن الله.

بعد هذا التقديم، أعطى المرشد الكلام للفرقة لتتفاعل مع المقطع ومع ملاحظات أنجليك عليه، راجيًا أن لا نكتفي بالسؤال بل أن ندعه يسألنا هو.

فتحدّث إيلي أولًا، فقال إن لديه تساؤلًا حول العبارة الواردة في أول النصّ عن يسوع وهي: «حتى يصرف الجموع». أما موضوع تساؤله فهو: لماذا أراد يسوع أن يصرف الجمع؟ هل لأنهم

خنقوه؟ أجاب حبيب إن السبب برأيه هو رغبة يسوع بأن يختفي ويصلّي. قالت ايلان: إن الناس كانوا سينصرفون على كل حال. وأوضح إيلي: ذكَّرتني العبارة بما ورد في حادثة المخلَّع عن ازدحام الناس حول يسوع. ثم سأل: هل ساور بطرسَ الشكّ قبل أن يمشي على الماء (لأنه قال: «إن كنتَ إيّاه فَمُرْ ني ان آتي إليك على الماء») أو بعده؟ وأضاف: لقد ذكَّرني بطرس بقول أحد اللصّين المصلوبَين مع يسوع: «إن كنتَ المسيح، فخلِّصْ نفسك وإيانا». حتى التلاميذ لبثوا يشكّون.

قالت إيلان: السفينة ذكّرتني كيف نغرق في مشاكلنا وفي حياتنا اليومية. الله معنا ولكننا نغلق عيوننا ولا نراه (فقد ظنّ التلاميذ يسوع شبحًا). لقد خاطبني هذا المقطع شخصيًا. إننا نشعر بالله ثم نتراجع. يسوع يؤكّد انه معنا، ولكن المهمّ أن نثق به. هذه الثقة تنقذنا.

ثم علّق المرشد على تساؤلات الاعضاء ومداخلاتهم، فتناول النقاط التالية:

● عبارة «حتى يصرف الجموع»: قال ان الجمع كان أحيانًا بالفعل يزحم يسوع ويحشره ويعصره عَصرًا ويكاد يخنقه (راجع مرقس ٣:٧-١٠)، لأنه، في تلك الاحوال، لم يكن يصغي إلا إلى النَّهَم الذي كان يدفعه إلى الاتصال به وإستمداد معونته، فتغيب عن باله حاجة يسوع إلى التنفّس براحة. هذا النَّهَم كثيرًا ما يلاحَظ في الحبّ البشريّ، إذ

يعطّل جوعُ الإنسان إلى محبوبه اهتمامَه بشخص هذا المحبوب، فيصبح شغلُه الشاغل، والحالة هذه، إشباعَ نَهَمِه اليه دون إقامة وزن لحاجات المحبوب. في تلك الاحوال كان يسوع يُضطر إلى الاحتماء من ضغط الجموع الخانق بإقامة مسافة بينها وبينه (راجع مرقس ٣:٩). أما في هذا المقطع، فلا يبدو هذا الامر واردًا، بل إن يسوع، كما أشار حبيب في مداخلته، صرف الجمع لكي يتاح له أن يختلي للصلاة. فقد كان، كإنسان، بحاجة، كما أوضحت أنجليك، إلى مناجاة الله الآب لكي يستمدّ منه نورًا وقوّة ويعود إلى الجمع منتعشًا ومتجدِّدًا بهما. ثم إن مهمّته الآنيّة مع الجمع كانت قد انتهت، كان قد زوّده بما أراد أن يزوّده به. بقي عليه أن يستأذنه بالانصراف حسب آداب التعامل الإنساني التي كان يسوع يمارسها بإحساس مرهَف. صَرْفُه للجمع يوحي إذًا بما تعبّر عنه عبارة «بخاطرك» (التي تناسبها العبارة الفرنسية prendre congé)، نقولها لإنسان عند مغادرتنا إياه، أو إنه يوحي بما نفعله عندما نوصِل زائرًا الى باب دارنا لتوديعه، متابعين معه الحديث ومرافقين إيّاه أحيانًا شوطًا في الطريق، وكأننا، بذلك، نؤجّل ما استطعنا لحظة الافتراق عنه.

● موضوع الإيمان والشكّ: قال المرشد إن وضع التلاميذ هو وضعنا جميعًا. وهو الذي عبّر عنه والد الصبي المريض عندما قال له يسوع: «إن كنت تستطيع أن تؤمن، فكل شيء مستطاعٍ للمؤمن»، فأجاب بصيحته المذهِلة: «أؤمن يا ربّ ولكن أعِنْ عدمَ ايماني» (مرقس ٩:٢٣و٢٤). كل

واحد منا مؤمن وغير مؤمن بآن . وهذا ما بيّنته بعمق مداخلة إيلان التي انطلقت من خبرتها الشخصية . قالت إيلان : « اننا نشعر بالله ثم نتراجع .» ذلك أننا كثيرًا ما نؤخذ بما نراه ونلمسه . ولكن ما هو جوهريّ في الوجود لا تبصره العيون بل يراه « القلب » أي جوهر الانسان ولبّه (كما نقول « قلب المسألة ») حيث تتجمّع وتتآلف جميع الطاقات من عقل وشعور وإرادة ورغبة . هذا ما عبّر عنه الكاتب الفرنسي الكبير أنطوان دي سانتكزوبري بكلمته المأثورة (في كتابه « الأمير الصغير ») :

"On ne voit bien que par le coeur,
l'essentiel est invisible aux yeux"

لذا ، فعندما نغيب عن أعماقنا ونضيع في السطحيّات ، نصبح غافلين عن جوهر الوجود وعن الله الذي هو عمق أعماق ذلك الوجود .

● موضوع الإيمان والعجائب : لم يكن يسوع يرتاح إلى الإيمان الناتج عن رؤية العجائب . ونجد على لسانه هذه الملاحظة التي تعبّر عن مرارة : « إذا لم تَروا الآيات والعجائب فلستم تؤمنون !» (يوحنا ٤:٤٨) . الإيمان الذي يرتضيه يسوع هو ذاك المبني على كلامه ، على هذه النكهة الفريدة التي تميّز كلامه عن كل كلام بشريّ ، والتي تذوّقها الحرس الذين أرسلهم رؤساء اليهود ذات مرة ليقبضوا على يسوع ، فرجعوا صِفْر اليدين ، ولما سُئِلوا « لماذا لم تأتوا به ؟» أجابوا : « لم

يتكلّم إنسانٌ قطّ مثل هذا الإنسان !» (يوحنا ٧:٤٦). هذه النكهة نفسها كان يميّزها الرسل احيانًا، كما يتّضح من جواب بطرس ليسوع عندما تركه كثير من تلاميذه بسبب تعليمه عن الخبز النازل من السماء، فسأل يسوع الاثني عشر إن كانوا سيتركونه بدورهم، فأجابَ بطرس عنهم: «يا ربّ، إلى مَنْ نذهب؟ إن كلام الحياة الأبدية هو عندك.» (يوحنا ٦:٦٨). إذا نحن عاشرنا يسوع عبر إنجيله، فقد نتذوّق هذه النكهة الفريدة لكلام يسوع: إذ ذاك يتغيّر شيء في حياتنا.

ألحلقة رقم ٣٥

إجتماع السبت ١٩٩٦/٨/١٠

ألموضوع : هل من إيجابيّات للتعصّب ؟

تعاطينا مجدّدًا موضوع التعصّب من خلال أحد الأسئلة التي أوحاها لأعضاء الفرقة وهو التالي :

● « ما هي إيجابيات التعصّب في استمرار أيّ طائفة (إذا وُجدت) ؟

● للتعصّب سيئات كثيرة جدًا . لكن ألا يمكن أن تكون له حسنة أو أكثر ؟ مثلًا :

أ) للمحافظة على الوحدة

ب) لتجنّب الانهيار العِرقي

ج) لكسب قوة اكبر . هناك عدة أمثال على انهيار دول بسبب فقدان العصبية . »

دعا المرشد ، كالعادة ، أعضاء الفرقة الى إبداء الآراء .

تحدّثت رُلى ح. فقالت : إنها فكّرت في البيت بالسؤال المطروح وحاولت ان تجد ايجابية ما للتعصّب ، فلم تجد ، لأن

التعصّب هو تمسّك يكتنفه الجهل. وأضافت: قد تكون للتعصب إيجابية صغيرة، وهي أنه، اذا تَعَرَّضَ المذهب لأحاديث او تصرّفات مهينة، فقد يكون التعصّب حافزًا للردّ، إنما بشكل منطقيّ.

وقال إيلي، وهو طارح السؤال، إن التعصب يحوي «عصبية»، وهي تعني التضامن، بحيث يخاف كل واحد على الآخر ويدافع عنه.

وأبرز حبيب الفرق بين تمسّك وتعصّب، موضحًا أن هذا الأخير إنما يكون أعمى. قال إيلي: هناك دول قديمة إنهارت لفقدان التعصّب، لفقدان العصبية. فقد بيّنت الأبحاث أنه، كلّما كبرت الدولة، خفّ التعصّب فيها إلى أن تنهار، نتيجة لذلك. قالت إيلان: أنا اختلف بالتعبير. الدول انهارت لفقدان **الروابط** وليس لفقدان **التعصّب**، ما قاد إيلي إلى الإدلاء بإيضاح هامّ. فقال: **ألعصبيّة** غير **التعصّب**. فعلّقت إيلان على ذلك بقولها: إن فقدان العصبيّة، أي فقدان الروابط، هو الذي يؤدّي إلى الانحلال.

قال إيلي: ما نراه عند المتعصّبين فيه شيء حسن وشيء سيىء. إنما الحَسَن ضائع في السّيّئ. لذا ينبغي اكتشاف الايجابيّ في التعصّب للاستفادة منه. قالت ايلان: ألمساعدة المتبادلة إيجابيّة، ولكن قد يكون منطلَقُها خاطئًا.

قال إيلي: تحديد ما هو سلبيّ وما هو ايجابيّ يختلف حسب المقاييس المعتَمَدَة. قالت إيلان: نفس العمل (مثلًا: منح الطفل ما يرغب به) قد يكون سلبيًا أو إيجابيًا حسب الإطار الذي يجري

فيه. قال إيلي : قد يبرّر المتعصّب تعصّبه انطلاقًا من مبادئه التي هي غير مبادئي. فأين الحقيقة؟ ألسلبيّات والإيجابيّات بموجب أيّ مقياس نحدّدها؟

هنا طلب المرشد من انجليك، التي اضطرت إلى أن تلتحق بالاجتماع متأخّرة، أن تُدلي برأيها، فقالت: عندي أن ليس من إيجابيات للتعصّب ولو ان المتعصّبين يرون فيه ايجابيّات. من منطلق الموضوعية والوعي، ليس له من إيجابيّات.

وقد أدلى المرشد بمداخلة ختامية علّق فيها على ما ورد في حوار الفرقة من طروحات.

استهلّ مداخلته بالإشارة الى أن مفهومين متباينين يختلطان في السؤال الذي تناولناه، وهما مفهوما « العصبيّة » و « التعصّب ». وقد توضّح الفرق بينهما اثناء النقاش، كما كان قد توضّح عندما تباحثنا (في اجتماع ١٩٩٥/٧/٢٩) في موضوع: « ما هو الفرق بين التعصّب والعصبيّة (إذا كان الفرق موجودًا)؟» (وقد تبيّن أن ايلي هو أيضًا طارح هذا السؤال الأخير). تبسّط المرشد في تبيان الفرق بين المفهومين. قال إن « العصبيّة » هي الرباط الذي يشدّ بعضهم إلى بعض، المنتمين الى فئة واحدة. وهو تعبير طبيعيّ عن هذه النزعة التي تحدو بالإنسان، هذا « الحيوان الاجتماعي »، إلى الترابط مع الذين يعايشهم. ولهذه « العصبيّة » إيجابيّات أكيدة أُشير إليها في نصّ السؤال، من حفاظ على وحدة الجماعة، ومدّها بالقوة (حسب الحكمة المأثورة: « في الاتحاد قوة »)، وحمايتها من

الانهيار. والتاريخ يثبت بالفعل أثر هذه العصبيّة في صعود الدول وهبوطها. فروما مثلًا كانت مدينة استمدّ أهلها من قوّة «عصبيّتهم» بعض ما خوّلهم بسط نفوذهم على إيطاليا كلّها اوّلًا ثم على حوض البحر المتوسّط كلّه. ولكن اتّساع إمبراطوريّتهم على هذه الصورة أضعفها بسبب تعدّد وتنوّع الشعوب التي صارت تتألف منها، فأصبحت تفتقد رابط «العصبية» الذي كان من أسرار قوّتها، ولذا ضعفت مقاومتها أمام ضغوط الشعوب «البربريّة» (اي الغريبة) التي كانت مُتاخِمَةً لها والتي تمكّنت، في آخر المطاف، من اجتياحها وتقويضها.

أما «التعصّب» فهو انحراف شائع لـ «العصبية»، يقضي بأن أضفي صفة الإطلاق على جماعتي، أي أن أعتبرها محور الكون. إذ ذاك يبدو لي كل ما هو خارج ومختلف عنها، مرفوضًا مني وعدوًّا لي (في اللاتينيّة، العبارة الواحدة hostis تعني «الغريب» وتعني «العدو»)، لا بل يتراءى لي انني وجماعتي وحدنا «**البشر**» أي بشر بكل ما للكلمة من معنى، أما سوانا فهم أشباه بشر ليس إلّا (من هنا هذه العبارة التي اعتاد الطائفيون أن يردّدوها، وهي أنه، إذا سقط واحد منهم، فهذه كارثة، أما إذا سقط ألف من خصومهم، فهذا لا يتعدّى بأهمّيته تساقط الذباب!). هذا التعصّب، ناهيك من أنه تنكّر غير منطقيّ لوحدة الإنسانية، حريّ بأن يسيء إلى الجماعة التي تتّسم به. فإنه، على عكس ما يبدو، من عوامل تصديع وحدة هذه الجماعة.

ذلك أنني، إذا تنكّرت لمن هو مختلف عني من خارج جماعتي، بداعي أنه مختلف، فهذا مايعدّني للتنكر لمن يخالفني ضمن جماعتي أيضًا، وبعبارة اخرى، إن رفض الاختلاف **عن** الجماعة يمهّد لرفضه **ضمن** الجماعة أيضًا، التي لا بدّ أن يتباين أفرادها وفئاتها بالمصالح والآراء والتوجّهات والتنافس على السلطة. وقد رأينا في الحرب اللبنانية أمثالًا بليغة على ذلك، نكتفي بأن نذكر منها التقاتل المأسَوِيّ ضمن المعسكر «المسيحي»، الذي بلغ ذروته سنة ١٩٩٠ في ما سُمّي بـ «حرب الإلغاء».

كذلك فإن استعلاء الجماعة المتعصّبة على سواها، قد يدفعها الى ممارسة العدوان ضدّهم، بقصد الهيمنة عليهم وتسخيرهم لأغراضها، ما يحدو بالجماعات المستهدَفَة بهذا العدوان إلى أن تتألب على المعتدي وتكافحه بضراوة. هذا ما حصل لألمانيا الهتلريّة في الفترة الممتدة بين ١٩٣٣ و١٩٤٥، حيث تحكّمت بها الإيديولوجيا النازيّة التي اعتبرت العرق الألماني الآري سيّد العالم لأنه وحده يمثّل البشرية بكل معانيها، أما باقي الشعوب فهم بشر ناقصون أو أشباه بشر. هذه الروح التعصبيّة قادت ألمانيا إلى السيطرة على قسم كبير من أوروبا وإلى إبادة الملايين بالحرب والمجازر ومعسكرات الاعتقال. ولكنها ارتدّت عليها وآلت إلى تدميرها تحت ضربات خصومها المتحالفين.

هكذا، وللإجابة عن سؤال إيلي الأخير، ألا وهو: ما هو مقياس صحّة التعصب او بطلانه؟، استعيد بعبارات أخرى، جواب

أنجليك ، فأقول إن المقياس إنما هو **المنطق والإنسانية** . فالتعصّب ، إذ يتنكّر لوحدة الإنسانية ، هو موقف غير منطقيّ وغير إنسانيّ ، موقف انفعالي في الأساس ولو تذرّع بشتّى البراهين. هذا بغضّ النظر عن الاعتبارات الدينية التي سبق أن ذكرناها مطوَّلًا ولسوف نعود إليها لاحقًا . أما كيف يمكن ان يتبنّى بشر موقفًا غير منطقيّ وغير إنسانيّ ، فالجواب هو في الأهواء التي كثيرًا ما تعصف بالإنسان وتعميه (كما أشارت رُلى ح. وبعدها حبيب) وتقوده إلى مواقف انتحارية تُنحَر بها انسانيّته اولًا .

ألحلقة رقم ٣٦

إجتماع السبت ١٩٩٦/٨/١٧

ألموضوع : تعاطي متّى ٤:١-١١

ألنصّ

« ثمّ سارَ الرُّوحُ بيسوعَ إلى البَرِّيَّة لِيُجَرِّبَهُ إبليس. فَصامَ أَربَعينَ يومًا وأربَعينَ لَيلَةً حتّى جاع. فَدَنا مِنْهُ المُجَرِّبُ وقال له : « إنْ كُنتَ ابنَ الله ، فَمُرْ أَن تَصيرَ هذه الحِجارةُ أرغفةً » .
فأجابَه :

« مكتوبٌ :

ليس بِالخُبزِ وَحْدَهُ يَحيا الإنسانُ

بَل بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُج من فَمِ الله » .

فَمَضى بِهِ إبليسُ إلى المدينةِ المقَدَّسةِ وأَقامَهُ على شُرفَة الهَيكل ، وقالَ له :

« إن كُنتَ ابنَ الله فَأَلْقِ بِنَفسِكَ الى الأَسفَلِ ، لِأَنَّهُ مكتوبٌ :

« يُوصي مَلائِكتَهُ بِكَ

فَعَلى أيديهم يَحمِلونَكَ
لِئلّا تَصْدمَ بِحَجَر رِجْلَكَ .»

فَقَالَ لَهُ يسوع : « مَكتوبٌ أيضًا : لا تُجَرِّبَنَّ الربَّ إِلَهكَ » . ثُمّ مضَى به إبليسُ الى جَبَلٍ عالٍ جدًّا وأراهُ جَميعَ ممالِكِ الدُّنيا ومَجْدَها ، وَقالَ له : « أُعطيكَ هذا كُلَّهُ إن جَثَوتَ لي ساجِدًا . فَقَالَ له يسوع : « إِذهَبْ ، يا شيطانُ ! لِأَنَّهُ مكتوبٌ :

لِلربِّ إِلَهِكَ تَسجُدُ وإيّاه وحدَهُ تَعبُد » .

ثم تَرَكَهُ إبليس ، وَإِذا بِمَلائكَةٍ قد دَنَوا مِنْه وأَخذوا يَخدِمونَه .»

أعدّت إيلان المقطع . قدّمت له بإبراز نقطتين : ١) يسوع كان إلهًا وإنسانًا . رغم ألوهته ، جرّبه الشيطان . فكم بالحريّ يجرّبنا نحن الضعفاء . ٢) لو كنا مكان يسوع ، ماذا كنا فعلنا يا تُرى ؟ كثيرون يهتمّون بالأكل واللبس وينسون أن الإنسان يحيا بكلمة الله . كذلك ترانا نجري وراء المال والمناصب وننسى الله . فإذا تذكّرنا باستمرار في حياتنا الأقوال الثلاثة التي تفوّه بها المسيح جوابًا على الشيطان ، نتسلّح ضد هذا الاخير ولا ننقاد الى غرور المال والمناصب .

وقالت أنجليك : لقد جرَّب الشيطانُ يسوعَ حين أضعفَهُ الجوع . هكذا فإنّ الشيطان يجرّبنا في أكثر الاحيان في لحظات الضعف ، مثلًا أثناء الصوم أو عندما تستهوينا مغريات الدنيا . هنا التركيز على

أن الأولوية ليست للأكل بل لكلام الله، ولكنّنا كثيرًا ما ننقاد إلى الشيطان. وكثيرًا ما نجرّبُ اللّهَ فنقول له في صلواتنا: إن كنتَ كذا، فأعطنا كذا! في حين أنّه يجب أن نعطي أكثر مما نأخذ. يسوع واجه الشيطان بقدرته وقدرة الله، فتركه الشيطانُ وانصرف عنه، بينما كثيرون من الناس يتذرّعون بقولهم: لقد غَرَّنا الشيطان. لقد واجه الشيطان يسوعَ بالكتاب وردّ يسوعُ عليه بالكتاب. كذلك يفعل شهود يهوه الذين يحاولون أن يُضَلِّلونا انطلاقًا من آيات كتابيّة، لذا يجب أن يكون لدنيا الاطّلاع الكافي على الكتاب بمجمله ليتّضح لنا على ضوئه المعنى الحقيقي لكل آية فلا نقع في الفخّ ونواجِه بالإنجيل.

قالت رُلى ح.: أودّ أن أطرح سؤالين: ١) نقرأ في النصّ إن الروح القدس قاد يسوع الى البرية ليجرِّبَهُ الشيطان. فكيف يرتضي الروح أن يجرَّب يسوع من الشيطان؟ ٢) نقرأ ايضًا أنّ الشيطان «قاد يسوع» (إلى المدينة المقدّسة، الى جبل عالٍ جدًا)، فكيف تكون للشيطان قدرة على أن يقود يسوع؟

وعَقَّبَ حبيب على مداخلتها بقوله: عندي السؤال نفسه أطرحه. فطلب المرشد ممن لديه جواب، من أعضاء الفرقة، أن يدلي به

قالت أنجليك: في يسوع تتواجد الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية. كذلك فيه صراع بين أن يقع أو لا يقع في الخطيئة. فأجاب حبيب: في يسوع طبيعة إلهية ليست فينا. فكيف اذًا

يمكننا أن نصمد كما صمد هو؟ قالت أنجليك : لقد أثبت يسوع أن لنا قدرة على مقاومة إبليس ، لأنه هو واجهه كإنسان وتغلّب عليه . هذا لا ينفي كوننا لا نستطيع أن نكون تمامًا مثله ، لأن عنده هو طبيعة الهية ليست عندنا .

هنا سأل حبيب : كيف أتقرّب من المسيح أكثر فأكثر وأتعمّق به ؟ فأحال المرشد سؤاله على الفرقة .

أجابت عنه إيلان وأوردت السُبُل التالية للتقرُّب من يسوع : ١) قراءة الإنجيل حيث يُتاح لنا أن نكتشف شخص يسوع الفريد وكلامه الفريد . هذه القراءة ينبغي أن تتواصل فيصبح الكتاب المقدس رفيقنا . ٢) الصلوات ، التي قد لا تعني لنا للوهلة الأولى الشيء الكثير ، ولكن ، شيئًا فشيئًا ، يزداد تَحَسُّسنا لها . ٣) من خلال الخِدَم الطقسية ، نطّلع على سِيَر القديسين ونتأثر بمثالهم . ٤) هناك أيضًا جهاد روحيّ ينبغي أن نخوضه بمساعدة أبٍ روحيّ نسترشده . وخلصت إلى القول : الأمر يستغرق وقتًا والله يساعدنا .

وقدّم المرشد مداخلة ختامية أجاب فيها ، بأسلوبه ، عن الأسئلة المطروحة . قال :

● إن الروح أوحى إلى يسوع أن يواجه الشيطان في البرية (حيث تشتد سطوته بسبب ما يعانيه المرء من شظف وحرمان وعزلة) ليتدرّب بهذه المواجهة على خوض الرسالة الجبّارة التي كان على وشك البدء بإنجازها ، وهي تحرير العالم من الشيطان وشروره . فكما ان الرياضيّ يستعدّ ، بتمارين

شاقّة، لخوض مباراة رياضية عسيرة وحاسمة، هكذا كان ينبغي ليسوع أن يستعدّ لرسالته بهذا الصراع القاسي.

● لقد قاد الشيطان يسوع إلى المدينة المقدسة ثم إلى جبل عالٍ، بالروح على الأرجح لا بالجسد، أي إنه أوحى له بتصوّرات معيّنة واقترح عليه أن يستجيب لها. أما كيف استطاع ذلك، فالجواب هو، كما سبق فقيل، ان يسوع كان أيضًا ذا طبيعة إنسانية، أي إنه كان إنسانًا بكل ما للكلمة من معنى، لذا جرّب الشيطان حظّه معه كما يجرّبه معنا. فحوى التجارب الثلاثة المذكورة هنا يلخّص ما جُرِّبَ به يسوع طيلة قيامه بمهمته التبشيرية وحتى اللحظة الأخيرة من حياته الأرضية. فقد صَوَّر له الشيطان نهجًا لرسالته هو على نقيض النهج الإلهي، إذ أوحى له أن النجاح يُكتَب له اذا ما عمد إلى استمالة الناس إليه باغداقه الخبز عليهم، وكل ما يمثّله الخبز من مِتَع الدنيا (التجربة الأولى)، أو إذا سلب لبّهم وبهرهم بالخوارق (التجربة الثانية)، أو إذا أخضعهم لحكمه بالإكراه كما يفعل متسلّطو الدنيا (التجربة الثالثة). أما يسوع فقد رفض هذا النهج كليًّا، لأن خطّه – وهو خطّ الله – يقضي لا باغتصاب الناس، عن طريق مطامعهم أو خيالهم أو خوفهم، (فالحبّ لا يُفرض فرضًا)، بل بمخاطبة قلوبهم كي يذوب جليدها وتلين قسوتها، وتتحوّل من «حجريّة» إلى «لحميّة»، فتلبّي حُرّةً الدعوة إلى وليمة المحبة والفرح.

● أمّا بشأن النقاش الهامّ الذي دار بين حبيب وأنجليك،

فقد علّق عليه المرشد بما يلي: صحيح أن يسوع يختلف عنا بأن طبيعته الالهية عَصَمَته عن الوقوع في الخطيئة (لانه لم يكن ممكنًا ان يتواجد فيه النور الالهي، كلّ النور الالهي، مع ظلام الخطيئة). ولكنه، كإنسان، لم يبلغ هذه العصمة إلّا عبر نضالٍ مرير ضد تجربة كانت أحيانًا تهزّ أعماق كيانه (حتى تصبّب العَرَق منه كقطرات الدم عند صلاته في بستان الجسمانية: لوقا ٢٢:٤٤؛ وحتى صراخه في وجه صديقه بطرس الذي حاول أن يُثْنِيَهُ عن عزمه «انسحب! ورائي، يا شيطان، فأنت لي حَجَر عَثرة ...»: متى ١٦:٢٣)، وتغريه بفرض حقّ الله بقوّة السلاح - وفقًا للتصوّر اليهوديّ الشائع لرسالة المسيح - بدل مواجهة خصوم هذا الحقّ بيدين عاريتين، ما كان سيقوده لا محالة إلى الصليب. ولِأنّ يسوع خاض التجربة بكل قسوتها، أمكنه أن يكون معنا فعلًا في تجاربنا، فلا نتخبط فيها وحدنا. وبما أنه لم ينغلب بالتجربة، فهو يستطيع ان يمدّنا بقوته الظافرة، وأن يرفعنا فوق ضعفنا وبؤسنا.

● أمّا عن سؤال حبيب الأخير، فقال المرشد إن إيلان قدّمت عنه جوابًا غنيًّا بمعانيه، ولكنه يودّ، مع ذلك، أن يقول بشأنه بعض الكلمات على طريقته. قال إن التقرّب من يسوع يقتضي معاشرته، كما هي الحال عندما نشاء أن نتقرّب من أيّ شخص. ومعاشرة يسوع تتمّ اولًا بمعاشرة إنجيله الذي ينقل إلينا كلامًا لم يقل إنسانٌ مثلَه، مدعومًا بسلوك مطابق لهذا الكلام بشكل عجيب وأَخّاذ. ثم إن

معاشرته تتمّ بمناجاته بالصلاة مناجاة الصديق لصديقه، كما أنها تتمّ من خلال السعي إلى لقائه عبر كل انسان، فننظر إلى كل إنسان على أنه أخونا ومهم مثلنا، ولو كان في الظاهر لا يساوي شيئًا، لأن صورة الله فيه ولو لم يكن يدري، ولأن المسيح مات من أجله كما مات من أجلي. وبنوع أخصّ نسعى إلى لقائه في المعذَّبين والمهمَّشين وما أكثرهم، فنفتح لهم بصدق قلوبنا وأيدينا.

ألحلقة رقم ٣٧

إجتماع السبت ١٩٩٦/٩/٢٨

ألموضوع : ألتعصّب والإيمان

في هذا الاجتماع تعاطينا ، للمرة الأخيرة ، الأسئلة المتفرّعة من موضوع التعصّب ، فتطارحنا السؤال التالي :

« هل التعصّب يزيد الإيمان أم يفقده قيمته ؟»

أُعطيَ الكلامُ أولًا ، كالعادة ، لأعضاء الفرقة . فقال نقولا إن التعصّب يشوّه الإيمان ويفقده كل معناه . وأضاف : ربما اعتقد الشخص المتعصّب أنه يؤمن ، ولكن ما يظهر منه للناس هو على نقيض ذلك . وروى انه لمس ذلك في اليونان (حيث قضى شهرين في الصيف ضمن بعثة من طلاب معهد اللاهوت في البلمند أمضت هذه الفترة هناك لتعلّم اللغة اليونانية) . قال إن الناس هناك أحسنوا استقبالهم لكونهم أرثوذكسيّين ، ولكنهم يبدون كراهية للكاثوليك ، ولغيرِ الأرثوذكس على وجه العموم ، حتى إن أحد رفاقهم ، وقد ظنّه الناس هناك إكليريكيًا كاثوليكيًا نظرًا لمظهره (للباسه ولكونه حليقًا) ، لم يجد سيارة أجرة تقبل بأن تنقله ، لا بل إن أحد سائقي هذه السيّارات بصق عليه . وقد علّق حبيب على

هذه الخبرة بقوله : ألتعصّب إذًا في كل مكان ! وقال إيلي : قد يُحدث التعصّب ردّات فعل عكسية عند أصحابه . وقدّم شاهدًا على ذلك بقوله : أعرف مسلمين كانوا متعصّبين ، ولكنهم تغيّروا بسرعة وبَدَوا متفلّتين من دينهم ، حتى إن ذلك أثار لدى بعض معارفهم تخوّفًا مما سَمَّوه « التعمّق بالدين » .

هنا أيضًا علّق حبيب بقوله : معنى الانقلاب المفاجئ لدى هؤلاء الأشخاص أنهم لم يكونوا مؤمنين بالفعل ! قالت إيلان : أريد أن ألفت النظر ، مع ذلك ، إلى أن الإحساس بالانتماء يؤدّي ، كما رأينا ، إلى وحدة وتعاضد وتماسك . هذا ، بحدّ ذاته ، بعيد عن التعصّب ، بل إن الجماعة تساعد آنذاك الإنسان على النموّ في الإيمان . قال إيلي : لقد قلنا الشيء الكثير عن هذا الموضوع في معرض الحلقات السابقة . فلاحظ المرشد أننا آنذاك تناولنا الموضوع جانبيًّا ، أما الآن فبمواجهة مركّزة . قال إيلي : لقد تصدّينا للتعصّب حتى أوشك أن يلفظ أنفاسه ! قال المرشد : لستُ على هذا القدر من التفاؤل ، فالإدراك العقلي لا يكفي وحده لتغيير الكيان .

هنا قدّم المرشد مداخلة تناول فيها نوعَين من التعصّب : ذاك الذي هو خالٍ صراحةً من الإيمان ، وذاك الذي يتذرّع ويتستّر بالإيمان . أمّا الأوّل فنجده عند كثيرين من الناس الذين لا يعرفون دينهم ولا يمارسونه ، ولكنهم يتحمّسون ضد الذين لا ينتمون إلى ذلك الدين (ويضيفون إلى هذه الحماسة تشبّثًا ببعض مظاهر الدين المذكور ، لا بل قشوره ، مثلًا إطلاق المفرقعات او العيارات الناريّة

بمناسبة الاحتفالات الدينية، خصوصًا اذا تمّ ذلك على مسمع من «الآخرين» وكأنّ الغرض منه الاستحواذ قسرًا على انتباههم، ولو عبر إزعاج بالغ). هؤلاء يتخذون بوضوح التعصّب بديلًا عن الايمان، فالدين بالنسبة إليهم مجرد شعار يعبّرون به عن تحزّبهم المتشنّج لعشيرة ينتمون اليها. ألتعصّب يغنيهم عن اتخاذ موقف شخصيّ من موضوع الإيمان. فإذا تبّدلت الظروف والأحوال، داخلية كانت أو خارجية، قد ينهار انتماؤهم الديني، كالبيت الذي يقول عنه الإنجيل إنه أقيم على الرمل (راجع متى ٧:٢٦-٢٧)، لأنه لم يُبنَ على أساس قناعات إيمانية راسخة والتزامٍ واعٍ. وأضاف المرشد: ربّما أمكن أن نفسّر على هذا المنوال الانقلاب المفاجئ الذي لاحظه إيلي عند بعض المتعصبين الذين لم يكن تطرّفهم الظاهريّ سوى قناع يسترون به، في نظرهم ونظرَ الغير، هشاشة إيمانهم الفعلية، التي أشار اليها حبيب.

أمّا النوع الثاني من التعصّب فهو أكثر تعقيدًا، لأنه يتّخذ من الإيمان نفسه ذريعة له. إذ يتصور المتعصّب، في هذه الحال، أنه بلغ ذروة الإيمان، وبالتالي فإنه لا يرى أنه يسلك بالفعل على نقيضه. هنا أوضح المرشد ثلاثة فوارق جذريّة بين التعصّب والايمان الأصيل:

١) أولها هو أن المؤمن يضع نفسه **في يد الله**، ولكن المتعصّب يسعى إلى وضع **يده على الله**. المؤمن يُسلِم نفسه لله عملًا بنداء الكتاب في العهد القديم «يا بُنيَّ أَعطِني قلبك» (امثال ٢٣:٢٦).

أمّا المتعصّب فيحاول أن يتملّك الله ، أن يحتكره لنفسه وجماعته . هو ينكر طبعًا ان يكون هذا هو موقفه حيال الله ، ولكن سلوكه يفضح هذا الموقف . إذ إن المتعصّب يدّعي أنه ، هو ومذهبه ، يستأثران بكل حقّ ونور وخير وصلاح ، وأن ، خارجًا عنهما ، لا يوجد سوى الظلمة والشرّ والضلال . مع أن الرسول بولس ، وهو من عمالقة الإيمان ، أكّد في رسالته إلى أهل رومية أن الوثنيين أنفسهم والذين ليس لديهم شريعة الهيّة مكتوبة ، يحملون ، مع ذلك ، حضورًا حيًّا لله في ضمائرهم (راجع رومية ٢٠:١٤و١٥) . أمّا المتعصّب فيتخيّل أنه يحصر الله فيه وفي معتقده ، متجاهلاً أن ذاك الذي يَحُدّه ويحجّمه على هذا المنوال ، ويفصّله على قياس ضيق عقله وقلبه ، لم يعد اللهَ الحيَّ بل مُسِخَ إلى صنم صنعته أهواؤه .

٢) **الفارق الثاني هو أن المؤمن يخدم** الله بينما المتعصّب **يستخدمه**. المؤمن يقف من الله موقف الخادم المتأهب (كما تشير عبارة إيليا : « حيّ هو الربّ (...) الذي أنا واقف أمامه » : ٣ ملوك ٣:١؛ وعبارة صموئيل : « تكلّم يا ربّ فإن عبدك يسمع » : ١ ملوك ٣:٩ و١٠) . أمّا المتعصّب فانه يستغلّ الله لخدمة أغراضه . هنا ايضًا يفضحه سلوكه . فبينما يدّعي أنه أفضل خدّام الله ، نراه يتذرّع بالله ، وبغيرته على حقوق الله ، ليفرض على الناس فرضًا ما يعتقد به هو وجماعته . في حين أن الله كان بإمكانه ، لو أراد ، أن يفرض حقيقته على الناس ، ولكنه اختار أن يحترم حرّيتهم وأن يترك

لهم الخيار بين إطاعته أو عدمها : « هاءنذا واقف على الباب أقرعه ، فإن سمع أحدٌ صوتي وفتح الباب ، أدخل فأتعشى معه وهو معي » ، هذا ما ورد في سفر الرؤيا (٣ : ٢٠) ؛ اما في القرآن فوَرَدَ : « ولو شاء رَبُّكَ لآمَنَ من في الأرض كُلُّهم جميعًا ، أفأنتَ تُكْرِهُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين » (سورة يونس (١٠):٩٩) . أمّا المتعصّب فهمّه ، خلافًا للظاهر ، لا أن يحترم مشيئة الله كما هو تعالى عبّر عنها ، بل أن يفرض سطوته وتسلّطه باسم إله أفرغه من حقيقته وكيّفه بموجب رغائبه . لذا نراه يُسكت من لا يشاركه المعتَقَد ، ولا يتورّع ، في كثير من الأحيان ، عن مَحوِهِ من الوجود إذا أصرّ على المخالفة . هكذا أقدمت المسيحية ، غربًا وشرقًا ، على عار إحراق الهراطقة ، في حين كان شاهد قديس كيوحنا الذهبي الفم ينادي إنجيليًا بأن قتلهم إنما هو ضرب من الكفر . هكذا يَغتال الإسلاميون اليوم في الجزائر من يخالفهم الرأي حتى ولو كانوا من المسلمين المؤمنين ومنهم أئمّة مساجد .

٣) أخيرًا ، **فجوهر الايمان هو المحبة** ، لأنها وحدها تقيم بين الإنسان وربّه هذه الصلة الحميمة التي تجعل من الإيمان أكثر من اعتناق افكار ونُظُم ، اي أكثر من إيديولوجيا : « الله محبة ، مَنْ أقام في المحبة أقام في الله وأقام الله فيه » (١ يوحنا ٤ :١٧) . **أمّا المتعصّب فانه لا يقوى على الحبّ** ، لانه منهمك بنفسه ، بزعمه امتلاك الحقيقة وترفّعه على الغير . أمحبّ فقير إلى محبوبه . لذا فالله نفسه ، الغني كل الغنى ، يجعله حبّه فقيرًا إلينا ، ويدفعه إلى

«استجداء حبّنا» كما قال نقولا كاباسيلاس ومن قبله مكسيموس المعترف: «هاءنذا واقف على الباب أقرعه...»، يقول الرب في الرؤيا، كما سبق وأشرنا. أمّا المتعصّب فهو ممتلئ من ذاته، مُنْتَشٍ بعصمتِهِ وصوابه، يعادل نفسه بالله من حيث لا يدري، وبالتالي يستغني بالفعل عنه، في حين انه يتوهّم أنه متعبّد له. إنه لا يعرف تلك «المسكنة بالروح» (متّى ٥:٣)، التي يجعل يسوع منها شرطًا لدخول ملكوت الله. إنه يدّعي محبة الله، ولكنّ سلوكه مع الناس يشير إلى عكس ذلك؛ «لان الذي لا يحبّ أخاه الذي يراه فكيف يحب الله الذي لا يراه» (١ يوحنا ٤:٢٠). فلو كان يحبّ الله فعلًا، ولو كان دخل، بهذا الحب، في صلة فعليّة معه، لرأى في الناس جميعًا، على اختلاف معتقداتهم، أبناءه، الذين يلطف حتى بغير الشاكرين منهم والأشرار (لوقا ٦:٣)، ولأدرك مضمون الحديث النبوي «الخلق كلُّهم عيال الله وأحبُّهم إليه أنفعهم لعياله»، وَلَفَتَّشَ في كل معتقد بشريّ، أيًّا كانت حدوده وأخطاؤه، عن قَبَسٍ من نور الوجه الذي يهواه، عن صورة، ولو ضعيفة ومشوّهة، للبهاء الإلهي الذي سَحَرَ قلبه. ذلك كان موقف الفيلسوف والروحاني المسلم الكبير محيي الدين بن عربي (١١٦٥-١٢٢٠)، الذي نشأ في الأندلس وتوفي في دمشق، بعد أن جاب العالم سعيًا إلى المعرفة. هذا كان راسخًا في إسلامه، يعتبر محمد «خاتم النبوّة» (ويسمّي المسيح «خاتم القداسة»)، ولكن خبرته الروحية الأصيلة حرّرت تديّنه من كل تزمّت وأكسبته رحابة مذهلة تعبّر عنها هذه الأبيات الرائعة التي تركها لنا:

« لقد كنتُ قبلَ اليوم أنكر صاحبي
إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلًا كل صورة
فَمَرعَى لِغزلانٍ وديرٌ لرُهبانِ
وبيتٌ لِأَوثانٍ وكعبةُ طائِفِ
وَأَلواحُ توراةٍ ومِصْحَفُ قُرآنِ
أَدينُ بِدينِ الحُبِّ أَنَّى تَوَجَّهَتْ
رَكائِبُه ، فالحبُّ ديني وايماني »

«أدين بدين الحبّ ...» : ألا تذكّرنا هذه العبارات بالآية التي ذكرناها أعلاه من رسالة يوحنّا الأولى : « ألله محبة ، مَن أقام في المحبة أقام في الله وأقام الله فيه » (١ يو ٤:١٧)؟ هذا لا يعني بالطبع أن كل « الصُوَر » التي يتحدّث عنها ابن عربي ، متعادلة من حيث قيمتها ، ولكن حتى أكملها تبقى مع ذلك « صورة » لحقيقة متعالية تتجاوز مداركنا ولا نملك سوى تهجئة لها ، كما عبّر الرسول بولس بقوله : « فنحنُ اليومَ نَرى في مِرآةٍ رؤيةً مُلتَبِسة ، وأمّا في ذلك اليوم فَتكونُ رؤيتنا وَجْهًا لِوَجْه . أليَومَ أَعْرِفُ مَعرِفَةً ناقصة ، وأمّا في ذلك اليوم فَسَأَعْرِفُ مِثْلَما أَنا مَعْروف .» (١ كورنثوس ١٣:١٢).

أما بدون المحبة فالإيمان معدوم ، ولو حفظ المرء الكتاب المقدس غيبًا ، ولو تمَّمَ بالظاهر الشعائر والفرائض بحذافيرها ، ولو كان اسم

الله أبدًا على شفتيه (« هذا الشعب يتقرَّب إليّ بفمه ويكرّمني بشفتيه وقلبه بعيد مني » ، إشعيا ١٣:٢٩) . هذا ما اوضحه الرسول بولس بقوله : « لو تكلّمت بلغات الناس والملائكة ، ولم تكن لي المحبة ، فما أنا إلا نُحاسٌ يَطنّ أو صَنجٌ يَرِنٌّ ، ولو كانت لي موهبة النبوءة وكنت عالمًا بجميع الأسرار وبالمعرفة كلّها ، **ولو كان لي الإيمان الكامل فأنقل الجبال ، ولم تكن لي المحبّة ، فما أنا بشيء ...»** (١ كو ١:١٣و٢) . ذلك أن الإيمان الحقيقي ، كما قال الرسول في مكان آخر ، هو « الإيمان العامل بالمحبة » (غلاطية ٦:٥) .

خلاصة الكلام أن التعصّب إنما هو إيمان ممسوخ ومشوّه . انه بمثابة صورة كاريكاتورية عن الإيمان . اما الحدّ بين الإيمان والتعصّب ، فليس حدًّا يفصل بين فئتَيْن من البشر بقدر ما هو حدّ يمرّ في داخل نفس كل واحد منا . لذا فعلى كلّ منا أن يهتدي بلا انقطاع من التعصّب الذي فيه إلى الإيمان ، وأن يبقى دائم اليقظة كي لا يعود القهقرى من الإيمان إلى التعصّب .

ألحلقة رقم ٣٨

إجتماع السبت ١٩٩٦/١٠/٥

ألموضوع : تعاطي متّى ٥ : ٣٨–٤٢

ألنصّ

« سَمِعتُم أَنَّهُ قِيلَ : « ألعَينُ بِالعين والسِّنُّ بالسِّن » . أمّا أنا فَأقولُ لكم : لا تُقاوِموا الشِّرّير ، بَل مَن لَطَمكَ على خَدِّكَ الأَيمَن ، فاعرِضْ له الآخرَ . وَمَن أرادَ أَنْ يُحاكِمَكَ لِيَأخُذَ قَميصك ، فاترُكْ له رِداءَكَ أيضًا . وَمَنْ سَخَّرَكَ أن تسيرَ مَعَهُ ميلًا واحِدًا ، فَسِرْ مَعَه مِيلَين . مَن سَأَلَكَ فَأَعطِه ، وَمَن استَقرَضَكَ فَلا تُعرِض عنه .»

* * *

أعدّ حبيب هذا المقطع . قبل التعاطي معه ، ذكّر المرشد بأنه ينبغي التعامل مع النصّ الإنجيلي ليس كما مع أيّ نصّ آخر ، بل على انه نصّ يطلّ علينا منه الوجه النورانيّ الحبيب ، وأنه ينبغي بالتالي لا أن نسأل النصّ وحسب ، بل ان ندعه يسائلنا ، لا عن معلومات لدينا ، بل عن حياتنا وتوجّهاتنا .

قدّم حبيب للنصّ وعبّر عمّا تركه فيه من انطباع بأنه بعيد عمّا نحياه اليوم بالفعل.

بعد ذلك رسم المرشد المناخ الذي ينبغي أن يجري فيه التعاطي مع هذه العبارات غير المألوفة، التي لا بدّ وأن تصدم الناس، ومنهم نحن، لا في يومنا فحسب، كما أشار حبيب، بل أمس واليوم وغدًا. قال إنه قُصد بها ان تكون غير مألوفة، غير مستساغة، بالضبط لأنها كلام الله، والله يتعالى عن افكارنا تعالي السماء عن الأرض:

«فإنّ أفكاري ليست أفكاركم
ولا طرُقُكم طرُقي، يَقول الربّ.
كما تعلو السموات عن الأرض
كذلك طُرُقي تَعلو عن طُرُقِكم
وأَفكاري عَن أفكارِكُم».

(إشعيا ٥٥:٨و٩)

هذا البعد ضروري لكي يتخطّى الإنسان ضيق فكره وقلبه ويتحوّل إلى الله مرتفعًا إلى رحابه، فيصبح فعلًا على صورته، ويصير إذ ذاك إنسانًا بالفعل (فقد صعدنا إلى القمر واخترقنا أسرار المادّة وسخّرناها لأغراضنا، ولكننا لم نصبح بشرًا بعد، لأننا نرضى مثلًا بأن يموت أربعون ألف طفل كل يوم من الجوع والبؤس). أمّا لو كان الله مثلنا، لو ارتحنا إليه وإلى كلامه، ارتياحنا الى ما نألفه

في نفوسنا، لَمَا كنا تغيّرنا بمعاشرته وعلونا على محدوديتنا وبلغنا ما نتوق إليه في الأعماق من تحقيق لذاتنا الأصيلة.

ثم أعطى المرشد الكلام للفرقة، فشارك في الحوار كلّ من أنجليك وايلي وحبيب ورُلى ح.، وقد بدا جليًّا للمرشد، في مداخلات إيلي وأنجليك، اثر ما حاول ان ينقله إلى الفرقة في الاجتماعات السابقة.

قدّم المرشد مداخلة ختامية حاول أن يوضح فيها رسالة المقطع. وهي عدم الانقياد إلى الشرّ بمجاراته، بل التغلّب عليه بالمحبة التي تقتدر على تجاوز الإساءة ولا تَدع نفسها أسيرة موقف المحاسبة الضيّق. وقد أكّد المرشد على ضرورة الجمع بين محبة الأعداء من جهة، وبين النضال دون هوادة في سبيل الحقّ، كما عاش المسيح، وكما شهد تلميذه المطران الشهيد أوسكار روميرو، رئيس أساقفة السلفادور، الذي ضمّ إلى وداعة اللاعنف صلابةَ النضال حتى الدم من اجل كرامة البائسين. كما نَوَّهَ المرشد بضرورة حسن فهم عبارة: «مَن لَطَمَكَ على خَدِّكَ الأيمَن، فاعرُض له الآخرَ.» فانها، إذا فُهِمت على حقيقتها، أي في إطار مجمل الإنجيل، أبعد ما تكون عن الدعوة إلى البلادة أو الخنوع. ويمكن عيشها بشكل نضاليّ، كما فعل شبّان مسيحيون في أميركا اللاتينية منذ أمد غير طويل. فقد كانوا يتظاهرون سلميًّا ضد الظلم، فانهال عليهم جنود الطغاة ضربًا. أما هم فلم يردّوا بالمثل ولكنّهم لم يتراجعوا، بل بقوا في أماكنهم قائلين للجند: إضربونا ما شئتم اذا كان ذلك

يريحكم ! وكأنهم بذلك كانوا يُفهِمونهم بآن انهم صامدون لا يثنيهم الضرب عن عزمهم ، وأنهم ، مع ذلك ، لا يردّون على العدوان بالعدوان . إنهم ، بسلوكهم اللافت هذا ، كانوا يتعالون ، بشكل ملموس ، فوق شرّ خصومهم ، بعدم الخوف منه والانهزام أمامه من جهة ، وبالترفّع عن الانقياد إليه بمجاراته من جهة اخرى . لقد كان في موقفهم هذا حِيَال خصوم قبلوا أن يتحولوا إلى آلات للقمع الأعمى ، نبلٌ ومهابة من شأنهما أن يطرحا على ضمائر هؤلاء الخصوم مساءَلة عسيرة .

ألحلقة رقم ٣٩

إجتماعا السبت ١٩٩٦/١٠/١٢
والسبت ١٩٩٦/١٠/٢٦

ألموضوع : ممارسة الجنس قبل الزواج

تعاطت الفرقة هذا الموضوع انطلاقًا من السؤال التالي الذي طرحه أحد الأعضاء والذي نثبته هنا كما ورد، على عِلّاتِهِ(علمًا بأن الجملة الاولى منه مغلوطة) :

« ألجنس في نظر الكنيسة خطيئة وهذا شيء صحيح . ولكن إذا كان شخص غير قادر على الزواج لعدة أسباب ، هل يحقّ له أن يمارس الجنس (مع العلم أن الزواج ليس لإشباع الغريزة) ؟»

(**ملاحظة** : التأكيد الخاطئ الوارد في الجملة الأولى من السؤال ، وكأنه أمر مفروغ منه ، يشير إلى التشويش الذي يكتنف ، في أذهان العديد من شبابنا ، هذا الموضوعَ الحيوي . التشويش هذا عائد ، إلى حدّ بعيد ، إلى هالة التعتيم والتأثيم ، التي تحيط بالجنس في مجتمعاتنا ، والتي غالبًا ما تتّخذ من الدّين ذريعة لها ، ما يكشف جسامة المسؤولية الملقاة على التربية في هذا المضمار) .

كان حبيب قد كُلّف تقديم معالجة تمهيدية موجزة لهذا الموضوع ، بالتعاون مع رُلى ح .. ولكنه أخبرنا بأنه حصل اختلاف في الرأي بينهما ، ما أدّى إلى امتناع رُلى عن المشاركة في التحضير . وقد نبّه المرشد إلى أنه ، في حال حصول خلاف كهذا ، ينبغي لا أن ينسحب أحد الطرفين من العمل المشترك ، بل أن تُقدّم وُجهتا النظر المتعارضتان جنبًا إلى جنب .

ثم عرض حبيب ما أعدّه عن الموضوع ، فاكتفى بالتساؤل ولم يقدّم عناصر جواب . فنبّه المرشد إلى أنه يُطلَب ممن يُعدّ موضوعًا أن يقدّم باختصار مشروعَ جواب .

(**ملاحظة** : لا بدّ أن الإحجام هنا عن اقتراح جواب يمتّ هو ايضًا بصلة إلى الملاحظة التي أوردناها أعلاه عن نمط التربية – او بالاحرى عدم التربية – الجنسية ، في مجتمعاتنا التي تجمع إلى إباحية الفكر تزمّت المواقف) .

بعد ذلك ، أعطي الكلام لأعضاء الفرقة ، فشارك بالنقاش كل من نقولا ورُلى ح . والياس (وربما إيلان) . وقد تبيّن من النقاش أن الجنس لا تعتبره الكنيسة خطيئة إلا اذا مورس خارج إطار الحبّ . وتساءَلت رُلى ح . إذا كان لا ينبغي السماح للشبان بممارسته بمعزل عن الحبّ ، نظرًا إلى حاجتهم إليه .

وتكلّم المرشد فأدلى ببداية مداخلة اتُّفِق على ان يكملها في اجتماع لاحق ، بعد اسبوعين . وقد بيّن ، في ما قاله ، أن الجنس ، عند الإنسان ، يبغي ، عبر التحام الأجساد ، التحام وجدانيين بدونه

يؤول الجنس إلى إحباط وفراغ. وهذا يعني أن الممارسة الصحيحية للجنس مرهونة بالحب، الذي قال المرشد إنه سيتحدث لاحقًا عن مواصفاته، ما يمهّد لفهم فحوى الزواج.

بالفعل تابع المرشد مداخلته في الاجتماع المحدّد لإكمال الموضوع. أشار إلى المفهوم الشائع والقائل إنّ الزواج إنما هو رخصة لممارسة الجنس، وقال إن الأمر أعمق وأغنى بكثير من ذلك، ويتعلّق بطبيعة الجنس عند الإنسان. ذكّر بما كان قد أوضحه في المرة السابقة من أنّ النزعة الجنسية عند الإنسان تتوق، عبر ما تسعى إليه من التحام الأجساد، إلى ما هو أبعد منه، ألا وهو لقاء وجدانَين، وبالتالي فإنّ الجنس لا تكتمل انسانيته الا بالحبّ. ثم تناول مواصفات هذا الحبّ، فقال إن الجنس يسعى به الإنسان إلى **لقاء**، ولكن هذا اللقاء لا يتمّ إذا اعْتُبِرَ موضوعِ الجنس **شيئًا**، إذ الشيء يُستهلَك ولكنه لا يُلاقَى، لا يصبح شريكًا، إنه يلبّي حاجة في المرء ولكنه يبقيه على عزلته. اللقاء إنما يتمّ مع **شخص**، وهذا يعني مع كائن مهمّ بحدّ ذاته. ولأنه مهمّ بحدّ ذاته، لا يمكن استبداله بآخر، فهو فريد؛ كما انه لا يمكن الانتقال منه الى آخر وفقًا للحاجة الآنيّة، لأن اهميته تدوم بالاستقلال عن تقلّب حاجتي إليه. ألحبّ الصحيح يتميز إذًا **بفرادتِه وديمومته** («بحبَّك لوحدك وبحبَّك على طول»، كما تقول الأغنية). ولكن الانسان، بسبب هشاشته، عرضة للتقلّب، لذا يشعر بحاجة إلى أخذ **عهدٍ** على نفسه يرسِّخ به حبه ويحافظ على مواصفاته (الوحدانية والديمومة)،

كما انه يشعر ان هذا العهد لا يكون ملزمًا تمامًا له إلا إذا اتُّخِذَ امام الملأ.

هذا العهد العلني بان يتخذ المرء حبيبه شريكًا وحيدًا ودائمًا، هو جوهر الزواج. **الزواج إذًا تكريس لمواصفات الحبّ**. ويأتي سرّ الزواج (أي بركة الكنيسة التي تستنزل على الاتحاد الزوجي حضور الله المحيي) ليدعم هذه المواصفات بربطه الحبَّ البشري بالحب الإلهي الذي لا رجعة فيه.

من هنا أن ممارسة الجنس قبل الزواج، ممارسة لجنس لم يكتمل بعد لأنه لم يبلغ بعد حدّ الالتزام النهائي لفرادة المحبوب. بهذه الممارسة الناقصة يسيء المرء إلى انسانيته الذاتية وإلى انسانية شريكه، اللتين لا تبلغان إلا في ظِلّ الحب المكتمل ملء قامتهما.

أمّا كيف يستطيع الشاب أن يمتنع عن هذه الممارسة الناقصة للجنس، فهذا موضوع يستحق بحثًا خاصًا اذا شاءت الفرقة أن تخوضه. ودعا المرشد اعضاء الفرقة إلى صياغة الأسئلة التي قد تكون مداخلته أثارتها لديهم، تمهيدًا لبحثها لاحقًا(*).

(*) للاستزادة من عناصر موضوع هذه الحلقة، راجع: «هل من ترابط بين الممارسة الجنسية والزواج؟» (١٩٩٨)، في: كوستي بندلي: ألجنس في أنواره وظلاله. رؤية إنسانية وإيمانية، منشورات النور، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٨١-١٣٠.

ألحلقة رقم ٤٠

إجتماع السبت ١٩٩٦/١١/٢

ألموضوع: تعاطي متّى ٧:٢١-٢٣

النصّ

« ليس من يقول لي « يا ربّ ، يا ربّ » يَدخُل ملكوت السموات . بل من يعمل بمشيئة أبي الذي في السَمَوات . فَسوفَ يقولُ لي كثيرٌ من الناس في ذلك اليوم : « يا ربّ ، يا ربّ ، أما باسمِكَ تنبّأنا ؟ وباسمِكَ طَرَدْنا الشياطين ؟ وباسْمِكَ أَتَينا بالمُعجِزاتِ الكثيرةِ ؟ فَأَقولُ لَهُمْ عَلانِيةً : « ما عَرَفتُكم قطّ . إِليكم عَنّي أَيُّها الأَثمَة !»

* * *

أَعدّت مارينا هذا المقطع . تُلي مرّتين ، ثم رفع المرشد صلاة عفوية سأل فيها الربَّ أن يجعل من هذا المقطع مناسبة لمقابلة بيننا وبينه ، ورجاه أن يسهّل دخولَ كلماته إلى أعماقنا لتوقظ أفضل ما فينا وتحوّلنا إلى الربّ .

ثم أبدى أعضاء الفرقة ما أوحاه النصّ لكل واحد منهم .

فتحدّثت مارينا عن أهمية العمل، ورُلى ح. عن أهمية التطبيق. ثم تكلمت رُلى ح. ثانية فأشارت إلى كَذِب الذين يتكلّمون باسم يسوع ولا يعملون. وتحدّثت مارينا ثانية فأبرزت الفارق بين «الحكي» والتطبيق. وقالت أنجليك إن الذين يدّعون الكلام باسم يسوع يغيب عن بالهم أن يسوع فعل ما قاله. فعلّق المرشد على ذلك بقوله: إن فعل الحبّ قاد يسوع إلى الموت، إلى الصليب.

وسأل حبيب: ألذين صنعوا العجائب، ألم يصنعوا عملًا؟ أَوَ ليست عجائبهم تفترض الإيمان؟ فأجابت أنجليك موضحة أن ليست كل أعجوبة تجري باسم الرب يسوع. وتوسّع المرشد بالجواب على سؤال حبيب، فقال ان العجيبة هي بالفعل عملٌ، ولكن العمل الذي لا يعبّر عن محبة ليس بشيء، إنه مجرد فراغ، كالبالون المنفوخ الذي لا يحوي سوى الهواء (راجع ١كو ١٣:٣). وأضاف إن العجائب قد لا تأتي من الله، بل إما من قوى خارقة خفية كامنة في الانسان، يحاول العلم دراستها حاليًا، وهي تندرج في ما يسمّى parapsychologie، أو من قوة الشيطان الذي يحاول أن يبهر بالخوارق أذهان الناس. وأردف المرشد إن الانجيل يتحدّث عن معجزات من هذا النوع غايتها تضليل الناس: «سيظهر مُسحاء دَجّالون وأنبياء كذّابون، يأتون بآيات عظيمة وأعاجيب لو استطاعت لأَضَلَّتْ المختارين أنفسهم.» (متّى ٢٤:٢٤). وأضاف إن يسوع كان يطلب من الناس أن يؤمنوا به بفعل كلامه خصوصًا («فصدِّقوا هذه الأعمال إن لم تصدّقوني»: يوحنا ١٠:٣٨)، وإنه

لم يكن يصنع العجائب إلا رأفة بآلامهم (« ... رأى جمعًا كثيرًا، فتحنّن عليهم وشفى مرضاهم » : متّى ١٤:١٤)، وإنه لامَهُم لأنهم لا يؤمنون إلّا إذا رأوا العجائب) « إذالم تروا الآيات والأعاجيب لا تؤمنون » : يوحنا ٤:٤٨). وأكّد المرشد أن مقياس قربنا من الله إنما هو محبتنا الفاعلة للناس :

« من كانت له خيرات الدنيا
ورأى بأخيه حاجةً
فَأَغلَقَ أحشاءَه دون أخيه
فكيف تُقيمُ فيه محبّة الله ؟
يا بَنيَّ ، لا تكن محبَّتنا بالكلام
ولا باللِّسان
بل بالعمل والحقّ .»

(١ يوحنا ٣:١٧و١٨)

ألحلقة رقم ٤١

إجتماع السبت ١٩٩٦/١١/٩

ألموضوع : ألغنى ودخول الملكوت

تعاطت الفرقة موضوع مخاطر الغنى انطلاقًا من السؤال المطروح التالي :

« يقول الربّ : « يتعسّر على الغني أن يدخل ملكوت الله » . لماذا ؟ وما ذنبه اذا خلقه الله غنيًا أو وَرث الغنى عن أهله ؟»

قدّم نقولا عرضًا عن الموضوع تركّز حول أنّ الغنى لا يقصي ، بحدّ ذاته ، الإنسان عن الله ، إنما يقصيه استعباده لغناه .

ثم فُتِح باب النقاش . فأبدى إيلي أن هناك صعوبة ، وليس استحالة ، على الغنيّ أن يدخل الملكوت . وقالت إيلان إن ما يقوله الربّ بشأن الغنيّ إنما هو دعوة لنا كلّنا لأَنْ لا نجعل من المال محور حياتنا . وعاد إيلي إلى الكلام ، فتساءَل حول ما إذا كان الإنجيل لا يريد منا ، امام البؤس الذي نشاهده في العالم ، ان نُتبع العطاء بالعطاء حتى لا يبقى شيء لدينا ، عملًا بقوله : « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تَشربون ...» . أجاب نقولا انه يترتّب على الإنسان

أن يقدّم مساعدة ولو متواضعة، دون أن يهمل حاجاته الشخصية.

وأبدى المرشد مداخلة أجاب فيها عن تساؤل ايلي قائلًا إن الربّ لا يحدّد لنا ما ينبغي أن نحتفظ به لأنفسنا، ولكنه يدعونا إلى أن لا يكون المال همّنا وشغلنا الشاغل. وذكر مثلًا عن العطاء مؤثّرًا، وهو ان شابًا وفتاة فرنسيَّين مؤمنَين قسما مناصفة المال الذي تلقياه هدية لمناسبة زفافهما، وخصّصا نصفه لمشروع تنمية في الأراضي الفلسطينية. وعاد الى حديث نقولا فقال انه يرى الإنجيل أقسى على الأغنياء مما قاله هذا الأخير، لأنه يتوعّد الأغنياء عامة («الويل لكم أيها الأغنياء...»، لوقا ٦:٢٤)، ويبيّن أنهم في خطر البقاء خارج الملكوت. ذلك لان الغنيّ مهدَّد بالاكتفاء بذاته بسبب ما يملكه من مال وفير، بحيث يصبح همّه الأوحد أن يستفيد إلى أبعد حدّ من مِتَع الدّنيا («يا نفسي، لكِ أرزاق وافرة (...)، فاستَرِيحي وكُلي واشربي وتنعّمي»: لوقا ١٢:١٩)، غيرَ مكترثٍ لبؤس الآخرين (كما كان غنيّ المثل الإنجيلي لا يبالي بشقاء لعازر المتضوّر جوعًا والملقى أمام باب بيته يشتهي الفتات المتساقطة من مائدته الفاخرة: لوقا ١٦:١٩-٢١)، مغلقًا قلبه دون المحبة التي لا صلة بالله بدونها.

وتصدّى المرشد للاعتقاد (الذي تتضمنه صيغة السؤال المتَّخَذ منطلقًا للبحث) بأن الله «يخلق أغنياء». وذكر تعليم الآباء بأن الله إنما أراد في الأصل أن تكون خيرات الأرض، التي يهبها للناس، مشتركة بين الجميع، وبأن الأغنياء استأثروا بها عن غير حقّ

وخلافًا لإرادته. أعطى المرشد، دليلًا على هذا الاستئثار، إحصاءات دامغة عن اوضاع عالم اليوم، صادرة عن برنامج الأمم المتحدة للتنمية PNUD، تثبت أن شريحة الخمس الأغنى من البشر تحتفظ لنفسها بحوالي ٨٠٪ من خيرات الأرض، وأن هذه النسبة تزداد مع مرور الزمن. وأوضح ان هناك تركيبة ظالمة يجب مكافحتها لأنها تدمّر إنسانية الأغنياء والفقراء معًا. وأشار إلى أن الآباء يعلّمون أن الغنيّ يَخلُص إذا ما اعتبر نفسه لا مالكًا لماله، بل مجرّد وكيل مؤتمن عليه لخدمة إخوته.

ألحلقة رقم ٤٢

إجتماع السبت ١٩٩٦/١١/١٦

ألموضوع : تعاطي متّى ١٣:٢٤–٣٠

ألنصّ

« وَضرَبَ لَهُم مَثَلًا آخَرَ قال : « مَثَلُ ملكوتِ السَمَوات كَمَثَلِ رَجُلٍ زَرَعَ زَرعًا طَيِّبًا في حَقلِه . وبَينما الناسُ نائِمون ، جاءَ عَدُوُّهْ فَزَرَعَ بَعدَه بَينَ القَمح زؤانًا وانصرَفَ . فلمّا نمى النَّبْتُ وأخرجَ سُنبُلَة ، ظَهَرَ مَعَهُ الزُّؤان . فجاءَ ربَّ البيتِ خَدَمُهُ وقالوا له : « يا ربّ ، أَلَمْ تَزْرَعْ زرْعًا طيّبًا في حَقْلِك ؟ فمِن أَينَ جاءَهُ الزُّؤان ؟» فَقالَ لَهُم : « أَحَدُ الأَعداءِ فَعَلَ ذلك » . فقال له الخَدَم : « أَفَتريدُ أن نَذهبَ فنَجمَعَه ؟» فقال : « لا ، مخافَةَ أن تَقلَعوا القَمْحَ وأنتُم تجمعونَ الزُّؤانَ ، فَدَعُوهُما ينبُتان معًا إلى يومِ الحَصاد ، حتّى إذا أتى وقتُ الحَصاد ، اقول للحصّادين : إجمعوا الزّؤان أوّلًا واربِطوه حُزَمًا لِيُحرَق . وأمّا القَمْح فاجْمَعوه وأتوا بِهِ إلى أهْرائي .»

* * *

أعدّت أنجليك هذا المقطَع. وبعد أن تَلتْهُ أبدت تعليقها الشخصيّ عليه، ثم جرى بين الحاضرين (وكانوا أربعة بالإضافة إلى المرشد) حوار حيويّ وصريح، وعلى شيء من الحِدّة، شارك فيه كلّ من سَمَر وحبيب ورُلى ح. والمرشد. وقد برز منه أن درب الاستقامة عسير، خصوصًا وأننا نصطدم بتحريف الآخرين لما نعمله من خير، وباشفاقهم على «الاوادم»، وبدعوتهم إلى الإسراع في التمتّع قبل أن يأتي الموت، وباستغلالهم إيّانا، وبرؤيتنا الكثيرين يسلكون طرقًا شرّيرة ولكنها ناجحة في الظاهر، فتسوّل لنا أنفسنا، حيال ذلك، أن نلقي عنا عبء الاستقامة وأن ننقاد إلى الطريق الرخيصة لعلّها تريحنا. وقد يردعنا الضمير عن سلوك هذا السبيل أو قد نجد المبرّرات لسيرنا فيه.

وقد أبدى المرشد تفهّمه لهذه المعاناة، ولكنّه أكّد أن الموضوع هو أن نخافظ على إنسانيّتنا (أو على «نفسنا»، حسب تعبير سَحَر) أو أنْ نخسرها. ومن خَسِرَ إنسانيّته، فلم يعد بشيء، ولو مَلَكَ الدنيا؛ وفي يوم الدينونة لن يعاقبه الله، كما قد نتصوّر، ولكنه هو الذي سيجد نفسه بعيدًا عن الله بسبب تغرّبه عن انسانيته المخلوقة على صورة الله. واقَرَّ المرشد بأن الصراع قاسٍ (كما نَبَّهَنَا المسيح نفسه) وبأن العتمة تلفّنا أحيانًا، إلى جانب لحظات «السلام الداخليّ» التي أشارت إليها سَمَر. إنما، في وسط العتمة، لنا في قلبنا قَبَس من نور زرعه الله فينا، قد نتحوّل عنه ولكن لا يقوى شيء على إخماده. هذا النور الذي «يضيء في مكان مُظلِم إلى

أن ينفجر النهار ويُشرق كوكب الصبح » (٢ بطرس ١:١٩)، والذي يدوم دوام القمح وسط كل الزؤان الذي زرعه « العدوّ »، ينبغي دائمًا أن نعود اليه، لأنه أصالتنا ولأن له وحده الغلبة في آخر المطاف (فالزؤان مهما صال وجال سيذوب « كالشمع أمام وجه النار » الإلهية، وسيُجمَع القمح الطيّب وحده في أهراء الأبد). أمّا إذا ظُلمنا، فينبغي أن نقاوم الظلم بإصرار، إنما دون أن ننضمّ نحن إلى مصفّ الظالمين ونتحوّل إلى شرّهم.

وقد لاحظ المرشد كَمْ حَرَّكَتْنا في هذا الاجتماع كلمة الله.

ألحلقة رقم ٤٣

إجتماع السبت ١٩٩٦/١١/٢٣

ألموضوع: قسوة المجتمع حيال فتاة «أخطأت»

تعاطت الفرقة الموضوع الآتي الذي طرحه حبيب:

« في مجتمعنا، اذا أخطأت الفتاة (أي زَنَتْ)، هل يجب ان تُعاقَب من قِبَله؟ يتكلمون عليها ويدْعونها ساقطة، لكن يغضّون النظر عن الرجل، وتجد نفسها منبوذة من قِبَل الناس، لهذا السبب تعود إلى الخطيئة (بدون اقتناع) فقط لأن الناس تتكلم عليها ».

وقد شارك كل أعضاء الفرقة الحاضرين (وكانوا سبعة يومها) في نقاش محتدم للموضوع اختتمه المرشد بكلمة نوّه فيها بالازدواجية الخُلُقِيّة السائدة في مجتمع يحاسب النساء بدون رحمة على زلاتهنّ الجنسية، في حين أنه، بالمقابل، يدفعهنّ دفعًا إليها بإطلاقه الحرية للرجل بأن « يقتنص » من شاء من النساء، ما عدا نسيباته. وأكّد المرشد ما ورد في نصّ السؤال من أن المجتمع يسجن المرأة التي زلّت في خطيئتها بحكمه المبرَم عليها وبتصنيفها في فئة « الساقطات » أو « العاطلات »، بدل أن يُشعِرَها بأنها أفضل مما ارتكبته، فيوقظ بذلك الطاقات الخيِّرة الكامنة فيها، كما فعل

يسوع مع المرأة الزانية التي أُتي بها إليه، فلم يحكم عليها بل صرفها قائلًا: «إذهبي ولا تعودي بعد الآن إلى الخطيئة» (راجع يوحنا ٨:١-١١)[*].

وأكّد المرشد ما كان نقولا قد بيّنه في مداخلته، من أن يسوع تصدّى للازدواجية الخُلقيّة التي يتعامل بها المجتمع مع كل من الجنسَين، اذ قال للرجال الذين اتوه بالمرأة التي أُخِذت في زنى، واشتكوا عليها أمامه، وألَحّوا بسؤاله إن كان ينبغي ان تُرجَم كما تنصّ الشريعة: «من كان منكم بلا خطيئة، فليكن أوّل من يرميها بحجر!» (يوحنا ٨:٧). وذكّر المرشد بأن يسوع تصدّى لاستعلاء «أوادم» عصره، المنتفخين بفضيلتهم، والمحتقرين مَن كانوا يعتبرونهم «خطأة»، والمنتقدين المعلّم لأنه كان يعاشر هؤلاء ويأكل معهم، إذ قال لهؤلاء، الذين كانوا، بترفّعهم هذا وقسوة قلوبهم، يقيمون، دون أن يشعروا، سَدًّا منيعًا بين الله وبينهم: «ألحقّ أقول لكم: إنّ العشّارين والبغايا يتقدّمونكم إلى ملكوت الله.» (متّى ٢١:٣١).

* من أجل التوسّع في معاني هذه الحادثة، راجع كوستي بندلي: ألجنس في أنواره وظلاله...، ص ٢٧٣-٢٧٦.

ألحلقة رقم ٤٤

إجتماع السبت ١٩٩٦/١٢/٢١

ألموضوع : تعاطي لوقا ١٨ :٣٥-٤٣

ألنصّ

« واقتَرَب من أريحا ، وكانَ رَجُلٌ أَعمى جالسًا على جانِبِ الطرَيقِ يستعطي . فَلَمَّا سَمِعَ صَوتَ جَمْعٍ يَمُرُّ بالمكان ، استَخْبَرَ عن ذَلكَ ما عسي أن يَكون فَأَخبَرُوهُ أَنَّ يسوعَ النَّاصِريَّ مارٌّ مِن هناك . فَأَخَذَ يَصيحُ فَيَقول : « رُحْماكَ يا يسوعُ بْنَ داود !» فانْتَهَرَهُ الذينَ يَسيرونَ في المقَدِّمَة لِيَسكُت . فَصاحَ أَشَدَّ الصِّياح قال : « رُحْماكَ يا ابنَ داود !» فوَقَفَ يسوع وأَمَرَ بأَن يُؤتى بِه . فَلَمَّا دَنا سَأَلَه : « ماذا تُريدُ أن أَصنعَ لَكَ ؟ » فَقَالَ : « يا ربّ ، أَن أُبْصِر » . فَقَالَ له يسوع : « أَبْصِرْ ، إِيمانُكَ خَلَّصَكَ !» فَأَبْصَرَ مِن وَقتِه وتَبِعَه وهو يُمَجِّدُ الله . ورَأى الشَّعبُ بِأجْمَعِه ما جرى فَسبَّح الله .»

* * *

أَعَدَّت سَمرَ هذا المقطع الإنجيليّ . قَدَّمَتْ له مُعبّرة عن إعجابها

بالبصيرة الروحية التي أبداها أعمى هذا النصّ، في حين أن الشهوات كثيرًا ما تُعمينا نحن. وتحدّثت أنجليك فنوّهت بالهامشية التي كان يعاني منها هذا الأعمى الملقى إلى جانب الطريق، وبشفافية روحه التي جعلته يعطي الأولوية لطلب الرحمة. وتكلّمت إيلان على ثقة الأعمى التي تجلّت في صيحته «أن أبصر!»، وفي إصراره على مواجهة يسوع في حين أننا كثيرًا ما نتردّد عن اتّباعه حياءً من الناس وخوفًا من انتقاداتهم.

عادت سَمَر فأشارت إلى أننا كثيرًا ما نكون عميانَ البصيرة. وعادت أنجليك إلى الكلام فنوّهت بالحسّ المرهف الذي أبداه الأعمى بأن يسوع كان فعلًا مارًّا من هناك، والذي تجلّى في إصراره على مناداته رغم محاولة الناس إسكاته. وأضافت إن المقطع يدعونا إلى أن نتمثّل بهذا الأعمى الذي فتح باب القلب ليسوع، فهل نفتحه نحن؟ وأشارت مُجدَّدًا إلى عدم احترام الناس للاعمى، ودعت إلى أن لا نحتقر ذوي العاهات الجسديّة، معبّرة عن تأثُّرها بسماع أحد الاطفال من هؤلاء يروي قصّته في لقاء، نقله التلفزيون، بين نبيه بريّ، رئيس المجلس النيابي اللبناني، و«برلمان الاطفال» الذي عُقد في قاعة هذا المجلس. وطرحَ كل من إيلي وحبيب سؤالًا استيضاحيًا أجاب عنه المرشد.

وألقى المرشد مداخلة ختاميّة قصيرة عَلَّقَ فيها على بعض ما ورد في مداخلات الأعضاء. قال إننا نرى أن يسوع يعطي هنا مركز الصدارة لمهمَّشٍ لم يُعره الناس اهتمامًا وأرادوا إسكاته عندما رَفَعَ

صوته، وأضاف إن مسيحًا غير هذا الذي يركّز اهتمامه على الهامشيّين، على الذين لا يراهم أحد ولا يلتفت اليهم أحد ولا يَحفَل بهم أحد، إنما هو مسيح من صنع خيالنا وليس مسيح الإنجيل.

ألحلقة رقم ٤٥

إجتماع السبت ١٩٩٧/٢/٨

ألموضوع : ألإباحية في المشاهد التلفزيونية

تعاطت الفرقة موضوعًا طرحته رُلى ح.، وهو:

« ما هي سلبيّات وإيجابيات الإباحية في المشاهد التلفزيونية ، وما هو تأثيرها على الصغار والكبار معًا ؟»

قدّمت أنجليك مداخلة أوّلية في هذا الموضوع ، اوضحت فيها أن الإباحيّة تُشَيِّئ الآخر ، وأن مخاطرها تكمن في كونها تدفع إلى سوء اختيار للشريك ، وفي كونها تُفسِد المجتمع وتثير الشهوانية وتغري باستغلال الآخر .

ثم فُتح باب المناقشة ، فتكلّم كل من الياس (مرّتين) وأنجليك (مرّتين) ونقولا (مرّتين) . ثمّ قدّم المرشد مداخلة ختامية حدّد فيها الإباحيّة على أنها تصوير لحركات الحبّ دون ان يكون هناك حبّ ، مما يفقد هذه الحركات معناها ويحوّلها إلى أساليب يستعمل فيها كلّ من الشريكين الآخر وكأنه مجرد آلة يَجتني منها لذّته ، دون أن يأبه لإقامة لقاء وجدانيّ بينهما كذاك الذي يسعى اليه الحبيبان اذا

مارسا الجنس معًا. علمًا بأن هذا التعامل الآليّ بين بَدَنَين ينقلب على اللذة المتوخّاة، فيقزّمها ويمسخها، ويجعلها، على حدّتها، تافهة، خاوية، خالية من فرح التواصل الحقّ، لأن انطواءَها الأناني (كل من الشريكين منهمك بلذّته ويتّخذ من الآخر مجرد ذريعة لها) يحوّلها إلى محض انتفاضة لا أفق لها ولا فحوى.

وأضاف المرشد إن من شأن المشاهد الإباحية، خصوصًا اذا أدمن المرء عليها، أن تعطّل فيه طاقة التدامج بين الرغبة والحنان، هذا التدامج الذي هو شرط الحبّ الأصيل الذي «تغلّف فيه الروح الجسد» كما قال احد المفكّرين، كما أنّها تؤول إلى تحقير المرأة بتحويلها من شخص إنسانيّ إلى مجرد أداة وآلة للذة، إلى محض أنثى تُتَّخَذ مَطيّة لشهوة الذكور، ما يفسّر تصدّي الحركات النسائية لها في الغرب، وهي ترفع في وجهها شعارات كالتالي: «كوني امرأة وليس بدنًا» Be a woman not a body.

ألحلقة رقم ٤٦

إجتماعا السبت ١٩٩٧/٣/١٥، والسبت ١٩٩٧/٦/٢٨

ألموضوع : خبرات في الصلاة

في اجتماع سابق للفرقة ، أفضت إحدى الفتيات بأنها ، في فترة الصوم ، تكبر في حياة الصلاة ، ولكنها تودّ أن يتمّ لها ذلك خارج فترة الصوم أيضًا ، وأضافت أنها مرت بأزمة من حيث علاقتها بالله وأنها تتمنى لو يجري ، في الفرقة ، الحديث عن عيش الصلاة . فاقترح المرشد إذ ذاك أن يتمّ في الفرقة تبادل خبرات حول هذا الموضوع . وأيّد أحد الشبان الفكرة مبديًا أن تحقيقها من شأنه أن يشجّعه على الإدلاء بخبراته . هكذا انطلق مشروع امتدّ تنفيذه على اجتماعين .

* * *

في اجتماع ١٩٩٧/٣/١٥، تكلّمت أولًا أنجليك ثم حبيب ، وكانت قد أُسندت اليهما مهمة التقديم للموضوع . روت أنجليك كيف أن انتماءها إلى حركة الشبيبة الأرثوذكسية أثار لديها رغبة

في اكتشاف الصلاة، وكيف أن هذه الرغبة نمت بفعل احتكاكها بكاهن واشتراكها في خلوة روحية في دير كفتون للراهبات، وكيف أن ممارستها للصلاة تراجعت بعد ذلك، ما أضعف قدرتها على مواجهة أسئلة مقلقة راودتها وخوفٍ من الموت كبيرٍ استحوذ عليها بعد وفاة أحد الاطفال. أما حبيب فقال إنه يشارك في القداس الأحديّ، إنما بشكل سطحيّ، ولكنه يشعر نفسه قريبًا من الله عندما يصلّي لوحده. وقال إن مشاكل الحياة تلهي عن الصلاة.

تلا هاتين المداخلتين حوارٌ شارك فيه كلّ من إيلي وأنجليك والمرشد الذي أشار، انطلاقًا من ملاحظة أبدتها أنجليك، إلى خبرته الشخصية في الصلاة من أجل الآخرين، وكيف أنها تخرجنا من ذواتنا وتفسح بالتالي لله مكانًا فينا فيحمل آنذاك هو معنا مشاكلنا ومشاغلنا وبؤسنا. وقد تقرر، بناءً على اقتراح إيلي، أن يتابعَ عرض خبرات عن الصلاة في اجتماع لاحق.

* * *

استؤنف الموضوع في اجتماع ١٩٩٧/٦/٢٨. وقبل أن تتطارحه الفرقة مجدّدًا، أوضح المرشد أن المطلوب ليس إبداء **أفكار** عن الصلاة بل **خبرات** معيوشة لا يُفتَرَض أن تكون إيجابيّة كلّها.

ثم تحدّثت إيلان، قالت إن خبرتها في الصلاة حلوة، ولكن تتخلّلها فترات صعود وفترات هبوط. قالت إنها ذاقت، في فترة

وجيزة، حلاوة الصلاة والحياة الروحية بشكل عامّ، وذلك بفضل جماعة أحاطت بها واختبرت هي عن طريقها زيارة دير حماطورة - التي كان لها أثر حاسم في حياتها - والسهرانيّات والأبوّة الروحية. قالت إنها اختبرت الخلوة مع الربّ والحوار معه، وصار لها أبٌّ روحيّ ساعدها في اختبار الصلاة، وإنها تراجعت بسبب التكاسل، وهي تَتَرَجَّح بين التقدّم والتراجع. قالت إن وجود «مدام رمزا» (وهي سيدة مسنّة ومشعّة، رافقت شبان وشابات حركة الشبيبة الأرثوذكسية في الميناء، لفترة عشرات من الأعوام وحتى وفاتها، وكانت موضوع محبة واحترام منهم) كان له أثر في حياتها، وإنها كانت تدفعها إلى الصلاة إذ كانت تطلب منها أن تصلّي من أجلها... وروت كيف أنها كانت مرة تزور «المدام» (في بيت الشيخوخة في الميناء حيث قضت سنواتها الأخيرة محاطة بتعاطف الشباب الذين كانوا يتناوبون على زيارتها) مع أنجليك، وكانت «المدام» تبدو، حينها، ضائعة عن وعيها. ولكنها طلبت من إيلان وأنجليك أن تصلّيا من أجلها، ففعلتا، وصارت هي ترافقهما بتلاوة مزامير كان يبدو أن كلماتها تخرج من قلبها. وفي آخر المطاف بدا أنها عادت إلى الوعي بفعل حرارة صلاتها.

علّق المرشد على بعض ما ورد في هذه الخبرة بقوله إنه، من جهته، يختبر أهمية الصلاة من أجل الآخرين في وصله هو بالله، لأنها تخرجه من دائرة ذاته، حتى أنه، عندما يصلّي من الأعماق من أجل إنسان غريب عنه، يحسّ أحيانًا بأن حضورًا ملموسًا يلفّه.

وتكلّم الياس فقال إنه يحسّ الصلاة ملجأً له من انزعاجات داخلية، وإنه ينسجم مع الصلاة الجماعية عندما يكون أداؤها الموسيقيّ جميلًا، لأن هذا الجمال يحميه من الشرود ويوصل إليه المعاني ويُشعره بنشوة. أما الصلاة الفردية فلا يحكمها عنده انتظام بل تأتي نتيجة انفعالات يعاني منها، وتتخذ شكل صلوات عفويّة تكون في أكثر الأحيان تسليم مصير.

ثم أعطي الكلام لفؤاد. قال إنه، في الفترة الأخيرة، صار نوعًا ما بعيدًا عن الصلاة، عن الكنيسة، وإن ذلك كان ربما عائدًا إلى تعب الدراسة. أضاف إنه اجتاز حقبة كان يصلّي فيها كل مساء، وإنما كان هذا للوصول إلى هدف، فلمّا بلغه غابت الصلاة. وذكر خبرة عاشها أثناء القداس، إذ كانت المشاكل اليومية تارة تشدّه إلى الصلاة وطورًا تُشَتِّتُهُ عنها.

وعادت إيلان إلى الكلام، فقالت إن مشكلتها هي أن صلاتها تتورّط أحيانًا في الطلب. وأضافت: ربما يكون السبيل إلى الخروج من هذا التورّط هو الصلاة من أجل الآخرين كما قال الأخ كوستي.

وعقّب المرشد على ملاحظتها الأخيرة بقوله إنه يرى أن الصلاة من أجل الآخرين من شأنها أن تحرّرنا من نزعة تهدّد بتدمير علاقتنا بالله، لأنها تُشَيِّئُهُ، معتبرة إياه بمثابة البقرة الحلوب، أو على شاكلة سبيل الماء الذي، كلما أردنا ماء، كبسنا على زرّ لنناله منه.

وتحدّث الياس ثانية، فروى لنا خبرات عاشها أثناء زيارة، شارك فيها مع زملائه طلاب معهد اللاهوت في البلمند، إلى أديرة جبل آثوس، وقد امتدّت على خمسة عشر يومًا. قال إن الرهبان هناك كانوا يصلّون باليونانية، وهو لا يفهمها، ومع ذلك كان يشعر بجو سلاميّ رائع إلى أبعد حدّ. في ذلك الجوّ كان، مرّةً، مريضًا، ولم يقدَّم لهم من طعام سوى خبز وبيض، فاضطُرّ إلى أكل البيض الذي كان متوقّعًا، في حالته الصحيّة، أن يؤذيه، ولكنه مع ذلك تعافى.

رجت أنجليك أن تُتابع هذه الخبرات لأنها توقظ حسّ الصلاة فينا. فثنّى المرشد على ذلك الاقتراح. وقال إن هذه الخبرات توقظ بالفعل أعماقنا، وشكر الرب لأنه ألهم الإخوة هذه الخبرات وألهمهم أن ينقلوها إلينا فينيرونا بها.

بعد ذلك اختُتِم الاجتماع بتلاوة هذا المقطع لطاغور، اختارته إيلان:

« نعمةً أرجو: ألا أسمحْ لي أن أرتاح هنيهة قربك، وسأنهي بعد ذاك ما باشرتُه من عمل.

حين يغيب عنّي محيّاك، يفقد قلبي الهدؤ والراحة، ويصبح عملي عناءً مديدًا في بحر رحبٍ من العناء.

أليومَ أَطَلَّ الصيف على نافذتي بهمسه وزفيره، وتسارعت النحلات يغازلن زهور الروض.

هي الساعة الملائمة لأجلس هادئًا أمامك، وجهًا لوجه،
وأغنّي، واقفًا لك الحياة، في غمر هذا السكون الصامت»

(طاغور: قربان الأغاني، ٥)

ألحلقة رقم ٤٧

إجتماع السبت ١٩٩٧/٣/٢٢

ألموضوع : تعاطي مرقس ٢:١-١٢ (للمرة الثانية)

ألنصّ

« وعَادَ بَعدَ بِضعَةِ أَيَّامٍ إلى كفرناحوم ، فَسَمِع الناسُ أَنَّهُ في البَيت . فاجتَمَعَ مِنهم عَدَدٌ كثير ، وَلَم يَبقَ مَوضِعٌ خالِيًا حتى عِنْدَ الباب ، فَألقى إليهم كلِمَةَ الله ، فَأَتَوه بِمُقعَدٍ يَحْمِلُهُ أربَعَةُ رِجال . فَلَم يَستَطيعوا الوصولَ إلَيه لِكَثْرَةِ الزِّحام . فنَبَشُوا عن السَّقفِ فَوقَ المَكانِ الذي هو فيه ، ونَقَبوه . ثُمَّ دَلَّوا الفراشَ الذي كان عليه المُقعد . فلَمَا رَأى يسوعُ ايمانَهم ، قال للمُقعَد : « يا بُنيَّ ، غُفِرَت لَكَ خطاياك » . وكان بَينَ الحاضِرين هُناكَ بَعضُ الكَتَبَةِ . فَقالوا في قُلوبِهم : « ما بالُ هذا الرَّجُلِ يَتَكَلَّمُ بذلك ؟ إنَّهُ لَيُجَدِّف . فَمَن يَقدِرُ أن يَغْفِرَ الخطايا إلّا الله وحدَه ؟» فَعَلِمَ يسوعُ عِندَئذٍ في سِرِّهِ أَنَّهُم يَقولون ذَلِكَ في أنفُسِهِم ، فَسأَلَهُم : « لماذا تقولونَ هذا في قُلوبِكُم : فأيُّما أيسَر ؟ أن يُقالَ للمُقعَد : غُفِرتَ لكَ خطاياكَ ، أم أم يُقال : قُم فَاحمِلْ فِراشَكَ وامْشِ ؟ فلِكَي تَعلموا أن ابنَ الإنسان له سُلطانٌ يَغْفِرُ به الخَطايا في الارض » ، ثم قال

للمُقعد : « أقولُ لكَ : قُم واحمِل فِراشَكَ واذهَب الى بَيتِكَ » . فَقَامَ فَحَمَل فِرَاشَه لِوقتِه، وخَرَجَ بِمرأى من جَميعِ الناس ، حتى دَهِشوا جميعًا وَمَجَّدوا الله وقالوا : « ما رَأينا مِثلَ هذا قَطّ » .

* * *

إختارت إيلان هذا المقطع . قدّمت له بقولها : يشدّني إيمان هذا الكسيح ورفاقه الذين تخطّوا العقبات بجرأة ليصلوا إلى يسوع . وتساءَلت : هل نبذل ولو جهدًا بسيطًا للوصول إلى يسوع كي يشفي كُساحنا الروحيّ ؟ وحثَّت على المطالعة تشبّهًا بمؤسّسي حركة الشبيبة الأرثوذكسية .

وتساءَل نقولا : ماذا نعمل في فترة الصوم لنزيل بُعدنا عن الله وانجرافنا وراء مجتمع الاستهلاك والافكار السائدة ؟ واعترض على الإنفاق الكبير على غداء عيد الحركة فيما نحن في صوم (الصوم الأربعيني الكبير : ك.ب.) وعلينا أن نوفّر أثناءه في سبيل المحتاج .

وقالت أنجليك : يخاطبني المقطع كثيرًا . إنني أعيش صراعًا كذاك الذي يرويه : كالكسيح اقترب الى يسوع ، وكمعلمي الشريعة ابتعد عنه . ان الله يقبلنا اذا كان لنا شَغَفٌ به كشَغَفِهِ بنا . ينتظرنا كما انتظر الأب ابنه الضالّ . وأضافت : أشعر أن في أسرة الجامعيين جمودًا . نحن لا نرفع الصوت لنشير الى الخطأ ، في حين أنه يجب أن نعلن ما نراه حقًا . أين نحن من الجامعيين الذين

أسّسوا الحركة؟ قال نقولا: إنهم بذلوا جهدًا للوصول إلى يسوع. هل نطالع نحن، مع أن كتب الثقافة الدينية أصبحت كثيرة في العربية؟ روى لي أحد الرفاق أن فرقة شباب يبلغ عمرهم ١٨/١٧ سنة، في المنصورية، هي بصدد ترجمة كتاب للذهبي الفم عن الانكليزية. إذا كانت معرفة اللغات الأجنبية تُعوزنا، يمكننا على الاقلّ أن نلخّص كتبًا.

قال الياس، معقّبًا على ملاحظة نقولا حول غداء عيد الحركة: انه كلام مثاليّ لا يُطبّق، لأننا، مهما فعلنا، لا نستطيع أن نلغي الفقر، إذًا فلننظّم بالأحرى حفلات، على أن يكون فيها ذكر الفقير. أجاب نقولا: لا يسعنا أن نلغي الفقر، ولكن أرملة الإنجيل أعطت من حاجتها. علينا، في فترة الصوم، أن نجوع، أن ننسى العطايا لنتجّه إلى المعطي، وإلى الفقير الذي وحّد ذلك المعطي ذاته به. واعترض نقولا، من المنطَلق نفسِهِ، على الرحلات المكلفة التي تُنَظَّم في فترة الصيام. قالت أنجليك: ينبغي أن لا يقتصر الصوم على فترة زمنية محدَّدة، بل أن تستمرّ روحيّته في حياتنا كلّها. والصوم هو، أساسًا، أن أعيش قلبًا وقالبًا مع يسوع. لذا أرى مبالغة في اعتراضات نقولا، لأنني أفرح بفرح أولادٍ يشاركون في رحلة، ولو تَمّت في فترة الصيام.

وأبدى المرشد مداخلة ختامية، استهلّها بشكر للربّ الذي جعلنا، عبر هذا التبادل، مَعابِرَ لنوره بعضنا إلى بعض. وتوقّف أوّلًا عند اعتراضات نقولا، قائلًا إنه يوافق على راديكاليّتها (جذريّتها).

فالمسيحيّ يعترض أبدًا على واقع الدنيا، لأنه، في جوانب عديدة منه، واقع مزيَّف، مشوَّه، في حين أن الواقع الأصيل الوحيد هو واقع الملكوت المرتَجى الذي يترتّب علينا ان نستبِقَهُ بلا انقطاع برسمنا شيئًا من بهائه في عالمنا الراهن. أضاف المرشد: لكن ما قاله الياس يذكّرنا بكثافة واقعنا الحاضر ومقاومته؛ ويعلّمنا أن لا نيأس إذا ما عاندت الظلمة بضراوة جهودنا لنثبّت فيها تباشير النور. أما ما وَرَدَ على لسان أنجليك، فَيحذِّرنا من أن تتخذ جذريّتنا شكلًا ضيّقًا يحجّم رحابة الله. فالكمال الوحيد الذي نتشبّث به هو كمال المحبة: «ألله محبة، من أقام في المحبة أقام في الله وأقام الله فيه» (١ يوحنا ٤:١٦). والصوم ليس غاية، بل هو وسيلة لعيش المحبة. لقد كانت حياة النسّاك القدامى، في براري مصر، صومًا شبه دائم ينقطعون به إلى الله، ولكنهم كانوا، إذا جاءهم زائر، يكسرون الصيام ليشاركوه الطعام، تعبيرًا عن المحبة. هكذا يمكن أن نفهم غداء عيد الحركة تلطيفًا للصوم من أجل أن نشارك، في مائدة محبة، الإخوةَ من الفروع الأخرى الذين نستضيفهم في ذلك اليوم.

ثم انتقل المرشد إلى ما عبّر الإخوة عنه في تبادل اليوم، من شعور بالعجز. تناوَلَ مثلًا التقصير الثقافي، والإحجام عن إبداء الرأي في ما نراه حقًّا. قال إنه يرى في تلك الظواهر الكُساحَ الذي يتحدّث عنه مقطعنا الإنجيلي. إنّ الكُساحَ الأساسيّ روحيّ، وهو الذي شفى منه يسوع، أولًا، الكسيحَ الذي أتوه به، قبل أن

يشفي كُساحه الجسدي. ونحن أيضًا لن ننجو من عجزنا وكُساحنا إلّا إذا ارتمينا في يسوع. وإذا تساءَلنا من أين تأتينا قوة الارتماء فيه، أجيب إنها تأتي من حدّة شعورنا بالعجز ومعاناتنا من وطأته.

هنا سألت سَمَر: ولكن رفاق الكسيح ساعدوه... أجاب المرشد: ونحن يساعدنا الناسُ من حولنا، من حيث قد لا ندري أو لا يدرون، على الاقتراب من يسوع. هذا يساعدنا بالتعبير لنا عن صداقته، وذاك بقدوته، وذاك بحاجته إلينا... وهناك مئات الأشكال المتنوعة نتلقّى بها العون. وأيّد نقولا ذلك بسرده خبرة زيارة قام بها شباب للمسنّين، فكان كل فريق مساعدًا للآخر.

ألحلقة رقم ٤٨

إجتماع السبت ١٩٩٧/٣/٢٩

ألموضوع : تساؤلات حول الزواج المدني

قدّمت أنجليك لهذا الموضوع ، فقالت إن الزواج المدنيّ من شأنه أن يكسر النظام الطائفي ، ولكنها ، مع ذلك ، تستبعده ، لأنها ترى الزواج سرًّا تباركه الكنيسة ، ولأنها تخشى من أن يُشَرَّع الباب امام الطلاق ، في ظلّ الزواج المدني .

ثم انطلقَت مناقشة شارك فيها كل من نقولا وايلي والياس وإيلان ، برز خلالها ، بآنٍ ، تأكيد أهمية الزواج كَسِرٍّ ، والإشارة إلى خطر إفقاده معناه بفرضه على من كان بعيدًا عن الإيمان ، بحجة انتمائه الطائفي ، ولكون القانون لا يعترف أساسًا إلّا بالزيجات التي تعقدها الطوائف ، نظرًا لغياب قانون مدنيّ للأحوال الشخصية في لبنان .

وألقى المرشد مداخلة ختامية ، ذكر فيها أن الزواج لم يصبح ، في المسيحية ، سِرًّا قائمًا بذاته ، إلا في فترة متأخرة ، في القرن التاسع للميلاد . قبل ذلك كان المسيحيون يعقدون زواجًا مدنيًّا ، في ظل الشريعة الرومانية ، ثم يأتي الزوجان إلى الكنيسة ويشاركان في

الليتورجيا الإفخارستية (أي القداس) مع سائر المؤمنين، ويتلقيّان، في إطار هذا الاحتفال الكنسيّ، بركةً كانت بمثابة تكريس الجماعة لاتحادهِما الزوجيّ واعترافها بصفته المسيحية. أضاف المرشد إنه، في فرنسا حاليًا، يعقد كل المواطنين زواجًا مدنيًا لا بدّ منه ليصبح زواجٌ ما شرعيًّا في نظر القانون، ثم يتزوج المؤمنون منهم في الكنيسة، مضيفين زواجًا دينيًا على زواجهم المدنيّ.

واتخذ المرشد تلك الوقائع منطَلَقًا ليطرح مشكلة المحسوبين، في لبنان، على طائفة، لمجرّد أنهم وُلدوا فيها، مع أنهم لا يؤمنون بما تؤمن. هؤلاء، في النظام الطائفي اللبناني الراهن، مضطرون، كي يُعترَف بِزواجِهم، أن يَخضعوا لمراسِمِ زواج ديني، فيتحوّل الامر، من جراء ذلك، إلى تمثيليّة، مهينة بآن لكرامتهم ولكرامة سرّ الزواج. أضاف: ولكنّ الطوائف، في لبنان، مصرّة، على ما يبدو، على التشبّث بالمنتسبين إليها بالولادة، بغضّ النظر عن موقفهم الشخصي، فتزوّجهم على سننها... وتدفنهم في مدافنها، دون أن تقيم وزنًا لحريتهم في اختيار قناعاتهم وتوجّهاتهم، ما يستدعي السؤال الآتي: ما هي قيمة وأصالة وصِدْق هذا التديُّن الذي يُرصَف فيه المرء رَصْفًا دون أن يُسأل عن رأيه؟ واين هو من عبارة يسوع: «من أراد أن يتبعني...» ومن العبارة القرآنية «لا إكراه في الدين»؟

وخلص المرشد إلى أن الحلّ الواقعيّ في هذه الحال – التي تتصادم فيها كرامة الدين وكرامة الإنسان مع إصرار الطوائف على

الهيمنة – يكمن، برأيه، في إصدار قانون مدنيّ اختياريّ للأحوال الشخصيّة يقوم إلى جانب قوانين الأحوال الشخصية لمختلف الطوائف، علمًا بأن هذا الحلّ نفسه، على تواضعه، صعب المنال، نظرًا للمقاومة الضارية التي يُنتظر من الطوائف أن تواجهه بها، حفاظًا على مكتسباتها.

ألحلقة رقم ٤٩

إجتماع السبت ١٩٩٧/٤/٢

ألموضوع : تعاطي مرقس ٩:١٤-٢٩

ألنصّ

« ولَمّا لَحِقوا بالتَّلاميذ ، رَأَوا جمعًا كثيرًا حَولَهم وبَعضَ الكَتَبَةِ يُجادِلونَهم . فما إنْ أَبصَرَه الجَمعُ حتى دَهِشوا كُلُّهم وسارَعوا إلى السَّلامِ عليه . فَسأَلَهم : « فَبِمَ تُجادلونهم ؟» فَأجابَه رَجُلٌ منِ الجَمْع : « يا مُعَلِّم ، أتيتُكَ بِابنٍ لي فيه روحٌ أبكَم ، حَيثُما أخذَهُ يَصرعُهُ ، فَيُزْبِدُ الصَّبيُ ويصرفُ بِأَسنانِهِ وييَبَس ، وقد سَألتُ تلاميذك أن يَطرُدوه ، فلَم يَقدِروا » . فَأجابَهُم : « أيُّها الجيلُ الكافِر ، حَتّام أَبقى مَعَكُم ؟ وإلامَ أَحتَمِلُكُمْ ؟ عَلَيَّ به !» . فأتوه به . فَما إنْ رَآه الرُّوحُ حتى خبَطه ، فوَقَعَ إلى الأرضِ يَتمرَّغ ويُزبد . فَسَألَ أباه : « منذ كَمْ يَحْدُثُ له هذا ؟ » قال : « منذ طفولَتِه . وكثيرًا ما ألقاهُ في النَّارِ أو في الماءِ لِيُهْلِكَهْ . فإذا كُنتَ تَستَطيعُ شَيئًا ، فأَشفِقْ علَينا وأَغِثْنَا » . فقال له يسوع : « إذا كنتَ تستطيع ! كلُّ شيء مُمكنٌ لِلَّذي يُؤمن » . فَصاحَ أبو الصَّبيّ لِوَقتِه : « أؤمِنُ ، ولكِن أعِن عَدَم إيماني !» وَرَأى يَسوع الجَمْعَ يَزدَحمون ،

فانتَهَرَ الروحَ النَّجِسَ وَقَالَ له: «أيُّها الروحُ الأَخرَسُ الأصَمّ، أنا آمرُك، أخرُج مِنه، ولا تَعُدْ إليه». فَصَرخَ وخَبَطه خبطًا عَنيفًا وخَرَجَ منه. فَعادَ الصّبيُّ كالميت، حتّى قالَ جميع الناس: لقَد مات». فَأخذَ يسوعُ بِيَدِهِ وأَنهَضهُ فقام. ولمّا دَخلَ البَيتَ، انفرد به تلاميذه وسَألوه: «لماذا لَم نَستَطِعْ نحنُ أن نَطردُه؟» فقالَ لَهُم: «إنّ هذا الجنسَ لا يُمكن إخراجه إلّا بالصَّلاة والصَّوم».

* * *

إختارت مارينا هذا المقطع الإنجيليّ. وأشارت في تقديمها له إلى أن عدم إيمان التلاميذ ضايَقَ يسوع. وربطت أنجليك بين هذا المقطع وحادثة التجلّي التي سبقته والتي ظهر فيها موسى وايليا اللذان مارسا الصلاة والصوم. وركّزت على أهمية الصلاة والصوم للشفاء، لأنهما يقوّيان الإيمان. وقالت إنها ترى في المقطع ثلاثة عناصر: الأب، الذي لفتها تواضعه وبساطته، والتلاميذ، الذين لم يستطيعوا إتمام الشفاء، ويسوع، الذي أمسك بيد الصبيّ لينتشله. وقالت إن الهدف ليس الأعجوبة بل يسوع. وأشارت إلى التناقض بين رحمة يسوع وقسوة الشيطان الذي أمعَنَ في تعذيب الصبيّ.

وسأل إيلي هل يُعتبر هذا النصّ دليلًا على وجود الروح الشرّير. فأجاب المرشد إن يسوع، بصفته كان انسانًا بالحقيقة لا بالصورة وحسب، كان فعلًا ابن عصره وشاركه بالتالي في ذهنيّته. كانت ثقافة ذلك العصر تنسب الأمراض كلّها، وبنوع خاصّ

الأمراض العقلية، الى فعل الأرواح الشريرة. ولكن المهمّ ليس أن يكون يسوع قد شارك، بهذا الصدد، تصوّرات زمانه، بل المهمّ أنه سلّط رحمة الله على المريض فحرّره وشفاه.

وأضاف المرشد إنه يعتقد أن، في تعامل يسوع مع الشيطان، ما هو أبعد من الإطار الحضاري لذلك الزمان. فقد أدرك يسوع ببصيرته الروحية الفائقة، أن الشيطان عدوّ لدود للإنسان لأنّه يكره فيه صورة الله التي بموجبها كُوّن، وأنه «قتّال للناس منذ البدء» (يوحنا ٨: ٤٤). لذا كان لا بدّ ليسوع أن يجابهه من أجل خلاص الإنسان.

وأبدى المرشد رأيه الشخصيّ في أن الشيطان، ولو لم يكن السبب المباشر لنكبات الإنسان (ومنها الامراض التي اكتشف العلم، ولا يزال، عواملها الطبيعية)، إلّا أنه يلعب، في إذكائها، دورًا شبيهًا بدور «الحافز» Catalyseur في التفاعلات الكيمائية.

ثم دار حوار حول الظواهر الخارقة وحول احتمال سكنى الأرواح الشريرة في الإنسان (قال المرشد إن ليس ما يؤكّد هذا الاحتمال)، شارك فيه إيلي وايلان وأنجليك والمرشد الذي نبّه إلى أنه، رغم مشروعية تلك الأسئلة، يبقى الموضوع الأساسي هو أن «الله محبة. من أقام في المحبة أقام في الله وأقام الله فيه» (١ يوحنا ٤: ١٦).

إختُتِم الاجتماع بصلاة لطاغور اختارها المرشد وربطها بزمن الصوم الذي فيه ننقطع عن العطايا للتفرّغ للمعطي:

« يومًا بعد يوم ، كنتُ آتي بابَك ، وأمدّ يدي أسال وأسأل .

وأنت أعطيتني ، وأعطيت ، تارة باعتدال وبطء ، وطورًا ببذل مفاجئ .

أخذتُ بعض عطاياك ، وتركت البعض . بعضها أثقل يديَّ ، وبعضها لهوتُ به ، ثمّ كسرتُه حين تَعِبت . وها إن ما تَحطَّم من عطاياك ، وما تَكدَّس ، قد علا حتى حجبَكَ عني . وها إن الانتظار الدائم قد أنهك قلبي .

إستَعِدْ عطاياك! أَجَل إِستَعِدْ ! هذا هو هتافي الآن .

حَطِّم كلَّ ما في قَصعَةِ المتَسوِّل . أطفئ مصباح الساهِر المزعِج . خُذْ بيدي ، وارفعني فوق هذه الكومة العالية من هِباتك ، إرفعني حتى اللانهاية العارية ، حيث أراكَ في وَحدَتِك » .

طاغور : جنى الثمار ، ٢٨

ألحلقة رقم ٥٠

إجتماع السبت ١٩٩٧/٤/١٢

ألموضوع: ألكبرياء وكيفية تَخَطّيها

تعاطت الفرقة هذا الموضوع انطلاقًا من السؤال التالي:

«كبرياء الإنسان هي في أغلبية الاحيان مُسَبِّبة للخطيئة. كيف يمكن تخطّي هذه الكبرياء وعيش المسيحية بكمالها؟»

قدّمت أنجليك للموضوع، فلاحظت أننا لا نقبل ملاحظات تأتينا من فوق، وأننا والتواضع متنافران. وذكرت قولًا ليوحنا السلميّ بأن السقوط مرتبط بالكبرياء. وقالت إن الكبرياء لا تسمح بأن نتعرّى امام الله، وإنها حاجز بيننا وبينه. وتساءَلت كيف يمكن تخطّيها؟ قالت إنها تعرف أن بالمسيحية كل شيء مستطاع، ولكنها لا تعرف كيف نستطيع فعلًا. أضافت: أعتقد أن هناك نوعًا من الجهاد. ولكننا نحتاج إلى معونة أشخاص قادرين على مساعدتنا. وارتأت أن الطاعة، طاعة الأب الروحيّ، قد تكون وسيلة لقهر الكبرياء.

ثم فُتِحَ باب الحوار. قال حبيب إن الدواء هو التواضع.

فسألت أنجليك : ولكن كيف نتواضع ؟ أجاب حبيب : بعيش الحياة المسيحية . قالت رُلى ح . إن الكبرياء ناشئة أحيانًا عن عقدة . وذكر إيلي تأثير البيئة وقال إن الكبرياء قد تكون محض ظاهرية . قالت إيلان : في كلّ منّا كبرياء ، بالإضافة الى الحالات الخاصة . وصوّرت الكبرياء على أنها شعور بالتفوّق . وأضافت : ما يساعدنا هو أن نساعد غيرنا ، إذ عندئذ ننسى أنفسنا . الآخر ينسيني نفسي وكبريائي : هذا ما اختبره . قال إيلي : ألعمر له أثره في الموضوع . وأشار الى عنفوان الشباب . وأضاف : ألتربية القسريّة قد توجِد الكبرياء . هنا تمنّت أنجليك : يا ليتنا نحكي خبرات حول الكبرياء كما فعلت إيلان . وسألت سمر (ملتفتة إلى أنجليك) : كيف تتجلّى عندكم الكبرياء ؟ فأجاب المرشد ، مذكّرًا بمظاهر ملموسة كانت قد أشارت إليها كلّ من أنجليك وإيلان (عدم تقبّل الملاحظات ، الشعور بالتفوّق) . قال إيلي (مشيرًا الى خبرته في خدمة العلم التي انخرط فيها منذ فترة) : لقد أعطونا في الجيش ، نحن أصحاب الرُّتَب ، شعورًا بالتفوّق ، كانوا يُغذّونه فينا حيال بقيّة المجنَّدين ، ولكننا تخطّيناه بمعاشرة هؤلاء .

وقدّم المرشد مداخلة ختامية انطلق فيها من تصوير الكبرياء على انها « شوفة حال » ، اي استغراق في تأمل مُعجَب بذاتنا ، على طريقة نرجس الاسطورة . وقال إن ما يفكّنا من أسر ذاتنا هو ان نتأمل في أن كياننا كلّه ، من جسديّ ونفسيّ ، هو ، في كل لحظة ، هدية حبّ من الله . هذا ما يشيع فينا طمأنينة وأمانًا ، من

شأنهما أن يحرّرانا من الحاجة إلى التشبّث بذاتنا الذي نحاول ان نحتمي به من خوف خفيّ يبدّده يقين ارتباطنا الصميم بالله . ثم إنّ هذا الحبّ الذي نختبره إذا ما تذكّرنا أننا ، بكليتنا ، هبة حيّة من الله الحيّ ، يوقظ الحب فينا بالمقابل ، يُطلق فينا حبّ المعطي وحب البشر الآخرين لأنهم ايضًا ابناؤه وهبات منه كما نحن ، فننفتح إليهم بكل جوارحنا ، وننشغل إذ ذاك عن ذواتنا بما نجده لديهم ، وحتى لدى اصغرهم ، من عناصر تغنينا لأنها تخرجنا من دائرة عالمنا الصغير المغلَق ، نَنْشغل أيضًا بما نكتشفه لدى الآخرين من حاجات وهموم ومشاكل تفرض ذاتها علينا وتشدّ إليها انتباهنا واهتمامنا ، وتحرّرنا بالتالي ، تلقائيًا ، كما عبّرت إيلان ، من انهماكنا بذواتنا . هكذا نصارع الكبرياء ، لا مواجهة ، بل مداورة ، بانسياقنا وراء الحبّ .

ولكن اهتدائي هذا إلى المحبة ينطلق من اكتشافي أنّني محبوب (« أما نحن فإننا نحبّ لانه أحبنا أولًا » : ١ يوحنا ٤:١٩) . فاذا ما تيقنْتُ ، لا لفظيًا وذهنيًا فحسب ، بل بكل كياني ، أن هذا الوجود فيّ ، الذي تقلقني هشاشته ومعطوبيّته ، إنّما هو متجذّر في الله معطيه، وان الحنان الالهي يكتنفني كما تلفّ الشمس الأرض بنورها ودفئها ، فان ذلك يمدّني بثقة وطمأنينة لا أعود معهما محتاجًا الى الاستماتة في تأكيد ذاتي مهما كلّف الأمر ، بحقّ أو بغير حقّ . عند ذاك يصبح بإمكاني أن أواجه ، دون خشية من أن أتحطّم وأنهار ، حقيقة ضعفي وتقصيري ونقائصي وعيوبي وثغراتي ،

وبالتالي أن أتقبّل برحابة صدر، ولو آلمتني، تلك الملاحظات والانتقادات التي تأتيني من الآخرين والتي أنزع، كما قالت أنجليك، إلى رفضها، دفاعًا عن هشاشتي وحماية لها. لأنني أختبر في ذاتي، وسط متاعب الحياة ومضايقاتها، بعضًا من هذا السلام العميق الذي وعدنا الرب به (« سلامي أعطيكم (...) لا تضطرب قلوبكم ولا تفزع.»: يوحنا ١٤:٢٧)، والذي سعى إليه، بكل جوارحهم، كبار الروحيين، في تراثنا المسيحي الشرقيّ، حتى إنّهم تَسَمَّوا به وعُرفوا بال « هدوئيّين ».

ألحلقة رقم ٥١

إجتماع السبت ١٩٩٧/٤/٢٦

ألموضوع: خبرات في عيش القيامة في حياة الفرقة

صادف وقوع هذا الاجتماع يوم السبت العظيم (« سبت النور »)، وهو اليوم الذي اختارته فرقة « نور الراعي الصالح » عيدًا لها تحتفل به سنة بعد سنة. كان المرشد، من هذا المنظار، قد اقترح على الفرقة، منذ نحو شهر، أن يخصَّص اجتماع اليوم لعرض خبرات شخصية حول عيش القيامة في الفرقة. حينها وافق الاعضاء، مع شعورهم بصعوبة الموضوع ورهبته.

وقد تعاطينا، في اجتماع اليوم، كما كان مُتَّفقًا، تبادل خبرات حول هذا العنوان: « هل أُتيحَ لي أن أَختبر بعضًا من القيامة من خلال حياتي في الفرقة؟ ».

إفتتح المرشد هذا التبادل بمقدّمة ذكر فيها أن المسيح هو قيامتنا **منذ الآن** حسب قوله لمرتا، ردًّا على انتظارها حلول القيامة في اليوم الأخير: « أنا هو القيامة والحياة » (يوحنا ١١:٢٥)، وأن قيامته تطلق فينا **اليوم**، إن أردنا، ديناميّة نهوض واقتدار وتحرّر وانطلاق (تعبّر عنها الافعال الثلاثة الواردة في الأمر الذي شفى به يسوع

الرجل الكسيح عند البركة الغنميّة: «قم (النهوض) واحمل سريرك (الاقتدار) وامشِ (التحرّر من الشلل، والانطلاق): يوحنا ٥:٨)، وأننا، بهذه الدينامية، نواجه مشقّات الحياة ومآسيها، كما ونتصدّى للانهيار الروحيّ، وأن قوة القيامة هذه انما هي، إلى أن ينفجر نهار اليوم الأخير، يوم تجديد الكون، في صراع مع العتمة على أشكالها. ثم دعا أعضاء الفرقة إلى التعبير عما اختبروه من هذا الصراع في حياتهم في الفرقة. وطلب أن لا تُسَجَّل المداخلات كي يبقى ما نقوله بيننا وبين الرب.

وقد تكلّم كلّ من أنجليك وإيلي وإيلان ورُلى ح. وحبيب، أي شبه كليّة الحاضرين، فأدلوا بخبرات اختلطت فيها الأنوار والظلال، الانتعاش والركود، الغنى والافتقار، وبدا من وجوه هذا الاخير: اكتساب للمعلومات دون نموّ للحياة الروحية، تماسّ مع القداسة في الفرقة وليس خارجها.

وكانت المداخلة الأخيرة للمرشد، ففتح قلبه للفرقة كما لا يفتحه إلّا نادرًا جدًّا. تحدّث عن مأساة مرضه وعن اختباره القيامة في عمق المأساة، وعن اتّخاذ هذه الخبرة شكلًا محسوسًا من حين إلى حين، ومنها عند تسلّمه إرشاد الفرقة، إذ شارك في قيامتها، وكان ذلك، بالنسبة إليه، ينبوع فرح ونضارة فجَّرَهُ الله في صحرائِهِ، وعطاءً بهيًّا افتقد به فقره. ثم تطرّق إلى فشل مشروع «الصداقة»، التي تمنى إقامتها مع أعضاء الفرقة عبر لقاءات شخصية معهم تعوّض ما أمكن عن المشاركة في نشاطاتهم

الجماعية. وذكر أن هذا الفشل حال بينه وبين متابعة دوره الإرشاديّ بشكل أكثر فعّالية، وانعكس، بالتالي، على الفرقة، تقهقرًا وتأزّمًا لا تزال تعاني منهما. الا أنّ ذلك، كما قال، لم يَخلُ على رداءته، من أثر ايجابي. فقد أدرك المرشد عبره، بشكل أفضل، أن الله إنما هو المرشد الحقيقي، وان قوة الله فاعلة في عجزه هو وفشله، وأن طاقة القيامة هي وراء كلّ ما يتاح له هو، على هشاشته، أن يقدّمه للفرقة من نور.

أضاف إنه يرى فعل القيامة في كل ما يلمسه في الفرقة من تجلّيات ومحاولات نهوض فرديّ وجماعيّ واعتراف بالضعف. وتمنّى أن نعيّد للقيامة بانفتاح كلّ منا على نورهاالمحيي، وإفساح المجال لها لكي تفعل فينا وتؤتينا الحلّ لما تعانيه الفرقة من تأزّم.

اختُتم الاجتماع بقطعتين من خدمة سبت النور، تلتهما أنجليك.

ألحلقة رقم ٥٢

إجتماع السبت ١٩٩٧/٥/٣١

ألموضوع: كيف نمدّ المسيحية إلى حياتنا كلِّها؟

تعاطت الفرقة هذا الموضوع انطلاقًا من السؤال المطروح التالي:

«كيف نستطيع أن نجعل المسيحية لا تقتصر على الصلاة والصوم الخ... بل تمتدّ إلى حياتنا كلِّها؟»

قدّمت إيلان للموضوع مستندة إلى مقالين سابقين كتبهما المرشد وصدرا في مجلّة «النور»، أولهما: «ما المقصود بالاهتمامات «الروحية» والاهتمامات «الدنيوية»؟» (١٩٨٥)، والثاني: «هل «الحياة الروحية» قطاع يُضاف الى سائر قطاعات الحياة؟» (١٩٨٦).

ثم تحدّثت أنجليك، فلاحظت الفصل الشائع، حتى عند الحركيين، بين ممارسة المسيحيّة، وبين الحياة. قالت: ان حياتي المسيحية تمتدّ، بالمحبة، إلى حياتي كلّها. وتكلّم نقولا، فلاحظ أن الفصل شائع بين الروح والجسد. وأضاف: يمكن أن نحيا كمسيحيين في أية لحظة من حياتنا، ولكن هذا يصطدم برأي

الكثيرين. واستشهد نقولا بعظة ألقاها المطران جورج خضر لمناسبة رسامة الأب بندلايمون، وقال فيها إن الأعمال التقوية إن هي إلّا تمارين على المحبة. وتحدثت أنجليك مجدّدًا، فقالت إن الصلاة يحسّها الكثيرون عبئًا. فعلّق المرشد بقوله إن ذلك قد يكون عائدًا إلى عدم ارتكازها على مجمل الحياة، ما يفقدها نكهتها.

وقدّم المرشد مداخلة ختامية قال فيها إن جوهر المسيحية إنما هو اللقاء مع الله، وإن هذا هو بيت القصيد في الموضوع. والله يملأ بحضوره الكون، فهو «المالئ الكلّ». بالتجسد ضمّ الله الكون إليه بشكل أوثق، في يسوع المسيح الذي اتّحد، في شخصه، الكون والله، كما يتّحد الحديد بالنار، فصار الكون هيكلًا لله وشبيهًا بالعليّقة الملتهبة التي لا تحترق (كما أن الكون لا يفْنى في الله مع أن الله حالٌّ فيه)، تلك التي شاهدها موسى وتجلّى الله له فيها.

ألعالم كلُّه مقدّس إذًا، لأنه دنيا الله. شرّنا وحده يدنّسه لأنه يحجب عنه حضور الله.

ليس حضور الله مقتصرًا على الأعمال التقوية كالصوم والصلاة، وإن كانت هي مجالات مميَّزة لذلك الحضور، أو هكذا يُفتَرَض أن تكون إذا عيشت على حقيقتها. فالحضور الإلهي يشمل سائر مرافق الحياة وأبعادها، اذا لم تستبعِده خطيئتي عنها. والخطيئة هي الانهماك بالذات الذي لا يترك لله مجالًا.

عكس الخطيئة هو الحبّ الذي به يملأ الله حياتي على اختلاف

جوانبها : « ألله محبة ، من أقام في المحبة أقام في الله وأقام الله فيه » (١ يوحنا ٤:١٦) .

ومن « أقام الله فيه » ، رافقه هذا الحضور الالهيّ ، سواءٌ أكل وشرب او لعب أو استراح أو صادق أو أَحبّ او تزوّج وربّى أولادًا أو درس او مارس مهنة أو تعاطى السياسة أو العلم أو الفكر أو الفن : « فاذا أكلتم أو شربتم أو مهما فعلتم ، فافعلوا كل شيء لمجد الله .» (١ كورنثوس ١٠:٣١)

على عكس ذلك ، إن كنتُ أصلّي وأصوم لأَنْصُبَ نفسي متفوقًا على الآخرين ، او لِأَبني لذاتي عالمًا صغيرًا ، مغلقًا ، آمنًا ، أرتاح إليه بعيدًا عن هموم الناس ومشاكلهم وبؤسهم ، لا يكون الله في صلاتي وصومي ، ولا يكونان ، بالتالي ، من المسيحية بشيء .

بالمقابل ، إذا ذَهبتُ في رحلة وشعرت ، خلالها ، بنعمة الله تلفّني وحنانه يغمرني عبر بهاء مناظر الطبيعة ، وعبر حيوية جسدي وتوثّبه ، فتصاعد الشكر من قلبي إليه ، وإذا انتبهتُ ، في هذه الرحلة ، إلى رفاقي وحاجاتهم ، واخذت بعين الاعتبار آراءَهم ، وحرصت على انشراحهم حرصي على انشراحي الذاتيّ ، كان الله في رحلتي ، وقدّسها بحضوره .

ألصلاة نفسها لا تنحصر في تلاوة الشفاه كلمات العبادة . يسوع أوصانا أن صلُّوا بلا انقطاع (لوقا ١٨:١) . وقد علّمنا الروحيّون الكبار ، ومنهم يوحنا السلميّ ، أن حياتنا تصبح صلاة

دائمة إذا كان الله أمامنا في كل حين ، وإذا كنا ابدًا مشدودين إليه بالشوق ، وإن كنا نسعى ، مهما كان نوع عملنا ، إلى لقائه ورضاه .

هكذا تكون المسيحية ، أو إنها لا تكون .

ألحلقة رقم ٥٣

إجتماع السبت ١٩٩٧/٦/١٤

ألموضوع : كيف يَفْنَى الجسد وهو هيكل الله ؟

موضوع هذا الاجتماع نبع ، على الأرجح ، من صدمة أليمة تلقّتها الفرقة ، وبنوع أخصّ بعض أعضائها ، من جراء وفاتَين حصلتا قبل حوالي شهر ، ولم يفصل بينهما سوى فترة يومَين ، وقد طالتا شخصين عزيزَين : « مدام رمزا » ، وهي سيدة متقدّمة بالسنّ ، وَرَد ذكرها في حلقة سابقة ، كان الشباب يحبّونها كأمّ ؛ وليليت ، وهي مرشدة سابقة للفرقة ، قضى عليها مرض طويل ، فرحلت قبل الأوان تاركة حسرة . ألموضوع ، إذًا ، لم يكن ذا منطلق نظري بحت ، بل كان صادرًا من أعماق الوجود والمعاناة .

تعاطت الفرقة الموضوع انطلاقًا من السؤال المطروح التالي :

« ألحياة بعد الموت : « أَلجَسد هو هيكل الربّ » فكيف يكون ذلك والجسد فانٍ يعود الى التراب بعد أن يأكله الدود ؟»

دار حوار شارك فيه نقولا وحبيب وأنجليك وإيلي . عبّرت أنجيليك – وأيّدها المرشد – عن حدّة التناقض بين فناء الجسد وبين

كونه مكانًا لحضور الله ، فيما حاول حبيب وايلي أن يُخَفِّفا ، كلّ على طريقته ، من حدّة المساءَلة . وأقرّت إيلان : هناك غموض عندنا لا يسمح لنا بتعبير كامل عن الموضوع . فيما اعترف إيلي : لو كنّا نعرف الكتاب ، لاستطعنا الجواب ، ولكننا نقرأ كل شيء ما عدا الكتاب .

وأبدى المرشد مداخلة ختامية ، طويلة نسبيًا ، أوضح فيها أن « الجسد »، بالمعنى الكتابي ، أي الكيان الإنساني الموحَّد ببعديه الجسديّ والنفسيّ المترابطين صميمًا ، إنما أُخذ من قماشة الكون (ما تشير اليه صورة « الطين » في تكوين ٢) ، ولكن شرارة إلهية ألقيت فيه (تشير اليها ، في النصّ نفسه ، نسمة الحياة التي نفخها الله في الطين الذي جبله ، في حين لم يُذكر أنه صَنَعَ ذلك لأيّ من أنواع الكائنات الحيّة الأخرى ، إذ يُكتفى عنها بقول : « وجبل الربّ الإله من الأرض جميع حيوانات البرّية وجميع طير السماء ...» : تك ٢:١٩) .

هذه الشرارة الإلهية التي امتزجت بترابيّته (والتي بسمّيها تكوين ١ « صورة الله » في الإنسان)، تميّزه عن سائر الكون وتشكّل لبّ الكيان الإنسانيّ وجوهره . من هذا اللبّ ، الذي يُسمّى « الروح » ، يشعّ الحضور الإلهيّ في الكيان كلّه ، فيصبح فعلًا هيكلًا لله (وقد اكتمل ذلك بتجسّد الكلمة وسيرته على الأرض وصليبه وقيامته وصعوده إلى السماء وإرساله الروح القدس ، إذ ، عبر كل ذلك ، بلغ التحام الله بالانسان ذروته) . ولكن هذا الهيكل ، إنما حجارته

مصنوعة من طبيعة مادة الكون، ولذلك فلا عجب في أن يطاله الزوال الذي هو شريعة الكون (فالشموس نفسها تنطفئ!).

وعندما يصيب الفناء ترابية هذا الكيان الإنساني، تتفكك عناصره وتعود فتختلط بمادة الكون، ولكن الله لا يزول عنه في ساعة زواله، لأن الله وفيّ لحبّه للانسان، وبسبب ذلك فإنه لا يتراجع عن المعيّة الحميمة التي أقامها معه: «نعم حتى ولو مشيتُ في وادي ظلّ الموت فإنّي لستُ أخشى شرًّا، لأنك أنت معي.» (مزمور ٢٢:٤). ولكن الحضور الإلهي ينسحب، إذ ذاك، إلى بؤرته، أي إلى لبّ الكيان، فيحفظ هذا اللبّ من الفناء، لان الموت لا يقوى على الله سيّد الحياة. فيخلد، بفعل الحبّ الإلهي، جوهر الكيان الإنساني بعد تفتّت ترابية هذا الكيان.

ولكن مصير الإنسان النهائيّ مرتبط بمصير الكون، لأنه تتويج هذا الكون الذي منه قد خَرَج (والذي يقول عنه بعض علماء الفيزياء الفلكية، وأولهم براندون كارتر ١٩٧٤، إنه يبدو وكأنه قد صُمّم ليظهر منه الإنسان في آخر المطاف). والله لا يزال يعمل منذ البدء في الكون، موجّهًا إياه بِخفَرٍ عبر نواميسه ودون اغتصاب طبيعته. هذا التوجيه يشهد به تطوّر الكون، عبر حوالي ١٥ مليارًا من السنين، نحو تصاعد متزايد في التركيب والتنسيق، وقد تواصل هذا التوجيه وبلغ أوجه بقيامة المسيح التي زَرَعت في الكون خميرةَ تَجدُّدٍ لا تزال عاملة فيه إلى أن يُعاد خلق الكون كلّه في اليوم الأخير. إذ ذاك سيتجدد أيضًا، مع الكون، الكيان الإنساني الذي

اليه ينتمي وهو زهرته، فيعود كيانًا مكتملًا، ببعديه النفسي والجسدي، إنما متجلّيًا كلّه هذه المرة بالنور الإلهي الذي كان سابقًا متمركزًا في ذروة الكيان وحسب. أمّا عندها فيغمر ذلك النور كل ذرّة من ذرّات الكيان، على صورة يسوع الناهض من بين الأموات، ويسطع فيه البهاء الإلهي بحيث لا يقوى عليه الموت في ما بعد.

ملحق

ألمواضيع الإيمانية كلّها، وربّما بنوع أخصّ موضوع هذا الاجتماع، لا تكتمل ولا توفى حقّها إلّا إذا صُبّت في مناجاة يستحيل فيها الحديث عن الله الى حديث اليه. لذا شئت ان أذيّل هذه الحلقة ببعض من صلاة تَلَوتُها في لقاءٍ صلاتيّ عُقد في بيت الحركة في طرابلس - الميناء، مساء ١٩٩٧/٦/٢٧، لذكرى «مدام رمزا» وليليت، وأخت ثالثة لنا تُدعى بَدْرَهْ تُوفيت في المهجر، في مقتبل عمرها، تاركة زوجًا وثلاثة أطفال.

مناجاة

١- يا ربّ،
إذا أَقبَلَ يَومُ اِنحسارِ عَطاياكَ عَنّا،
تِلكَ التي كُنّا نَحيَا بِها ونَتَحرَّك
في وُجودِنَا الأَرضيّ الراهن،

فَتهاوَى مَسكِنُنا التُرابيّ ،
وبَقِيَ عُمْقُ أَعماقِنا صامدًا وَحدَهُ ،
خالدًا بِمَحضِ فِعلِ حُبِّكَ ،
مُنتصِبًا أَمَامَكَ عاريًا
على أَنْقاضِ كِيانٍ
كانَ له مُرتَكَزًا وَمَأوى ،
فَسَربِلْ ، يا ربْ ، آنَذَاك ، عُرِيَنا
بِحُلّة من بَهائِكَ ،
واسْتُرْنا بِدَفئِكَ من صَقيعِ الفَراغْ ،
وكُنْ أنتَ لنا مَلاذًا ومأوى ،
إلى اليَومِ الذي تُرمِّمُ فيه تُرابِيَّتنا
وتجدِّدها بالقيامة
التي دَشَّنتَها سَحَر الفِصح
بِيَسوع الناهِضِ منَ الأَموات .
٢- يا ربّ ،
إذا انطفأَتْ فينا وحَولنا
الأنوارُ التي أشعَلَها وِدُّكَ لِبَهْجَتِنا ،
واكتَنَفَتْنا عَتْمَةُ الفَناء ،
وغابَتْ حَلَاوةُ دُنيَاكَ عَن ناظِرنا ،

فَلْيُشرِقْ في الظُّلمَةِ آنذاك
ضِياءُ وَجْهِكَ عَلَينا ،
فَيُغنينا عَن الأنوارِ كُلِّها ،
لأَنَّهُ مَصدَرُها وكمَالُها وحَقيقَتُها ،
إلى اليَومِ الذي تُعيدُ فيه
خَلْقَ عَينَينا الترابِيَّتين
لِتَفتَحَهُما ، في آخِرِ الأَزْمِنَةِ ،
مُنْبَهِرَتَين ،
عَلى فَجْرِ الكونِ الجَديد .

ألحلقة رقم ٥٤

إجتماع السبت ١٩٩٧/٦/٢١

ألموضوع : تأمّل في نصّ « كن صديقي » (سعاد الصباح)

النصّ

١- كُنْ صديقي.
كُنْ صديقي .
كم جميل لو بقينا أصدقاء
إن كلّ امرأة تحتاج أحيانًا إلى كفّ صديق ...
وكلام طيّب تسمعه ...
وإلى خيمة دفء صُنعت من كلمات
لا إلى عاصفة من قبلات
فلماذا يا صديقي
لستَ تهتمُّ بأشيائي الصغيرة
ولماذا ... لستَ تَهتَمُّ بما يرضي النساء ؟
٢- كُن صديقي .

كُن صديقي .
إنني أحتاجُ أحيانًا لِأَن أمشي على العشب معك
وأنا أحيانًا لأن أقرأ ديوانًا من الشعر معك ...
وأنا – كامرأة – يسعدني أن أسمعك ...
فلماذا – أيها الشرقيّ – تهتمّ بشكلي ؟
ولماذا تُبصرُ الكحلَ بعينيّ
ولا تُبصرُ عقلي ؟
إنني أحتاج كالأرضِ إلى ماء الحوار .
فلماذا لا ترى في مِعصَمِي إلا السوار ؟
ولماذا فيك شيء من بقايا شهريار ؟
٣– كُن صديقي .
كُن صديقي .
ليس في الأمر انتقاص للرجولة
غير أن الرجل الشرقيّ لا يرضى بدور
غير ادوار البطولة ...
فلماذا تخلط الأشياء خَلطًا ساذجًا ؟
ولماذا تدّعي العشق وما أنت العشيق ...
إن كلّ امرأة في الأرض تحتاج إلى صوت ذكيّ ...
فلماذا تُهمِل البُعدَ الثقافيّ ...

وتُعنى بتفاصيل الثياب ؟

٤- كُن صديقي .

كُن صديقي .

أنا لا أَطلُبُ أن تعشقني العشق الكبير !...

لا ولا أطلب أن تبتاع لي يختًا ...

وتهديني قُصورًا ...

وتعطيني مفاتيح القمر

هذه الأشياء لا تسعدني ...

فاهتماماتي صغيرة

وهواياتي صغيرة

وطموحي أن أمشي ساعات ... وساعات معك .

تحت موسيقى المطر ...

وطموحي ، هو أن أسمع في الهاتف صوتَك ...

عندما يسكنني الحزن ...

ويُبكيني الضجر ...

٥- كُن صديقي .

كُن صديقي .

فأنا محتاجة جدًّا لميناء سلام

وأنا مُتعبَةٌ من قصص العشق وأخبار الغرام

وأنا مُتْعَبَةٌ من ذلك العصر الذي
يعتبر المرأة تمثال رُخام.
فتكلّم حين تلقاني ...
لماذا الرجل الشرقيّ ينسى،
حِينَ يلقى امرأة، نصف الكلام؟
ولماذا لا يرى فيها سوى قِطعةِ حَلوى ...
وزغاليل حمام ...
ولماذا يقطف التفّاح من أشجارها؟...
ثم ينام ...

د. سعاد الصباح (شاعرة كويتية):
في البدء كانت الأنثى، ص ٧-١٢،
دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٩٤.

* * *

هذا النصّ الجميل، الذي ازداد رواجه بعد أن لُحِّن وغنّته ماجدة الرومي، اقترح المرشد أن يُؤخذ موضوعًا لتأمّل الفرقة، في حين أننا ننطلق عادة، في تأمّلاتنا، من مقطع كتابيّ. وبرّر اقتراحه هذا بقوله إن الروح الإلهيّ، الذي يوحي الكتاب المقدّس، لا ينحصر ضمن دَفَّتَيْه، بل يُلهم أيضًا ما هو حقّ وخير وجمال في المقولات البشريّة. ومنها هذا النصّ لسعاد الصباح الذي يعبّر

عن أصالة تتجلّى فيها صورة الله الكامنة في الإنسان.

ومما يلفت النظر أن بعض فتيات الفرقة، كما سوف نرى، انطلقنَ تلقائيًا من العلاقة الأصيلة بين الرجل والمرأة، التي يدعو إليها ويتلهّف لها هذا النصّ، ليتحدّثن عن الإلفة التي يختبرنَها بينهنّ وبين الرب، وكأنهنّ، بذلك، يُعدن اكتشاف ما عبّر عنه نشيد الأنشاد من صلة وبين حبّ الرجل والمرأة وحبّ الله للإنسان - علمًا بأن الفرقة كانت قد أطلّت على هذا السِّفر الكتابيّ منذ نحو شهر، عندما تعاطت مقطعًا منه (نشيد ٥:٢-٥) بتجاوب منقطع النظير.

* * *

تعاطت الفرقة إذًا مع هذا النص الشعريّ. فقالت أنجليك إنها تتجاوب في العمق معه، في دعوته إلى إقامة علاقة معها تتجاوز المظهر والصورة، وتهتم بشخصها، وتأخذ عقلها بعين الاعتبار. وأضافت إن الحوار بين الرجل والمرأة والحوار مع الرب، مترابطان، وكلاهما ضروريّ لتوطيد العلاقة.

وقالت إيلان إن غاية الشاعرة أن تجد رجلًا تحكي معه، تمشي معه، وهي أشياء بسيطة، إنما تُشعر الشخص باهتمام الآخر به وبأنهما سوية وبالمعية. أضافت: في علاقتي بيسوع، الأمور البسيطة لها أهميتها. وقالت: أنا محتاجة إلى «ميناء سلام» تتحدث عنه الشاعرة. ميناء السلام الوحيد هو الرب يسوع.

فعلّق المرشد على جملتها الأخيرة بقوله: صحيح أن الربّ هو ميناء السلام المطلَق الوحيد، ولكن هناك ميناء سلام يكون لنا أيضًا من خلال بعضنا البعض، وهو ليس غريبًا عمن هو ميناء سلامنا الاساسيّ، بل نتلمّس عبرَهُ شيئًا من حضوره وحلاوتِه.

قالت رُلى ح. إن الرجل الشرقيّ يركّز خصوصًا على جسد المرأة ومظهرها، والرب يسوع موجود بروحه مع كل شخص.

وقال إيلي إن النصّ يعكس ما يجري بالواقع، ولكن ما يطلبه من صداقة خالصة يصعب تحقيقه. فَعَقّبَتْ ايلان على ذلك بقولها إن العلاقة العاطفية بين شاب وفتاة يجب ان تكون **أيضًا** صداقة.

وعزا إيلي إلى الإسلام سمات «المجتمع الشرقي» الذي يتحدث عنه النصّ. فأجاب المرشد إن النظرة المُشَيِّئَة الى المرأة كانت تعمّ الشرق والغرب قبل مائة عام. وإنه لا يمكن أخذ الدين وحده هنا بعين الاعتبار، بل هناك أيضًا نمط قراءة هذا الدين، الذي قد يتأثر بعوامل اجتماعية لا تمتّ إلى جوهره بصلة. من هنا التفاوت الصارخ بين الدونية التي أُخضعت لها المرأة في المسيحية التاريخية، وبين الموقف المحرّر الذي نرى يسوع يقفه منها. ثم إن نظرة التيارات الأصولية الإسلامية نفسها إلى المرأة تتباين بين واحد منها والآخر – فشتّان بين تحجيم المرأة في الوهابية أو عند الطالبان الأفغان، وبين المكانة النسبية التي تحظى بها لدى إسلاميّي ايران.

وقال الياس إن العلاقة الزوجية لا تستقيم بدون صداقة، وإن ما تصفه الشاعرة إنما هو رجولة مزيّفة.

* * *

في مداخلته الختامية، أبرز المرشد فكرتين أساسيتين قرأهما في النص:

١- تأكيد الاتصال الوجدانيّ والمشاركة والتبادل والمعية (« إنني أحتاج أحيانًا لأن امشي على العشب **معك**، وأنا أحيانًا لأن أقرأ ديوانًا من الشعر **معك**... وطموحي أن أمشي ساعات... وساعات **معك**، تحت موسيقى المطر...»)، والكلام، الذي يعبّر عن كل ذلك («وأنا - كامرأة - يسعدني أن أسمعك... فتكلّم حين تلقاني...»)، بدل الاقتحام والاستيلاء الذي يُعتبر، عن غير حقّ، «بطولة»، في حين أنه، بالفعل، يعطّل الحبّ ويمسخه إلى امتلاك، بينما حقيقته هي ان يكون لقاءً وَوِصالًا («لماذا تدّعي العشق وما أنت العشيق...»)، فلا تبقى منه إلّا مظاهر أُفرغت من معناها (القبلات تصبح «عاصفة» ينمُّ عنفها عن عدوان خفيّ، بدل أن تكون لغة تعبّر عن حميميّة اللقاء).

٢- تأكيد اعتبار الآخر ذاتًا يُهتَمّ به من أجل نفسه، وتراعى رغباته الذاتية واهتماماته وهواياته وحاجاته بدل ان يُختزل في صورة يرسمها الغرور عنه ولا تنطبق على واقعه («هذه الأشياء كلها تسعدني... فاهتماماتي صغيرة... وطموحي هو أن أسمع في

الهاتف صوتك ... عندما يسكنني الحزن .. ويبكيني الضجر »).
ذاتًا يخرج الشريك إليها، متجاوزًا حدود ذاته وحتى حدود جنسه
(« لماذا ... لستَ تهتمّ بما يرضي النساء؟ »)، بدل أن يذيبها في
رغبته، معتبرًا إيَّاها مجرَّد بدنٍ يُشتهى، ويُزيَّن، لهذا الغرض، بِما
يبرز مفاتنه من الملابس والحلى (« فلماذا (...) تهتمّ بشكلي (...)
ولا تبصر عقلي؟») ، وتحفة نفيسة (« يعتبر المرأة تمثال رخام »)
تُغدق في سبيل امتلاكها، الهدايا الفاخرة (« لا أطلب أن تبتاع لي
يختًا ... وتهديني قصورًا ...») وطعام شهيّ يُستهلك (« ولماذا لا
يرى فيها سوى قطعة حَلوى ... وزغاليل حمام ...») ويغيَّب بعد
أن يقضي الرجل منه حاجته (« ولماذا يقطف التفاح من
أشجارها؟... ثم ينام ...»)، كما كان شهريار، بطل ألف ليلة
وليلة، يستهلك امرأة كل ليلة إلى أن التقى بشهرزاد (« ولماذا فيك
شيء من بقايا شهريار؟ »).

من هنا أن الحبّ لا يستقيم فعلًا إلّا إذا اقترن بالصداقة، كما
أشار الياس وإيلان، لأن هذه وحدها تخوّله أن يقيم كل الوزن
لذاتية الشريك، وان يعطي مركز الصدارة للّقاء الوجداني بينهما.
وتلعب المرأة، كما يشير هذا النصّ، من حيث هي امرأة وبالنظر
الى خصائص أنوثتها، دورًا مميَّزًا في إحلال تلك الصداقة، وفي
الحفاظ عليها، ضمن ثنائي couple الحبيبين، لأن من شأن المرأة أن
تلطّف وتهذّب اندفاع الرجل إلى الامتلاك والاقتحام. و« الرجل
الشرقي »، كما تنوّه شاعرتنا، معرّض بشكل أخصّ إلى الاسترسال

في ذلك الاندفاع، نظرًا لكون تربيتنا الاجتماعية تنزع إلى إبراز المرأة كموضوع إغراء (عبر بدنها الذي يركّز عليه منذ اول عمرها، بقصد «تَسْويقِها» للزواج، ويُقمع، بآن، حفاظًا على «الشرف»)، بدل التركيز على عقلها («لماذا تبصر الكُحْلَ بِعَيْنَيَّ ولا تبصر عقلي؟») وسِماتِها الشخصية وإنسانيّتها.

ملحق

الأعجوبة علامة ونبوءة

قراءة للأعجوبة في ضوء علاقة الله بالكون

تقديم

هذا، بالأصل، ملحق أعددتُه لموضوع تطارحته مع الفرقة حول «خوارق العهد القديم» (راجع الحلقة رقم ٢٠ من هذا الكتاب). وَقْتَها وعدتهم بأن يكون للموضوع تكملة توضح إمكانية الأعجوبة. ولكن الأيام مضت دون أن يتحقق الوعد، لأننا سهونا عنه وانشغلنا بمواضيع أخرى. ولدى إعدادي الكتاب الحاضر، كان لا بدّ لي من تذكّر الوعد الذي بقي معلّقًا، فعزمت على أن أعمل على سدّ هذه الثغرة، وأن اقدّم، في هذا المجال، الذي يطرح معاصرونا حوله كثيرًا من التساؤلات، اجتهادًا يستند إلى التراث الإيماني بالطبع، ولكنه يستلهم أيضًا معطيات العلم الحديث في تقصّيه الجريء والمتعاظم لأسرار نشوء الكون وتطوّره، وهي معطيات من شأنها، برأيي، أن تساعد المؤمن على إدراك أفضل لعلاقة الله بالكون، ولعملية الخلق ومقاصد الخالق منها، عبر تأمّله في ترجمات هذه العملية في الواقع الراهن، كما يرصدها العلم اليوم.

من هنا أنني وجدت هذا الملحق، الذي نويتُ أصلًا أن يأتي كتكملة لأحد الفصول، يتشعّب ويتضخّم حتى أصبح جزءًا مكتملًا من الكتاب، ألحقته به وأفردت له القسم الأخير منه. وقد كنت مرتاحًا لهذا العمل، على ما تطلّبه مني من جهد، لأنه مكّنني، ليس فقط من تلبية

انتظار أحبائي أعضاء فرقة « نور الراعي الصالح » ، وأمثالهم الكثر من الشباب الذين تشغلهم مسألة العلاقة بين المعرفة العلمية والإيمان ، بل وأيضًا من العودة إلى هاجس كان قد رافقني منذ شبابي ، حين بدأت علاقتي الإرشادية بالشباب وهمومهم ، وألهَمَ أول مؤلفاتي (كتاب « ألسُبل إلى الله » - الذي كان ينقل نصّ حديث ألقيته على جمهور من الشباب سنة ١٩٥٦- وقد صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٨، وطبعة رابعة موسّعة له سنة ١٩٨٦) . وقد وجدت في الفصل الجديد الذي نحن في صدده ، فرصة لكي أغني أَدائي السابق في هذا الحقل بحصيلة ما اكتسبته وتعلّمته (محفوزًا دومًا بمهماز إِحتكاكي بالشباب) عبر تأملاتي ومطالعاتي وما تيسّر لي من متابعة لقفزة العلم المذهلة في تقصّيه أفق المجهول .

وفي الوقت الذي أُقدّم به - خصوصًا الى الشباب ، الذين رافقتهم منذ شبابي ولا أزال - هذه المحاولة ، أكرّر العبارات التي سجّلتها ، سنة ١٩٥٨، في مطلع كتابي « السبل الى الله » . قلتُ حينذاك : « لست بفيلسوف ولا بلاهوتي ولذلك فليست لي الكفاءة لأفي هذا الموضوع حقّه .» إقراري هذا لا يزال يصحّ اليوم . لذا أرجو أن لا يُحمل هذا النصّ على غير محمله وأن يؤخذ على أنه مجرد محاولة يقوم بها مؤمن لفهم ايمانِهِ بشكل أفضل (عملًا بوصية الرسول : « إفهم ما أقول » : ٢ تيموثاوس ٢:٧) سعيًا إلى عيشه بشكل أفضل ، مقتنعًا بأن الانفتاح على المعرفة البشرية (التي هي أيضًا من الله تنبع في آخر المطاف) إنما هو أحد السبل لبلوغ هذا الهدف .

أوّلًا : علاقة الله بالكون

● لماذا توجد الأشياء في حين أنه كان ممكنًا أن لا توجد ؟

إنّ تأمُّلنا في وجود الكون يطرح علينا سؤالًا جوهريًا ، ألا وهو : لماذا هناك شيء موجود ؟ فالأشياء كلّها ، التي يتألف منها الكون ، اذا أخذناها بحدّ ذاتها ، رأينا أنه ليس من البَدَهيّ والضروري والمفروض أن تكون موجودة ، في حين انه من البَدَهيّ والضروري والمفروض أن تتعادل مثلًا كميّتان إذا كانت كل منهما تعادل كمية ثالثة . لذا قال المفكّرون منذ القديم إن الأشياء الراهنة إنما هي « ممكنة الوجود » وليست « واجبة الوجود » . هذا ليس على صعيد المنطق فحسب ، إنما توحي به أيضًا ملاحظة واقع الأمور : فالأشياء حولنا تأتي وتذهب وتتغيّر ، تنشأ وتتحوّل وتزول . فليس لها بالتالي وجود ثابت وضروري يفرض ذاته فرضًا . لا بل إِن العلم الحديث كشف لنا أن أثبت الأشياء في الظاهر ، كالجبال والبحار والشموس ، كان وقت لم تكن موجودة فيه ، وأنها ، كما نشأت في زمن ما ، فهي قابلة للزوال في زمن آخر (فالشموس مثلًا ، بما فيها شمسنا ، تنطفئ تدريجيًا ، وإن استغرق ذلك زَمَنًا يبدو شاسعًا اذا ما قيس بمدّة الحياة البشرية) . حتى الذرات ، التي يتألف منها

نسيج الكون ، لم توجد منذ البدء ، لا هِيَ ولا حتى الجزئيات التي تتكوّن منها هذه الذرات ، كالبروتونات والإلكترونات .

كل ما يتألف منه الكون ، كبيرُه وصغيرُه ، ليس إذًا موجودًا بالضرورة ، موجودًا لأن لا بدّ من وجوده . وهذا ما يقودنا إلى طرح السؤال : لماذا هو اذًا موجود بدل أن يكون غائبًا : ما هو سرّ وجوده ؟ فإن كان ، كما رأينا ، لا يستمدّ هذا الوجود من ذاته ، من ضرورة ذاتية لا يملكها ، إذًا لا يبقى إلّا أن يكون مستمِدًّا وجوده من غيره . هكذا فالكون كلّه ، بمجمل عناصره التي ، كما رأينا ، لا تستمدّ وجودها من ضرورة ذاتية ، يستمدّ وجوده حكمًا من غيره ، من غير الكون ، من كائن متميِّز عن الكون ، منه وحده تستقي الأشياء مبرّر وجودها . هذا الكائن ينبغي أن يكون ، من ناحيته موجودًا بالضرورة ، موجودًا بحدّ ذاته ، وإلّا احتاج هو أيضًا الى تبرير لوجوده وبقي سرّ وجود الأشياء مغلقًا . أما إذا كان « واجب الوجود » ، فيصبح مفهومًا كيف يُتاح به للأشياء الممكنة الوجود أن تنوجِد ، كيف تتحوّل به إمكانية وجودها إلى وجود فعليّ . من هنا أن الكائنات تستمدّ وجودها واستمرارها في الوجود - وذلك في كل لحظة وليس ، كما قد نتصور ، في مجرَّد زمن مضى - من ذلك الكائن « الواجب الوجود » ، الذي نسمّيه « الله » .

من هذا المنظار يبدو لنا الوجودُ كله أعجوبة ، إنجازًا يستدعي الدهشة والانبهار ، لأنه موجود في حين كان بالامكان أن لا يكون

موجودًا. إنها «**العجيبة الكبرى**»، كما يسمّيها الفيلسوف الأرثوذكسي الدكتور أديب صعب (راجع كتابه «المقدّمة في فلسفة الدين»، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٩٢).

• ما هو سرّ انتظام الموجودات بدل عشوائيتها؟

هذا ونتوصّل إلى استنتاج مماثل إذا تساءلنا عن سرّ النظام الذي يسود ظواهر الكون كلّها، من أصغرها حجمًا إلى أكبرها، ويجعلها مسيَّرة بنواميس ثابتة، لولاها، ولولا اكتشافه إيّاها باستمرار، لما كان العلم ولما كانت المنجزات التكنولوجية التي يؤدي اليها تطبيقه. فكما ان الوجود يحتاج إلى تفسير أخير، كذلك هو الأمر بالنسبة للنظام الذي نقرأه فيه. ألسؤال الذي يفرض ذاته هو: لماذا هناك نظام وليس فوضى؟ وإن قيل إن هذا النظام نابع من الكون نفسه وليس بحاجة إلى تفسير آخر، نسأل: هل يُعقل أن يكون لهذه المجموعة الهائلة من الذرّات التي يتألف منها الكون، فكر يجمع شملها وينظّمها وينقذها من العشوائية والتبعثر ويجعل تفاعلاتها تندرج في إطار قوانين ثابتة؟ أم إن النظام الذي يلفّ الكون ويسيّره بدقّة عجيبة، يشير بالأحرى إلى عقل مدبّر يتعهّد الأشياء كلّها، تلك التي هو بآن العلة الدائمة لوجودها، بحيث تستمدّ منه باستمرار لا الوجود فحسب بل الترتيب العقلاني أيضًا الذي يضبط هذا الوجود ويجعل منه أعجوبة مزدوجة؟

● ألخلق عملية دائمة

ليست علاقة الله بالكون إذًا علاقة خارجية ، على شاكلة علاقة الإنسان بما يصنعه من أدوات وآلات ومساكن وأعمال فنيّة وما شابه ذلك . إذ إن هذه المنجزات تصبح كلّها ، اذا ما ظهرت إلى حيّز الوجود ، خارجة عن كيان مبدعها ومستقلة عنه وموجودة بحدّ ذاتها . أما الكون فهو ، في كل لحظة ، مرتبط في الصميم ، من حيث كيانه ، بالله خالقه ، ومستمِدّ وجودَه نفسه ، وحقيقته ، من هذا الارتباط ومنه وحده . ألله إذًا نبع الكون الدائم التدفّق وقلبه ومحوره . إنه علّة وجوده ليس في زمن مضى وحسب ، بل بشكل دائم . وقد عبّر الرسول بولس عن ذلك بصيغة بالغة الدقّة والعمق إذ قال ، مستلهمًا أحد شعراء الإغريق الأقدمين : « به نحيا ونتحرّك ونوجد » (أعمال ١٦:٢٨).

● إرتباط صميم وتمايز بآن

فإذا كانت علاقة الكون بخالقه صميمة بهذا المقدار ، كان هناك احتمال لِأنْ يذوب الكون في الله ، أي لِأَنْ يصبح وجوده مجرَّدَ امتداد وظلّ للوجود الإلهي . ولكن الله لم يشأ ذلك ، لأنه محبة ، والمحبة لا تلغي المحبوب بل تقيمه وتدعمه في وجوده الذاتي . لذا اراد الله للكون أن يكون متمايزًا عنه ، أي أن لا يكون في الله وحسب ، بل بإزاء الله أيضًا ، أي متمتعًا حياله بما يشبه الاستقلال الذاتي . بحيث إن الله حاضر في الكون كل الحضور –

لكي يتسنى للكون أن يوجَد - ومتوارٍ عنه بآن - كي يتسنّى للكون أن يتمتع بوجود فعليّ، وليس بشبه وجود، أي أن يكون متمايزًا عن خالقه وطرفًا في علاقة يقيمها هذا الخالق معه.

هذا ما عبّر عنه التراث اليهوديّ الصوفيّ، المسمّى بـ «القبلانية» (Kabbale) بمفهوم «الانسحاب» الإلهي (tsismtsoum) الذي يقابله في تراث الكنيسة الشرقية مفهوم «إمّحاء» الله (Kenosis) أمام الكون لكي يوجَد هذا فعلًا(*). هذا ما توحي به أيضًا صورة العلّيقة الملتهبة وغير المحترقة التي تراءى الله فيها لموسى وخاطبه، حسبما ورد في سفر الخروج: «فنظر فإذا العلّيقة تتوقّد بالنار وهي لا تحترق» (خروج ٣:٢). فكما أن النار كانت تلهب العلّيقة دون أن تبيدها، هكذا فالحضور الإلهي (والنار ترجمة مميّزة له في سجل تصوّرات النفس البشرية) يملأ الكون ليوجده ويحييه، ولكنه لا يبتلعه ويلغيه بل يحفظ له وجوده الذاتي. فالكون موجود في كل لحظة بفعل الله، ولكنه موجود

---

* راجع:

* Olivier CLÉMENT: La vérité vous rendra libre. Entretiens avec le patriarche oecuménique Bartholomée 1er (1996), Ed. Marabout, 1999, pp. 269-270.

Bertrand VERGELY: La souffrance. Recherche du sens perdu (1997), Paris, Gallimard, Folio-Essais, n° 311, p. 234.

Marc-Alain OUAKNIN: Regards croisés, ACTUALITÉ DES RELIGIONS, Paris, n° 2, février 1999, p. 48.

ككون وليس كامتداد لله . وإذا عدنا إلى التمييز الآبائي الذي بلوره غريغوريوس بالاماس في القرن الرابع عشر ، قلنا إن الله يملأ الكون بـ « طاقاته » ، ولكنه ينسحب منه في « جوهره » المتميّز كلّيًا عن الكائنات . هكذا فالوجود الذي يستمده الكون أبدًا من الله يخوّله أن يتحرك ويتصرف ، ليس كأنه مجرد صدى لله ، بل بموجب جوهره الخاصّ ، طبيعته المخلوقة بنواميسها الذاتية الثابتة التي بامكان العلم أن يستكشفها وأن يؤسس عليها نظرياته وأن يسند إليها توقّعاته وتنبّؤاته .

● الشرّ نتيجة محدوديّة الكون

طبيعة الكون المتمايزة هذه ، محدودة لا محالة ، لأن الكون الممكن الوجود ، ليس امتدادًا لطبيعة الله المطلقة ، الكاملة ، اللامحدودة ، بل هو كيان لا يخرج في كل لحظة من العدم إلّا بفعل مشيئة الله . محدودية الكون هذه هي التي تفسّر ، في آخر المطاف ، وجود الشرّ على نوعيه : ألشرّ الطبيعي (البراكين والزلازل والفيضانات والأمراض ...) والشرّ المعنوي (الذي يشمل كل الانحرافات التي يؤذي الإنسان بها ذاته وسواه) . والله يعاني من الشرّ أكثر منا بما لا يقاس ، لأنه الخير المطلق والمحبة اللامحدودة ، ولكنه ارتضى هذه المعاناة مذ شاء أنْ يوجِد كونًا بإزائه ، وأن لا يفرض عليه كمالًا فوريًا مصطنعًا يقتحمه ويغتصب طبيعته . لقد شاء ، بالخلق ، أن يحدّ من إرادته الإلهية الكلية الاقتدار . هذا ما اشارت اليه عبارة سفر الرؤيا عن « الحَمَل المذبوح

منذ إنشاء العالم» (رؤيا ١٣:٨) . كما أشار إليه هذا النصّ المذهل لأحد آبائنا ألعظام، مكسيموس المعترف (القرن السابع) : «رأفةً منه، يأخذ الله على نفسه آلام كل واحد. إنه، حبًّا، يتألم، بصورة يحتجز علينا إدراكها، وحتى نهاية العالم، من ذات الالَم الذي يعاني منه كلّ منا.»(*)

● فِعلُ الله في الكون متواصل وخَفِر...

ولكن تواري الله النسبيّ هذا، لا يعني بحال من الأحوال غيابه، أو حتى ابتعاده، عن الكون الذي به، وبه وحده، يثبت في الوجود. إن موقع الله من الكون هو، إذا صحّ التشبيه، موقع النَفَس من الجسم، هذا النَفَس الذي يحيي كل خَلِيّةٍ من خلاياه. لا يمكننا أن نتصوّر أن الله اكتفى بإطلاق الكون في الوجود ثم تركه يتحرك لوحده، مكتفيًا بمراقبته من الخارج وبالتدخّل فيه بين الحين والحين. إذ ذاك نكون خلطنا بين علاقة الله بالكون وعلاقة الإنسان بمصنوعاته. أما الحقيقة فهي أنه، كما أن عمل الخلق عمل مستمرّ، كذلك فعل الله في الكون متواصل، وقد أشار يسوع إلى ذلك بقوله: «أبي حتى الآن يعمل وأنا أعمل» (يوحنا ٥:١٧). إنما نجد هنا أيضًا ازدواجية الحضور والتواري التي تتسم بها علاقة الله بالكون. أي إن عمل الله في الكون ليس اقتحامًا له وقولبة

---

* Maxime le Confesseur: Mystagogie, 24, cité par Olivier CLÉMENT, La vérité vous rendra libre..., op. cit., p. 8.

يفرضها عليه، ولكنه فعل خَفِر يتوسّل عناصر الكون وخصائصها ونواميسها وتفاعلاتها، ويعمل، من خلال كل ذلك وفي احترام كلّيّ لهذه الموجودات وميزاتها، على دفع الكون قُدُمًا بدون اي اغتصاب لذاتيته.

● ... يتجلّى في الخطّ الارتقائي الذي سلكته مسيرة الكون ...

هذا ما يتبيّن لنا إذا ما استعرضنا تاريخ الكون عند الانفجار المعروف بـ big bang الذي أبرزه إلى الوجود منذ نحو ١٥ مليارًا من السنين، وتأملنا في الشوط الهائل الذي قطعته مادّته، انطلاقًا من حالتها الاولى حيث كانت تقتصر على المقوّمات البدائية للذرّة، وهي المعروفة بالـ quarks، وصولًا إلى الدماغ البشري الذي يفوق بما لا يقاس، بتركيبه الذي هو آية في التعقيد، أكثر الأدمغة الالكترونية دقة وإحكامًا، والذي يسعه، من جرّاء ذلك، أن يستعيد ويستوعب، بحجمه الصغير، مسيرةَ الكون كلّها؛ إذا تأملنا ذلك كلّه، يتبيّن لنا أن الكون سلك، عبر هذا الزمن السحيق الذي انقضى على وجوده، خطًّا تصاعديًّا بدأ العلم يتبيّن معالمه بجلاء منذ القرن الماضي فسمّاه خطّ «التطوّر» أو «النشوء والارتقاء». هذا الخطّ عبارة عن سير متواصل الاتجاه، رغم تشعباته، سلكته المادة نحو قدر متزايد من التجميع والتكثيف والتركيز والتعقيد والتنسيق، ما سمح ببروز تركيبات لها متعاقبة، أكثر فأكثر رقيًّا وتنظيمًا، من العناصر الأولية (كالبروتون والالكترون والنترون)،

إلى تكتّل هذه العناصر في ذرّات خفيفة (كالهيدروجين) ثم في ذرّات ثقيلة ، إلى الجُزَيئات التي تجمع الذرات في وحدات بسيطة ، الى الجُزَئيات الضخمة المعقَّدة التي تتكوّن منها المواد العضويّة ، إلى الخليّة الحية التي تندمج ضمنها هذه الجُزَيئات الضخمة وفق هندسة تنسيقية عجيبة تجعل من هذه الوحدة المِجْهَرِيَّة الحجم كيانًا متفوّقًا ، من حيث تركيبه ، على أضخم الشموس ، الى تجمّع الخلايا البسيطة لتؤلّف كائنات متعدّدة الخلايا انطلقت بها الحياة إلى تحقيق أنواع أكثر فأكثر رقيًا ، إلى ظهور الجهاز العصبي ، وهو الأداة الأساسية للتنسيق والتركيز ، اللذين بلغا ذروتهما في الدماغ البشري الذي توّج المسيرة بقدرته على وعي المادة التي آلت اليه والتحكّم بها وفقًا لأغراضه .

● ... والذي يفترض توجيهًا إلهيًا لا يقفز فوق المادّة بل يتناولها من الداخل ...

هذا الشوط الارتقائي الهائل اجتازته المادة بموجب كيانها الذاتيّ ، أي بفعل خصائصها ومواصفاتها ونواميسها وتفاعلاتها . كل ذلك شأن العلم ، والعلم وحده ، أن يستقصيه ويَجْلُوَه ، وهو يفعل ذلك تدريجيًا . انه ميدانه ، ومن العبث إقحام الله في هذا السياق ، كما كان يروق لبعض المتدينين ان يفعلوا ، إذ كانوا ينسبون إلى تدخّل إلهيّ مباشر كل ما كان العلم عاجزًا مرحليًا عن تفسيره ، فيلوذون بالله لسدّ ثغرات المعرفة البشرية في مجال هو مجالها . كان هذا التصوّر لله كَسَادٍّ لثغرات العلم Le Dieu

bouche - trou مهينًا للعلم ولله على حدّ سواء، وكان يوحي خطأً بتقهقر مجال الله في كل مرة يتوصل فيها العلم إلى احتلال موقع من ميدانه لم يكن قد شغله بعد.

ألله لا يُضاف إلى العوامل الطبيعية، كأنه رديف لها، لا يعمل إلى جانبها ليعوّض عن نقصها ويملأ فجواتها، إنه حاضر في قلبها، في صميمها، في أساسها، لأنها إنما به، وبه وحده، توجد وتفعل، كما سبق ورأينا. بالتالي فهو فاعل من خلالها، بالالتحام والاندماج بها، موجّهًا إياها من الداخل، دون أيّ تهميش لها أو انتقاص من كيانها. إنه «**الإله الخفيّ**» كما تقول طقوس اسبوع الآلام، «الأب الذي في الخفاء» كما سمّاه يسوع في الإنجيل (متى ٦:٦ و١٨).

هذا التوجيه الخفيّ، الخَفِر، يتجلّى في ذلك الخط التصاعديّ الذي انتظم به الكون، بدءًا من تبعثره وهشاشته الأوَّلينَ، ووصولًا إلى التركيز والطاقة المذهلَين اللذين يتمتع بهما دماغ بشريّ قادر على إدراك خط التطوّر هذا بمراحله وتفاصيله، وعلى تعهّده ومتابعته عبر مشروع إنسانيّ.

● ... كون الصدفة لا تكفي وحدها لتفسيره ...

ذلك أنه من الصعب أن نفترض أن هذا الانتظام في مسيرة الكون الارتقائية - ولو ان صُدَفًا مؤاتية لعبت دورًا أكيدًا في إحقاقه، كما حصل مثلًا عبر التحوّلات الايجابية التي طرأت اتفاقًا

على الجينات الوراثية وآلت إلى تطور الأنواع - كان مجرد وليد صدفة عشوائية، طبيعتها أن لا تستقرّ على حال او توجّه، بل تتقلب مفاعيلها على غير هدًى فتدمّر اليوم ما بنته بالأمس، ناهيك من كونها عاجزة، بحد ذاتها، عن إقامة تنسيق وتضافر بين ما تنتجه اتفاقًا. من الصعب أن نقتنع بأن مجرد تفاعل الضجيج يكفي ليفرز، صدفةً، كل أنواع موسيقى الحياة، كما يدّعي العالم Jacques Monod صاحب كتاب «الصدفة والضرورة»، الذي لو صدق زعمه، لاضطررنا إلى التسليم بأن العبثية كانت أساس أرقى انتظام، كما لو ان أخطاء متوالية ارتَكَبَها نسّاخ ينقلون بعض النصوص، اتسقت صدفة فيما بينها فأدّى مجرّد تراكمها العشوائي إلى تأليف كتاب عبقريّ المعاني، بهيّ الأسلوب ....

ليس إذًا في الأمر مجرّد مصادفة، بل هو وليد برمجة وتخطيط. إنما هي برمجة مَرِنة، خفيفة الظلّ، تترك للمادة عفويتها المترددة ومحاولاتها المتنوعة، وللصدفة حصتها التي لا يُستهان بها. فإذا كان في الأمر برمجة، من يكون المبرمج؟ هل تكون المادة قد برمجت لنفسها، يا تُرى، الخطّ التصاعدي الناجح الذي سلكته؟

● ... وكونه لا يُعقل أن تبرمِجَ المادةُ نفسَها

من الصعب ان نسلّم بأن فتات المادة السابحة في فضاء البدايات، وما كان يحرّكها ويتحكّم بها من طاقات آليّة عمياء، كانت تتحلّى بفكر حريّ بأن يرسم لمسيرتها خطًّا يقودها في معارج الترقّي وينتقل بها من منتهى التبعثر إلى ذروة التركيز والتنسيق.

وحده الله ، الذي هو سرّ وجود عناصر الكون ، هو بآن سرّ انتظامها التصاعديّ المذهل .

● نعرف اليوم أنّ شروط هذا الخطّ الارتقائي مسجّلة منذ البدء في مادة الكون

ثم إنّ هذا الحضور الخفيّ الذي به يوجد الكون ويرتقي ، يتجلّى لنا اليوم بقرينة إضافية ، وهي ما تبيّنه العلماء منذ نحو ثلاثين عامًا ، من أن السمات الأولية التي ظهر بها الكون عند انطلاقه (مثلًا : كثافة مادته في الاصل) ، والثوابت الفيزيائية التي يستند إليها مجمل تحرّكه (كقوة الجاذبية التي تشدّ عناصره بعضها الى بعض ، وقوة تماسك نواة ذارّته ، وقوة تماسك كل ذرّة إلخ ...) ، ان هذه الشروط الأولية والثوابت ، محسوبة بإحكام ودقة عجيبين كي تتآزر على تمكين الكون من اجتياز شوط يقوده حتمًا إلى بروز مادة مرتّبة ثم الحياة ، ثم الإنسان في آخر المطاف ، في حين أنه، لو تبدّل ولو شيء بسيط في المقاييس التي أتينا على ذكرها ، لما كان تطوّر الكون الارتقائي ممكنًا ولما ظهر إنسان قادر على أن يعي ذلك التطوّر . فمثلًا لو زادت قوة الجاذبيّة ، ولو قليلًا ، عن قياسها الراهن ، لتوقّف تمدّد الكون ، قليلًا بعد ابتدائه ، ولكان الكون انهار على نفسه واحترق . أمّا لو تدنّت تلك القوة ، ولو بمقدار قليل ، عمّا هي عليه، لتسارَعَ انبساط الكون بحيث تتبعثر مادّته ولا يُتاح لها ان تتجمع في افرانٍ شمسيّة تُتابع فيها مسيرة التركيب والتركيز التي تعدّ للحياة لِبَنَاتِها . وكأنّ الكون مخطّط له لِيُتوَّج بظهور

الإنسان . هذا ما أطلق عليه عالم بريطاني في فيزياء الفلك يُدعى Brandon Carter، سنة ١٩٧٤، اسم « المبدأ الانتروبيّ » Principe anthropique (من اليونانية « أنتروبوس » ، التي تعني الإنسان) ، وهو اسم نظرية علمية تصادف تجاوبًا واسعًا بين علماء اليوم ، ومن كبار مناصريها Trinh Xuan Thuan، عالم الفيزياء الفلكية الفييتامي الأصل والأستاذ في جامعة فيرجينيا في الولايات المتحدة ، الذي دافع عن هذه النظرية في كتابه الشهير « النَغم الخفيّ » La mélodie secrète، الصادر سنة ١٩٨٨.

هذا ، بالطبع ، ليس برهانًا علميًا على وجود الله . فالله ليس شأنًا يثبته العلم أو يَنْفيه . انه أعظم وأشمل من ذلك . ما أتينا على ذكره هنا هو مجرد إلتقاط حظي به علم اليوم لآثار الله وبصماته في خليقته . إنه ما تراءى للمعرفة العلمية من تلك « العجيبة الكبرى » التي تذهل المؤمن إذا ما تأمل في سرّ الكون .

واذا دقّقنا في سمات هذه « العجيبة الكبرى » ، كما تتأكد للمؤمن عبر اطّلاعه على ما لاحظه العلم من أن الكون يبدو وكأنه مخطَّطٌ له كي يُبرز الانسان ، رأينا ان هذا التخطيط لم يُفرض فرضًا من الخارج ، بإرادة إلهية تغتصب الموجودات في سبيل تحقيق أغراضها . ذلك أن ظهور الإنسان لم يصبح ممكنًا إلّا بعد أن اجتازت المادة ، بفعل خصائص منطَلَقِها وثوابت طبيعتها ، شوطًا طويلًا جدًا (امتدّ على مليارات السنين) ومتشعّبًا ومتعثّرًا ، وكأنها تتلمّس طريقها عبر محاولات متفاوتة النجاح ، ما قادها ، في آخر

المطاف، إلى تخطيّ ذاتها بشكل مذهل، وذلك بإبراز كائن خارج منها ولكنه قادر على وعيها وإدراكها. ألتخطيط الإلهي كان إذًا فاعلًا هنا بخَفَر كبير، إنما بفاعلية أكيدة، عبر تلك المسيرة التطوريّة، الطويلة والعسيرة. هذا هو نمط الفعل الإلهي في الكون.

● محطّتان حاسمتان في ارتقاء الكون: «قفزة الحياة» و«قفزة الفكر»

في هذا الخط التصاعديّ، الموجّه من الداخل بخَفَر وفاعلية إلهيين، يجدر بنا أن نتوقف الآن عند محطَتين، شكّلت كلّ منهما منعطفًا حاسمًا في تطوّر الكون، علّنا نستجلي، من خلالهما، طبيعة «الأعجوبة»، إذا اخذناها هذه المرة بمعناها الحصريّ، معنى الحادثة الخارقة. هاتان المحطتان هما ما يمكن تسميته: «قفرة الحياة»، تليها «قفرة الفكر».

* «قفرة الحياة»

فمنذ ثلاثة مليارات ونصف من السنين، برزت الخلايا الحيّة الأولى نتيجة للتطوّر الطويل الذي سبقها ومهدّ لها. كان بروزها – المتواضع جدًا في الظاهر نظرًا لضآلة حجمها المجِهريّ – ثورة عارمة بدّلت وجه الكون. ألخليّة الحية وليدة مسيرة امتدّت على أكثر من ١١ مليارًا من السنين، ووريثة تلك المسيرة التي قادت كما ذكرنا – بفعل التفاعلات التي كانت تتوالى في المصانع الهائلة التي شكّلتها أفران الشموس، ثم في رَحِم المياه التي غطّت كوكب

الأرض بعد تكوّنه قبل أربعة مليارات ونصف من السنين – من الذرّات البدائية الخفيفة وصولًا الى الجُزيئات الضخمة المعقّدة التي تتكوّن منها الموادّ العضوية التي هي خامات الحياة. فالخليّة الحيّة إنْ هي إلّا تجمّع مكثّف جدًّا يضمّ ملايين من تلك الجُزئيات المغرقة في التعقيد التي أتينا على ذكرها. ولكن التجمّع هذا ليس مجرّد تراكم لتلك العناصر، بل إنه آية في التركيز والتنسيق في ما بينها، أسفرت عن بروز نمط من الوجود، جديد بالكلّيّة، ألا وهو الحياة.

ذلك أنه، بظهور الخليّة الحيّة، ورغم حجمها الجرثوميّ، قفزت المادة إلى مرتبة لم تكن قد بلغتها في أضخم الشموس، وهي تكوين عالَم مركزه في ذاته، ينطلق من ذاته ليتفاعل مع البيئة المحيطة ويسخّرها لتلبية حاجاته وتحقيق أغراضه. وهذه وتلك إنما هي أن يستمرّ في البقاء، أن يحتمي من الأخطار، أن ينمو ويتكاثر، أن يُصلح ما يطرأ عليه من خَلَل.

تلك هي «قفرة الحياة» انطلاقًا من المادة الجامدة. أمّا اذا تقصّينا النواميس التي ترتكز عليها هذه القفزة، فنرى أنها نفس نواميس المادة السابقة دون زيادة أو نقصان، أي إن المادة الحية لا تزال تخضع لكافة النواميس الفيزيائية والكيميائية التي تسري على المادة الجامدة، وإنها لا تخالفها بشيء، إنما هي تتعامل معها بطريقة جديدة تسخّر بها تلك النواميس لبلوغ طور من أطوار الوجود جديد بالكلّيّة .

* ترقّي الحياة

وتطوّرت الحياة بدورها . فبعد الخلايا الأولى – وكانت مفردَة كالبكتيريا – انقضت فترة طويلة جدًا ، امتّدت على نحو ثلاثة مليارات من السنين ، قبل ان تتعلّم الحياة أن تتجمّع في كائنات مركّبة ، متعدّدة الخلايا ، ظهرت للمرة الأولى منذ ٦٠٠ مليون (فقط !) من السنين ، بشكل « قناديل البحر » (méduses) الباقية إلى يومنا . ثم تسارعت الأمور بعد هذه البدايات الصعبة ، فتطورت الكائنات البدائية المتعددة الخلايا ونتج عنها ، على مرّ الزمن ، كائنات حية تتمتّع بقدر أكبر فأكبر من الرقيّ والقدرة والاستقلالية :

* فمنذ ٥٠٠ مليون سنة ظهرت أولى الأصداف والقشريات .
* ومنذ ٤٠٠ مليون سنة بدأت الأسماك .
* ومنذ ٢٠٠ مليون سنة ظهرت الطيور والزحّافات .
* ومنذ ١٠٠ مليون سنة برزت الثدّييات
* من هذه الفصيلة ظهرت قبل ٧٠ مليون سنة رتبة « المقدّمات » أو « الرئيسات » primates.
* التي تفرعّ منها القردة منذ ٢٠ مليون من السنين .
* في حين أن فصيلة من هذه « الرئيسات » وهي الـ hominidés، اتجهت ، قبل ٤ ملايين عام ، في منحى إنساني

* أدّى إلى بروز الإنسان قبل مليونَي عام.

● « **قفزة الفكر** »

ببروز الإنسان هذا (وقد تزامن مع بلوغ الدماغ أقصى نموّه، متوّجًا بذلك التصاعدَ المتزايدَ لهذا النموّ عبر تسلسل الأنواع الحيوانيّة – كما تزامن مع بلوغ الجسم الحيّ ذروة تركيبه، إذ يجمع وينسّق لدى الإنسان مائة مليار من الخلايا الحية)، حصل منعطفٌ جذريّ ثانٍ في مسيرة التطوّر، تلا وأكمل « قفزة الحياة ».

بإمكاننا أن نطلق على هذا المنعطف تسمية « قفزة الفكر ». فبالقفزة الأولى أنتج الكون كائنًا يتمتع باستقلال ذاتيّ عن محيطه. أما بموجب القفزة الثانية، فقد أنتج كائنًا بلغ لديه الاستقلال الذاتيّ حدّ تمايز وجدانيّ عن الكون يسمح له بأن يعي خصوصيته ككائن قائم بإزاء الكون، ويعي، بالمقابل، خصائص الكون القائم بإزائه، إلى حدّ أنه صار بمقدوره أن يتقصّى تدريجيًا تلك الخصائص التي يتميّز بها الكون، وأن يكتشف النواميس التي تسيّره، وأن يتحرّى ماضيه ويتوقّع مستقبله، ما يسمح له بتسخير هذا الكون لتحقيق أغراضه على نطاق يزداد اتساعًا بمقدار ازدياد معارفه ومداركه.

أمّا إذا تأمّلنا في كيفية ارتباط « قفزة الفكر » هذه بما سبقها، فنجد أنه، كما ان « قفزة الحياة » لم تتنكّر لنواميس المادة الجامدة بل حافظت عليها كما كانت، وارتكزت عليها لتخطو إلى الأمام، عِبْرَ تعامل معها بنمط جديد وخلّاق، كذلك فإن « قفزة الفكر » لم

تتنكّر للنواميس البيولوجية التي هي نواميس المادة الحيّة بل أبقت عليها واستندت إليها، وبنوع أخصّ إلى ما بلغه الدماغ لدى الإنسان من تعقيد وتنسيق بالغَين في تركيبه ووظائفه، لترتفع بها الى مستوى جديد بالكلّيّة، هو مستوى الوجدان المفكِّر المتأمّل conscience réfléchie.

● في كِلْتا القفزتَين، لا معارضة لنواميس المادّة بل الارتقاء بها إلى صعيد جديد...

هكذا يتضح لنا أن عجيبة الخلق الدائمة («العجيبة الكبرى» كما سمّاها د. أديب صعب)، لم تتخذ، في منعطفين حاسمين لها، وهما إبراز الحياة وإبراز الفكر، شكل معارضة لنواميس الطبيعة، كما هو شائع في تصوّر الأعجوبة، ولكنها حافظت على تلك النواميس وارتكزت على خصائصها، إنما تعاملت معها بشكل مبدع سمح للنواميس المذكورة ببلوغ صعيد جديد يستند اليها ويتجاوزها بآن. فالحياة امتداد للمادة وتجاوز لها بآن، والفكر امتداد للحياة وتخطٍّ لقدراتها بآن.

● ... كما هي الحال في وجوه الإبداع الانسانيّ

هذه الجدلية عينها، جدلية الإمتداد والتجاوز، نشهدها إذا ما تأملنا المجال الذي فتحته «قفرة الفكر»، ألا وهو مجال تعامل الانسان، الخلّاق، مع الكون. فميزة الإنسان هي أنه قادر على تغيير وجه الكون ليضفي عليه وجهًا إنسانيًّا، دامغًا إيّاه بطابعه

الفريد، تاركًا عليه بصماته. ولكنه لا يستطيع تغيير وجه الكون إلّا إذا أخذ بعين الاعتبار، إلى أبعد حدّ، واقع هذا الكون وخصائصه ليَصُوغ بها أحلامه. لا بدّ له أن يراعي مقاومة الأشياء لأمنياته، وأن يحسب لهذه المقاومة كل الحساب، حتى يتسنّى له أن يحتال عليها، اذا صحّ التعبير، لتحقيق تلك الأماني. إنه، إذا جازت الصورة، يستخدم قوة التيار ليسبح ضدّه.

هذا هو سرّ المنجَزات المذهلة التي حققتها ولا تزال الحضارة البشرية. فقد حوّل الإنسان مجرى الأنهار خدمة لمصالح الريّ وتوليد الطاقة، وجعل من الصحاري القاحلة جنائن غنّاء، وحلّى مياه البحر ليشرب منها ويسقي مزروعاته، وحوّل الليل إلى نهار بالضوء الصناعيّ لتيسير حياته وأعماله، وحلّق في الأجواء على متن أجسام ثقيلة متحدّيًا قانون الجاذبيّة، ومَخَر البحار بمراكب أثقل من الماء، وعاش مع الاسماك في عمق البحار، وتحرّر من جاذبيّة الأرض فاخترق الفضاء الشاسع الفاصل بين الكواكب، واستنبط فصائل جديدة من النباتات والحيوانات، وقَضَى على عدد من الأوبئة الفتّاكة مستخدمًا أذى الجراثيم لصيانة نفسه منها، وأطال باطّراد متوسط عمره...

كل ذلك يبدو للوهلة الأولى انتهاكًا لنواميس الكون، ولكنه، في الواقع، مجرّد تعامل مُبدِع ومُنَسّق معها، يوازن ويحيّد بعضَها بالبعض الآخر، ويؤول بها، من جرّاء ذلك، إلى ما لم يكن ممكنًا أن تصل إليه لو تُركت لتلقائيّتها.

• هكذا تُسخَّر حتمية النواميس لتفجير حرّيّة تبلغ في الانسان كلّ مداها

هكذا فإنّ تأمّلنا في محطتين أساسيتين من عجيبة الخلق، كما تتجلّى في مسار الكون، أعني بهما «قفزة الحياة» ثم «قفزة الفكر»، هذا التأمل كشف لنا أن الفعل الإلهي، الذي يستند إليه أبدًا هذا المسار، إن من حيث وجوده أم من حيث انتظامه وتوجّهه التصاعديّ، لم يخالف، في كلتا الحالتين، إلّا في الظاهر، نواميس الطبيعة، بل ارتكز عليها بالأحرى ليرتفع بها إلى صعيد أرقى، تبقى فيه هي هي، ولكنها تندرج في إطار جديد وتعمل بموجب نمط لم تألفه من قبل.

أما إذا شئنا أن نحدّد خصائص هذا النمط، وأن نبيّن فرادته، فيمكننا أن نلخّصه بأنه بروزُ مَزيدٍ من الحرية في نسيج الكون. فظهور الحياة سجّل بروز كائن، مرتبط من جهة بمحيطه ارتباطًا شديدًا، يغتذي من عناصره ويستمرّ بفضله في البقاء، ويخضع لكافة مؤثراته، ولكنّه، وإلى جانب ذلك كلّه، وهنا الأمر الجديد، قادرٌ على تسخيره، إلى حدّ ما، لخدمة أغراضه وحاجاته. هذه الفسحة من الحرّيّة تعاظمت مع ترقّي أشكال الحياة، وما رافقه من تزايد استقلال الكائنات عن بيئتها (مثلًا لدى تمكّنها من الاستغناء عن المحيط المائي الذي كانت تحتمي به، أو لدى اكتسابها حرارة ذاتية ثابتة مع تَقَلُّب حرارة البيئة الخارجية) وقدرتها على التحكّم بها (خصوصًا بفضل نموّ الجهاز العصبيّ).

إلى أن بلغ هذا التحرّر أوجه مع ظهور الفكر الذي قفز بفضله الكائن الحيّ قفزة نوعية بالغة الأهمية من حيث تمايزه عن الكون وقدرته على التحكّم بظواهره عِبر إدراكه الذهني لمقوّماتها ونواميسها . وكأنَّ الفعل الإلهي الخلّاق كان يوجّه المادة ، بتمهّل وتؤدة وخَفَر ، عبر النواميس والثوابت المسجّلة فيها ، إلى تجاوز حتميّة هذه النواميس ، والإطلال على عالم من الحرّيّة بلغ ذروته في الإنسان ، وأُلقيت على هذا الأخير تبعة توسيعه اللامتناهي ، عبر دَمْغِ الكون ، بشكل متعاظم ، بطابعه الفريد ، طابع الحرية ، الذي يجعل منه « صورة الله » ، على حدّ تعبير الكتاب ، و« خليفته في الأرض » ، حسب منطوق القرآن .

ثانيًا : طبيعة الأعجوبة

● ماذا الآن عن الخوارق؟

هكذا فإنّنا، إذا ما تقصّينا مسار الكون وتأملناه بعين الإيمان المستنير بمعطيات العلم، نشهد قفزة متعاظمة نحو الحرية، يتخطى بها الكون ظاهر نواميسه، انما بفضل تلك النواميس عينها وبفعل أَدائها، ليفتح صفحة جديدة من وجوده ويتوغّل أكثر فأكثر في رحابها. ذلك هو الوجه الأبرز من «العجيبة الكبرى» التي يتألف منها الخلق، والتي هي عجيبة «اعتيادية»، إذا صحّ التعبير، ما لا يعني أنها ليست مذهلة إلى أبعد حدّ لمن فَطِنَ الى التأمل فيها، ولكننا ألفناها إلى حدّ أنها صارت تبدو لنا من عاديّات الأمور ولم تعد تثير فينا ما تستحقّه من دهشة واستغراب.

هنا تأتي العجائب، بالمعنى الحصريّ الخاصّ الذي تتّخذه هذه الكلمة في تداولها المألوف، تأتي هذه العجائب أو المعجزات لتوقظنا من غفلتنا وتضعنا وجهًا لوجه أمام كنه الأشياء الذي تناسيناه، وتَضطرنا إلى طرح تساؤلات مصيريّة تنطلق من طبيعة هذه الخوارق وتعليل حدوثها، لكنها لا تقف عند هذا الحدّ لأنها سرعان ما تمتدّ لتتناول الكون والله والعلاقة بينهما. إذ ذاك تنقلب إلى «آيات»، كما يسمّيها إنجيل يوحنّا، أي إنها تتحول إلى علامات تشير إلى ما

هو أبعد منها وأعمق، وتضحي لغة معبّرة تحكي عن سرّ الوجود.

● الخوارق في الانجيل وفي عصرنا

ألإنجيل حافل بهذه الخوارق، مع أن يسوع كان يأنف من اجتراحها إذ كان يعتبر كلامه الآية الدامغة لهداية الناس («صدّقوا قولي (...) أو صدّقوني من أجل تلك الاعمال»: يوحنا ١٤:١١). ويبدو لمن يطالع الإنجيل بتمعّن أنه انما كان يصنع المعجزات اضطرارًا، رأفة منه بالنفوس المستعصية ليساعدها على الانفتاح على النور الإلهي («إذا لم تَرَوا الآيات والأعاجيب لا تؤمنون!»: يوحنا ٤:٤٨)، وتحنّنًا على المصابين بالأمراض والعاهات ليمدّهم بالعافية والقدرة والشفاء («... رأى جمعًا كثيرًا، فتحنّن عليهم وشفى مرضاهم»: متى ١٤:١٤).

واستمرّت هذه العجائب في الكنيسة، التي هي امتداد يسوع في تاريخ البشر، وجرت على يد المقرَّبين منه، خصوصًا من أُعْطِيَ منهم موهبة اجتراحها. وهي لا تزال تظهر في أيامنا وتحيّر الذهنية العلميّة التي يتّسم بها إنسان اليوم. أودّ هنا التوقّف، على سبيل المثال، عند العجائب التي سُجّلت في مزار «لورد» Lourdes في فرنسا، بعد ظهور العذراء فيه منذ نحو قرن ونصف، وذلك بسبب ما رافق ويرافق تسجيل هذه المعجزات من رصد عِلْميّ دقيق ومتأنٍّ.

في أواخر تشرين الأول ١٩٩٣، عُقد في مدينة «لورد»، مؤتمر شاركَ فيه سبعمائة طبيب، بدعوة من كلّ من «المركز الكاثوليكي

للأطّباء الفرنسيين » ومن « جمعية لورد الطبيّة العالمية » . كان موضوع المؤتمر : « أشفية ومعجزات » . وبالمناسبة أُعلن بيان عن الأشفية التي سُجّلت في مزار « لورد » (الذي يرتاده كل سنة أربعة ملايين من الحجّاج) طيلة ١٣٥ عامًا ، والتي رصدتها اللجنة الطبيّة الدوليّة منذ تأسيسها سنة ١٨٨٣. في هذه الفترة الزمنية أُعلن عن ستة آلاف حادثة شفاء ، ولكن اللجنة الطبيّة المذكورة لم تُثبت سوى ٢٠٠٠ منها ، استنادًا إلى معيارين : دوام الشفاء من ناحية ، واستحالة تفسيره على الصعيد الطبيّ من ناحية ثانية . هذه الحالات التي أثبتها التحليل الطبّي ، تناولتها بعد ذلك المراجع الكنسيّة الكاثوليكية بالتمحيص من حيث ارتباطها بنوعية عيش الإيمان لدى الأشخاص الذين حصلت لهم ، وبناء عليه لم تؤكّد المراجع المذكورة سوى ٦٥ منها على انه يمكن اعتبارها « عجائب » بالمعنى الصحيح . وقد أضيفت إليها مؤخرًا حالة رجل يُدعى Jean-Pierre BÉLY، شُفي في ٩ تشرين الأول ١٩٨٧، من مرض في الجهاز العصبي معروف باسم sclérose en plaques، ولم تعترف الكنيسة الكاثوليكية بالطابع العجائبي لشفائه إلّا بعد ١٢ سنة ، أي في مطلع ١٩٩٩. وقد صرّح هذا الإنسان أن شفاءه إنما كان بمثابة ايماءَة حنان من الله اليه "un clin d'oeil de Dieu" (*)

---

* راجع :

* L'ACTUALITÉ RELIGIEUSE DANS LE MONDE, Paris, ñ 116, 15 novembre 1993, p. 6.
* ACTUALITÉ DES RELIGIONS, Paris, n° 4, avril 1999, pp. 6 et 9.

• هل الخوارق تناقض بالحقيقة نواميس الطبيعة ...

ألعجائب ، بهذا المعنى الأخير ، كيف يمكن تصوُّرها ؟

إذا عدنا إلى الظواهر المدهشة التي أتينا على ذكرها عند استعراضنا ما دعوناه « قفزة الحياة » و« قفزة الفكر » ، والتي يمكن تسميتها « عجائب » بالمعنى الواسع للعبارة ، نرى أنها لم تعارض بالفعل نواميس الطبيعة بلِ استندت اليها ، انما بشكل جديد وغير مألوف ، تغيَّر به وجه الكون . أمّا ما نحن الآن بصدده ، فهو من باب الخوارق ، أي إننا أمام ظواهر لا تكفي لتعليلها نواميسُ الطبيعة ، مهما دقّقنا في تحليل تفاعلاتها في ضوء ما هو متاحٌ لنا حاضرًا من إمكانيات معرفيّة ، وهي تبدو تاليًا ، لا بالظاهر فحسب ، بل في حقيقة الواقع ، تجاوزًا لتلك النواميس .

ولكن لا شيء يحتّم أن يكون هذا التصوّر نهائيًا . فقد تكون هذه الظواهر التي تبدو شاذّة ، أكثر انسجامًا مع نواميس الطبيعة مما نظنّ ، وأكثر شبهًا مما نتصوّر بالظواهر « العجائبية » غير الخارقة التي أسلفنا ذكرها .

• ... أم هي بالأحرى من باب تحييد نواميس بفعل نواميس أخرى قد تخفى علينا ...

ولتبيان ذلك ، لننطلق ، على سبيل المثال ، من إحدى « عجائب » العبقرية البشرية ، تلك « العجائب » النابعة ، كما رأينا ، من « قفزة الفكر » . فلنأخذ الطائرة موضوعًا لتأملنا . لقد

كان الإنسان يحلم منذ القديم بالتحرّر من ناموس الجاذبيّة بحيث يحلّق في الأجواء كالطيور (ذلك هو مضمون قصة « بساط الريح ») . أمّا اول ترجمة فعليّة لهذا الحلم فقد تمّت له في أواخر القرن الثامن عشر (في ١٧٨٣ بالضبط) ، عندما فكّر باستخدام جسم مكوّن من غلاف منفوخ بغاز أخفّ من الهواء ، يحرّك بحجمه الكبير مقدارًا من الهواء يكفي لتوليد قوة رافعةً حَريّة بأن تحيّد الجاذبية التي تشدّ الجسم وراكبه إلى الأرض ، وان تدفع بهما إلى فوق . هكذا نشأت المناطيد (التي لا تزال تعرف رواجًا إلى يومنا) . ولكن تحييد الجاذبية كان على شيء من السهولة هنا ، بسبب خفّة وزن الغاز الذي ينفخ به المنطاد ويؤلف القسم الأكبر من حجمه . إلا أن الإنسان تنطّح بعد ذلك إلى ما هو أعسر ، لا بل إلى ما قد يبدو مستحيلًا ، ألا وهو التحليق في الجوّ على متن جسم أثقل من الهواء (لا بل يبلغ وزنه عدة أطنان إذا نظرنا إلى الطائرات الحاضرة مع حمولتها) ، فكان هذا بمثابة تحدٍّ سافر لناموس الجاذبية ، بكل عنفوانه هذه المرّة ، إذا صحّ التعبير . ولكن النبوغ الإنساني عرف كيف ينجح في مواجهة هذا التحدّي . وذلك بتجهيزه الجسم الطائر بأجنحة تسمح بتحليقه نظرًا لكون القوة الحاملة التي يمارسها الهواء على مساحتها تزداد بنسبة مربّع السرعة التي زُوِّد بها ذلك الجسم . هكذا قُهر ناموس الجاذبية مجدَّدًا بتسليط نواميس أخرى عليه كان من شأنها أن توازنه وتحيّده .

أما في العجائب التي نعتبرها خارقة ، فإننا لا نرى ما هو سرّ

تحييد النواميس المألوفة ، ولذا تبدو لنا هذه الظواهر شاذّة عن القانون الطبيعي العامّ ومناقضة لما نعرفه من نواميسه . ولكن هل نحن ملمّون فعلًا بكلّ خفايا الطبيعة وبمجمل العوامل المتفاعلة فيها ؟ إذا ما نظرنا إلى حدود العلم التي تزداد جلاءً كلّما تقدم هذا العلم واتّسع نطاقه ، أدركنا أننا ، وفقًا لقول الشاعر ، « عرفنا شيئًا وغابت عنا أشياء » ، وأن هناك ظواهر تبدو لنا مبهمة وغير قابلة للتفسير لأن جوانب هامّة منها لا تزال تخفى عن بصائرنا . وقد تكون الخوارق من هذه الظواهر ، وقد تكون هي حصيلة تفاعل النواميس التي نعرفها مع عوامل ونواميس لم ندركها بعد ، ولكن الله يعرفها لأنه مُمسِكٌ بالخيوط كلّها - إذ هي به توجد وتتحرّك - ولذا فهو قادر على أن يسلّط بعضها، الذي لا يزال خافيًا عنا ، على البعض الذي نعرفه ، وان يحيّد هكذا البعض الثاني بالبعض الأوّل بطريقة محجوبة بالتالي عن إدراكنا ، وصولًا إلى نتائج مذهلة لأعيننا ومحيّرة لأذهاننا .

● ... أو من باب الاعتماد على الثغرات التي كشفتها الفيزياء الحديثة في حتمية نواميس المادّة ؟

ومما يثبت أن الخوارق ، في حال حدوثها ، لا تتعارض حكمًا مع طبيعة المادّة ومع نواميسها ، هو ما كشفته الفيزياء الحديثة - خلافًا لفيزياء القرن الماضي - عن الدور الكبير الذي يعود إلى الصدفة في سلوك المادّة . وهو كان قد تراءى للعالِم العبقريّ أنشتاين ولم يسعه الرضوخ له كون ذلك كان يقلب كل مفاهيمه

رأسًا على عقب (من هنا كلمته الشهيرة: «لن أصدّق أبدًا أن الله يلعب مع العالم بزهر النرد»). إلّا أن «ميكانيك الكمّات» mécanique quantique، وهو أحد الفروع المتقدمة للفيزياء النووية الحديثة، قد أثبت حقيقته، اذ بيّن أن جزئيّات المادّة لا يمكن توقّع سلوكها الإفراديّ بشكل أكيد. بل إنّ كلّ ما يمكن توقّعه على هذه الصورة هو معدّل سلوكها إذا ما انتظمت في جماعات (مثلًا: في جمهور من ذرّات الكربون ١٤، لا يمكن بحال من الأحوال تحديد الوقت الذي سوف تتفكّك فيه هذه الذرّة أو تلك، إنما ما يمكن الجزم به هو معدّل عدد ذرّات هذا الجمهور التي سوف تتفكّك في غضون سنة واحدة أو مائة سنة أو عشرة آلاف سنة. أما هذه الذرّة أو تلك فبالصدفة قد تَتَفكَّك أو قد لا تتفكّك.

على الصعيد المجهريّ، لم تعد الحتمية تاليًا تنطبق على حالة بالذات، بل على معدّل من الحالات. لقد تحوّلت إذًا إلى مجرد حتميّة إحصائية، ما يشير إلى أن التنبؤ بما سوف يحصل من ظواهر الطبيعة لا بدّ وأن يأخذ بعين الاعتبار دور الصدفة هذا وما يخلّفه من إبهام (أبرزه ميكانيك الكمّات ودعاه "le flou quantique") قد يتحوّل بموجبه ما هو مبدئيًا بعيد الاحتمال من الوجهة الإحصائية (improbable)، الى حاصل فعلًا إذا ما توفّرت الظروف الملائمة لذلك.

ولنضرب على ذلك مثلًا يقدمه العالم Trinh Xuan Thuan. يقول إن طاقة الفرن الشمسي - التي لا حياة على

الأرض بدونها – تتولّد من التقاء بروتونات الهيدروجين الذي تتألف منه الشمس وانصهارها بعضها ببعض. ولكن هذا الالتقاء يخالف ناموسًا طبيعيًا راسخًا (الناموس الكهرومغناطيسي loi électromagnétique) يقضي بأن تتنافر البروتونات بدل أن تتلاقى، كونها مشحونة بكهرباء موجبة متماثلة. فكيف يحصل اللقاء اذًا والانصهار؟ ذلك أن الناموس الذي نحن بصدده، وإن انطبق بشكل حتميّ على معدّل البروتونات (أي إنه ناموس إحصائي كما أشرنا) لا ينطبق حكمًا عليها كأفراد. هناك اذًا احتمال وارد ابدًا لكي يتفلّت منه عدد من البروتونات. صحيح أن هذا الاحتمال ضئيل نسبيًا من الناحية الإحصائية، ولكن هذا الاحتمال، الضئيل بحدّ ذاته، يتكرّر باستمرار بفعل العدد الهائل من البروتونات التي تتكوّن منها الشمس (وهو $١٠^{٥٧}$، اي رقم «واحد» يليه ٥٧ صفرًا). هكذا، وبفعل هذه الصدفة، البعيدة الاحتمال، إنما المتكررة أبداً، يستمرّ اشتعال الفرن الشمسي، خلافًا للتوقّعات، ونستمرّ نحن تاليًا في الوجود!

فهل نعجب، والحالة هذه، إذا كان «الضابط الكلّ»، الذي يمسك بخيوط الكون كلّها، دون اغتصاب أو تجاهل لخصائصها، بإمكانه أن يلعب لعبته الإلهية، مرتكزًا الى الصدفة المسجّلة، كما رأينا، في صميم بنية المادة، ومفعّلًا هذه الصدفة بما يكتنفها من عوامل يعرفها ايضًا حقّ المعرفة ويضبطها باقتداره الكليّ، فينجح في إبراز ظواهر مميّزة لم تكن بالحسبان «ولا هي خطرت على قلب بشر» (١ كو ٢:٩)؟

ثالثًا: معنى الأعجوبة

● تصاعد الكون نحو الحرية يبدو وكأنه آل إلى طريق مسدود، من جرّاء الشرّ الطبيعي والإنساني...

والآن حان لنا أن نتساءَل ما هو مكان هذه الخوارق (وهي العجائب بالمعنى الحصريّ للكلمة) في سياق هذه «العجيبة الكبرى»، عجيبة الخلق الملازمة لوجود الكون وتطوّره منذ أبصر النور بـ «الانفجار الكبير» الذي حدث قبل مليارات السنين.

لقد رأينا أن التوجيه الإلهي - الخَفِر والفاعل بآن - رافق كلّ مسيرة الكون، على مدى تطوّره الطويل، قائدًا إياه، عبر محاولاته العشوائية في الظاهر وما صادفه فيها من تعثّر وإخفاق، الى قدر متزايد من الحرية، تجلّى اولًا في «قفزة الحياة»، ثم في «قفزة الفكر» والمنجزات الحضاريّة المتعاظمة التي أدّت إليها هذه القفزة الأخيرة وسمحت بها، والتي مكّنت الإنسان، وتُمكِّنُهُ أكثر فأكثر، من التفلّت من قيود المادّة ومن كافة المحدوديّات التي تكتنف وضعه البشري وتضيّق عليه الخناق وتكبّل انطلاقه في رحاب تحقيق ذاته، فرديًّا وجماعيًّا، على أكمل وجه.

ولكن الحرّيّة التي رافقت ظهور الإنسان وتنامت مع تطوّره الحضاريّ، لا تزال مشوبة بالكثير من القيود. فالإنسان لا يزال ينوء

تحت وطأة الكوارث الطبيعية الفتّاكة (من زلازل وفيضانات وغيرها) تضاف إليها نكبات ناتجة من منجزاته نفسها (كحوادث السير والطيران والمصانع والمفاعلات النووية) ولا يزال يعاني من المرض على أنواعه (ومنه أوبئة جديدة كالسيدا) ومن الشيخوخة وعجزها، كما أنه - وخصوصًا - يبقى أسير فَنائيّته التي تجعل من الموت المصيرَ المحتوم الذي يأتي، عاجلًا أو آجلًا، على البنيان الشخصي الذي أقامه بشقّ النفس، فيدمغ مسعى العمر هذا، الذي عقد عليه آماله وسقاه بعَرقه ودموعه، بطابع الفشل الأكيد. وبالإضافة إلى هذه الشرور الطبيعية، الناتجة عن محدودية طبيعة الكون، فهناك الشرّ المعنوي النابع من انحراف حرّيّة الاختيار الإنسانية، والذي لا يزال مستحوذًا إلى حد بعيد على الكائن البشري، ويشوّه باستمرار صورة الله فيه، ويعطّل فعلها المحيي، ويقود الإنسان إلى تدمير إنسانيته وإنسانية سواه (عبر التسلّط والظلم والاستئثار والاستغلال والعدوان) بل يجعل منه عاملًا أساسيًا في تدمير البيئة التي تحيط به والكوكب الذي يسكنه، من جرّاء جشعه ونهمه. هكذا يبدو وكأن الحركة التصاعدية التي لازمت تطوّر الكون وقادته في معارج الحرّيّة، قد آلت إلى طريق مسدود، إذا ما نظرنا إليها بالعقل المجرّد.

● ... ولكن الله افتدى الكون بارتمائه المذهل في مأساته ...

إلّا أن الإيمان له رؤية أخرى. فهو يختبر سِرًّا يذهل الإدراك قد انكشف لنا بيسوع المسيح، وهو أن الله نفسه قد ارتضى، لفرط

حبّه، أن ينحدر بنفسه إلى الكون الذي هو مبدعه، وأن يُتحد نفسه به بشكل فائق التماسّ، ليجدّده لا بالاغتصاب بل بهذا الحضور المكثَّف بالذات، وكأنه يعيد خلقه من جديد. ما يؤكّد هذا الخفَر الإلهي، الذي رأينا أنه سمة أساسية في تعاطي الله مع الكون، هو أنه، لما انحدر إليه، لم يتّخذ شكلًا فائقًا، بل شكل إنسان كسائر الناس، «آخذًا صورة عبد، صائرًا بشبه البشر»، وكأنه «أفرغ ذاته» من ألوهته (فيليبي ٢:٧). هكذا تواجد لديه أقصى الحضور، نتيجة حبّه للكون، وأقصى التواري، نتيجة الحب عينه وما يمليه من احترام كلّيّ لكيان المخلوق إلى حد ما يشبه الامّحاء أمامه. وقد بلغ هذا التواري أقصاه عندما ارتضى الله، في يسوع المسيح الذي شهد للحقّ حتى الموت (موته هو وليس موت خصوم الحقّ)، أن يحجب مجد اقتداره وراء سلطان الحقّ وحده (وما أضعف صوت الحقّ اذا أصمّ الانسان له أذنيه!)، إلى حدّ أنّ خليقَتَه رَفَضَتْه حتى الصلب: «لو عرفوا لما صلبوا ربّ المجد» (١ كورنثوس ٢:٨).

ولكن ولوج الله، في يسوع المسيح، بالصليب والقبر، إلى جحيم مأساتنا، كان أسمى تعبير عن حبه «الجنونيّ» (كما نعته مكسيموس المعترف ونقولا كاباسيلاس) لنا عبر مشاركته – وهو المنزَّه عن الشرّ والألم – في جحيمنا نحن. وكان، بآن، طريقه إلى تفجير هذا الجحيم من الداخل عندما توغّل في ظلماته واختبر، في جسد يسوع المكسور ودمه المهرق ونفسه «الحزينة حتى الموت»،

كل لوعته وعذابه (حتى المرارة القصوى، مرارة الشعور بالتخلّي الإلهي: «إلهي، الهي، لماذا تركتني؟»: مرقس ١٥:٣٤)، فقهر الشرّ والموت باجتيازه فيهما. من «عرس الدم» هذا، الذي عانق به كل محنة البشر، خرج ظافرًا «كالعريس من خدره»، مشركًا الناس في ظفره هذا عبر مشاركَتِهم معاناتَهُم، ومانحًا إياهم طاقة الغلبة التي حقّقها، والتي أصبحت مسجَّلة في قلب تاريخهم بالرغم من كل شروره ومآسيه («إن الخلائق بأسرها قد استوعبت الآن نورًا، السماء والأرض والجحيم ...»: قانون الفصح)، عاملة فيه كخميرة مضيئة وسط كثافة العجنة البشرية وثقلها وعتمتها، زارعةً فيها وعد التحرير من كل القيود: «لقد حطّمتَ الاقفال الدهريّة ومزّقت السلاسل وقطّعتها»، هكذا تنشد طقوسنا للناهض من بين الأموات.

● ... لذا جاءت حقبة «التأليه» تتوّج حقبتي «الإحياء» ثم «الأنسنة» في مسيرة الكون ...

هكذا تكتمل أمامنا، في نور الإيمان، صورة مسيرة الكون التي حاولنا استعادتَها منذ أن بدأت من مليارات السنين. فقد ميّزنا فيها حتى الآن منعطفين رئيسَيْن يمكن أن نسمّيهما الآن مرحلة «الإحياء» (وهي التي تلت «قفزة الحياة»)، ومرحلة «الأنسنة» (وهي التي دشّنتها «قفزة الفكر»). أما قيامة المسيح فقد أفتتحت مرحلة ثالثة يمكن أن ندعوها مرحلة «التأليه». إنها تتويج للمرحلتين السابقتين، وذلك بمعنَيَين: أوّلًا، إنها الحلقة

الناقصة التي تكتمل بها مسيرة الكون باكتمال مقاصد الله فيه (لذا يدعوها الرسول بولس «ملء الزمن»: غلاطية ٤:٤)؛ وثانيًا، إنها المرحلة التي تبلغ بها كلّ من الحقبتين السابقتين ملء أبعادها ومداها: فالحياة تبلغ ملء غناها إذا ما تحررت، بالقيامة، من محدوديّتها التي يلخّصها الموت؛ والإنسان يصل إلى ملء قامته اذا ما صار ابنًا لله وتحقّق فيه كمال «المثال» الإلهي.

● ... ولكنها، حتى «يوم الله»، لا تزال قيد التحقيق عبر مخاض الكون

إلّا أن هذه المرحلة الأخيرة لم تكتمل بعد. إنها مسيرة كالمرحلتين اللتين سبقتاها، وتندرج معهما في سياق الشوط الطويل الذي قطعه الكون ولا يزال، محمولًا وموجَّهًا بالحضور الالهي الخلّاق. انها ورشة تقوم في الأرض على قدم وساق ويعمل فيها الإنسان مع الله («نحن عاملون مع الله»: ١ كورنثوس ٣:٩) على تجديد ذاته وتجديد هذا الكون الذي منه خرج بفعل الله ليكون، كما أشرنا، تتويج مسيرته.

إنها ورشة التجديد تنشر القيامة في العالمين كسحابة من نور، وذلك عبر الجماعة الكنسية من حيث هي الامتداد المنظور للناهض من الأموات وباكورة تجديد الكون عِبرْ أسرارها - وعلى الأخصّ سرّها المحوريّ، الإفخارستيا التي فيها يحوّل الروحُ الالهي الخبزَ والخمرَ، وهما يمثلان الطبيعة كلّها، وحياة البشر وأعمالهم

وحضاراتهم، إلى جسد المسيح الممجَّد، نواة العالم الجديد. ولكن ورشة التجديد هذه تمرّ أيضًا عبر كل مؤمن يشهد لها ويترجمها بسلوكه القِياميّ، كما وعبر كل إنسان، أيًّا كان معتقده، يعمل بإخلاص من أجل الخير والحقّ والجمال والعدالة والحرّيّة والمعرفة والحبّ والسلام وحقوق الناس، كل الناس؛ عبر كل من كافح البؤس والقهر والطغيان، كل من تجنّد لتخفيف آلام البشر وتضميد جراحاتهم ورفع النير عن المسحوقين، كل من تصدّى، حتى الموت أحيانًا، لجحافل من الظلمة الزاحفة أبدًا، «مستعجلًا (بذلك) يومَ الله» (٢ بطرس ٣:١٢).

إلى أن يأتي هذا اليوم في ساعة يعلمها الله وحده، فيفيض الضياء الالهي في الكون ويعمّده بالنور ويضع حدًّا لـ «مخاضه» العسير الذي يتحدث عنه الرسول بولس (رومية ٨:٢٢) ويُتَوِّجُهُ بثمر لم يكن لهذا المخاض أن يبلغه لولا هذا التدخّل الإلهي الذي به يتحقق انتظار الكون فوق كل ما يمكّن توقّعه، فإذا بـ «سماء جديدة وأرض جديدة» (رؤيا ٢١:١) لم يكن كل ما سبقهما من جِدّة سوى صورة باهتة عنهما، وإذا بالمستحيل يتحقّق على يد ربّ المستحيل (تكوين ١٨:١٤ ولوقا ١:٣٧) فتُطوى مآسي البشر و«يمسح الله كلّ دمعة من عيونهم، وللموت لن يبقى وجود بعد الآن، ولا للحزن ولا للصراخ ولا للألم لن يبقى وجود بعد الآن، لأن العالم القديم قد زال» (رؤيا ٢١:٤).

إنسان جديد في كون جديد يتحقق به توق الخليقة فوق كلّ

تصوّر وحسبان: «فالخليقة تنتظر بفارغ الصبر تجلّي أبناء الله (...) لأنها هي أيضًا ستتحرّر من عبودية الفساد لتشارك أبناء الله في حرّيّتهم ومجدهم» (رومية ٨: ١٩ و٢١). كان الله منذ البدء، وما زال، حاضرًا في صميم الكون، الذي «به يحيا ويتحرّك ويوجَد»، حضور النار في العلّيقة التي رآها موسى تلتهب بلا احتراق. أمّا في ذلك اليوم، فلسوف تتحوّل تلك النار، الخفيّة من قبل، إلى تأجج ساطع اللهيب يشرق به الكون، لان الله صار فيه «كل شيء في كل شيء» (١ كورنثوس ١٥: ٢٨)، إنما دون أن يلغيه ويذيبه في ذاته، بل على العكس، متيحًا له أن يحقّق خصائصه الذاتية على أكمل وجه. تحوّل الكون عند ذاك أشبه ما يكون بالتحوّل الذي طرأ، في جبل التجلي، على وجه يسوع، الذي بقي لحمًا ولكنه صار «مشِعًّا كالشمس»، وعلى ثيابه، التي لبثت قماشًا ولكنها غدت «بيضاء كالنور» (متّى ١٧: ٢).

● الخوارق استباقٌ لعالم القيامة

ما هو إذًا دور الخوارق (العجائب بمعناها الحصريّ) إذا ما أدرجناها في مسيرة الكون هذه وتتويجها الفائق الإدراك في بهاء تحرير الكون الجديد؟

● إنها علامة ...

دورها الأوّل هو أن تنبّهنا إلى الأعجوبة الدائمة التي تتواصل فينا وحولنا، ألا وهي إعجاز الخلق الذي ألفناه إلى حدّ أنه لا يُثير

لدينا ما يستحقّه من ذهول بل إنه يبدو لنا بَدَهِيًّا كالضوء والهواء. يقول الدكتور أديب صعب: «... قد تأتي العجائب لتهزّنا من بلادة وتوقظنا من سبات، ولكي تعيدنا، في أيّ حال، إلى العجيبة الأصلية الكامنة في ما حولنا (...) أي فعل الخلق الحاضر أمامنا كلّ حين من غير أن نعيه بالضرورة (...) فننظر إلى الوجود نظرة تقديس وتبجيل وإجلال، نظرة شكر وتسبيح وفرح...» (المقدّمة في فلسفة الدين، ص ١٩٢).

● ... ولكنها أيضًا نبوءة

أمّا دورها الثاني فهو في كونها ثغرات تتشقّق بها، برهةً، كثافة عالمنا الحاضر ليُتاح لنا الإطلال على بهاء العالم الجديد الآتي، عالم القيامة، إذ هي نماذج مسبقة عنه ونوافذ يتراءى لنا منها انتصار الحياة الموعود به وتحرّرها من كل الحتميات التي تكبّل انطلاقها.

هذا البعد التحرّري للعجائب نلمسه في الصِيَغ التي كان يستعملها يسوع عند اجتراحه إيّاها، وهي صِيَغ توحي بالتحرّر والانطلاق، على سبيل «أَبصِرْ» (للأعمى)، «إِنفتحْ» (للأصمّ الأبكم)، «مُدَّ يدَك» (للرجل اليابس اليد)، «يا صبيةُ قومي» (لابنة يايروس التي ماتت)... لذا قال يسوع لأهل جيله إن العجائب التي صنعها بينهم كانت علامات على أن ملكوت الله قد وافاهم (متّى ١٢:٢٨)، ذلك الملكوت الذي كان عليه أن يدشّنه بقيامته. لقد كانت إشارات مسبقة إلى ملكوت لم يكتمل انتصاره بعد، وكأنها تذوّق عابر لطعم ما سوف يأتي. لذا فإن الذين

شفاهم يسوع أو أنهضهم من الموت – وقد كانوا على كل حال عيّنة ضيّقة من البشر – عاد المرض فأقعدهم والموت ففتك بهم. ولكن معجزاته كانت بمثابة وَمَضات تنذر وتبشّر بانفجار النهار الأبديّ الذي سوف يُقضى فيه نهائيًا على كل سقم وموت.

وكما انه ظهرت باكرًا بين الأسماك الاولى فصيلة إسمها الكلنتاوات crossoptérygiens تطوّرت فيها الزعانف إلى ما يشبه قوائم بدائية تنذر بخروج الحياة الحيوانية إلى اليابسة وتحرّرها من العنصر المائي، كذلك فالخوارق، على ندرتها ومحدودية فعلها، تستبق تحرّر الحياة وظفرها في الكون الجديد. والمثل الذي قدّمناه هنا إنما هو خير دليل على ارتباط العجائب بمعناها الحصري (أي الخوارق)، بالأعجوبة الكبرى التي بفضلها يوجَد الكون ويتحرّك، وعلى اندراجها في سياقها الإلهي المذهل.

١١ أيّار إلى ٢٨ حزيران ٢٠٠٠

بعض المراجع للملحق

* Henri BERGSON: L'Evolution créatrice (1907), "Bibliothèque de philosophie contemporaine", PUF, Paris, 62e édition, 1946, pp. 56-57, 64-67,69.

* Adolf HAAS: L'idée de développement et la conception chrétienne du monde et de l'homme, pp. 124-126, in HAAG, HAAS et HURZELER: Bible et Evolution, Mame, 1964, pp. 123-146.

* François RUSSO: Réflexions sur une leçon inaugurale au Collège de France. Les vues de Jacques Monod sur la vie et sur la science, pp. 193-194, ETUDES, Paris, février 1968, pp. 191-199.

* Jules CARLES: Le Transformisme (1952), 5e édition mise à jour, Coll. "Que sais-je?", PUF, Paris, 1970.

* Pierre LEROY: Le matérialisme ou la nécessité du hasard, p. 30, ECCLESIA, n° 263, février 1971, pp. 29-31.

* François RUSSO: L'intelligence de la vie. Réflexions

complémentaires sur les controverses actuelles, p. 809, ETUDES, Paris, juin 1971, pp. 803-821.

* Joseph de BACIOCCHI: Jésus-Christ dans le débat des hommes, Centurion, Paris, 1975, pp. 138-139.

* Pierre-Paul GRASSÉ: Entretien avec Christian CHABANIS, pp. 99 et 100, in Dieu existe? Oui. Sciences et Foi. Entretien avec un naturaliste, Pierre-Paul Grassé, de l'Institut, Stock, Paris, 1979, pp. 91-105.

* Christian MONTENAT, Luc PLATEAUX, Pascal ROUX: Pour lire la création dans l'évolution, Cerf, Paris, 1984.

* TRINH Xuan Thuan: La mélodie secrète (1988), "Folio-Essais", n° 160, Gallimard, Paris, 1997.

* Le Savant et la foi. Des scientifiques s'expriment. Presenté par Jean DELUMEAU (1989), Coll "Champs", n° 248, Flammarion, Paris, 1994.

* Jean GUITTON, Grishka BOGDANOV, Igor BOGDANOV: Dieu et la science - vers la métaréalisme - (1991), coédition Bernard Grasset, Paris-FMA, Beyrouth, 1992.

* كوستي بندلي: السُّبُل إلى الله. ألفصل الثالث: الله والتطوُّر، منشورات النور، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦، ص ١٩٢- ١٤٤.

* أديب صعب: ألمقدّمة في فلسفة الدين، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٤.

الفهرَس

مقدّمة ٧
تقديم ١٣
ألحلقة رقم ١: ١٥ تموز ١٩٩٥: ما هو التعصّب ؟ ... ١٥
ألحلقة رقم ٢: ٢٢ تموز ١٩٩٥: تعاطي
لوقا ١٢:٢٢-٣١. .... ١٧
ألحلقة رقم ٣: ٢٨ تموز ١٩٩٥: علاقة التعصّب ببعض
المفاهيم القريبة ٢١
ألحلقة رقم ٤: ٥ آب ١٩٩٥: تعاطي متّى ٥:٤٣-٤٨ ٢٥
ألحلقة رقم ٥: ٢٤ آب ١٩٩٥: ما هي العلاقة بين
التعصّب والطائفية السياسية ؟ ٢٩
ألحلقة رقم ٦: ٣١ آب ١٩٩٥: تعاطي
مرقس ١٠:٣٥-٤٥ .... ٣١
ألحلقة رقم ٧: ١٤ أيلول ١٩٩٥: هل يتسّبب رجال
الدين في التعصّب ؟ ٣٥
ألحلقة رقم ٨: ٥ تشرين الأول ١٩٩٥: تعاطي
لوقا ٧:١٨-٢٣. .... ٣٩

ألحلقة رقم ٩: ٢٦ تشرين الأول ١٩٩٥: هل التعمّق
في الدين يؤدّي إلى التعصّب الطائفي؟ ٤٣
ألحلقة رقم ١٠: ١٦ تشرين الثاني ١٩٩٥: تعاطي
لوقا ١٧:٧-١٠. .... ٤٧
ألحلقة رقم ١١: ٧ كانون الأول ١٩٩٥: تعاطي
مرقس ٢:١-١٢. .... ٥٣
ألحلقة رقم ١٢: ١٤ كانون الأول ١٩٩٥: أضواء
على الصهيونية. ٥٧
ألحلقة رقم ١٣: ٢١ كانون الأول ١٩٩٥: تعاطي
متّى ٩:١٤-١٧. .... ٦١
ألحلقة رقم ١٤: ٣٠ كانون الأول ١٩٩٥: لماذا
ندرس العهد القديم. ٦٥
ألحلقة رقم ١٥: ١٧ شباط ١٩٩٦: طبيعة محبة الاعداء
وإمكانيّة عيشها ٦٩
ألحلقة رقم ١٦: ٢٤ شباط ١٩٩٦: ألصوم، انطلاقًا
من تعاطي إشعيا ٥٨:٢-١١ .... ٧٣
ألحلقة رقم ١٧: ٩ آذار ١٩٩٦: تعاطي
لوقا ٩: ٥٧-٦٢. .... ٨١
ألحلقة رقم ١٨: ١٦ آذار ١٩٩٦: «هل وجود الأجانب
في البلاد العربية يثير التعصّب الطائفيّ؟» ٨٧

ألحلقة رقم ١٩: ٢٣ آذار ١٩٩٦: تعاطي
لوقا ٨:١٦-١٨ .... ٩٣
ألحلقة رقم ٢٠: ٦ نيسان ١٩٩٦: خوارق العهد القديم :
حقيقة ام خيال ؟ ٩٧
الحلقة رقم ٢١: ١٣ نيسان ١٩٩٦: إحتفال بعيد الفرقة .
معاني القيامة ١٠٥
الحلقة رقم ٢٢: ٢٠ نيسان ١٩٩٦: تعاطي
متّى ٢٥:٣١-٤٦. .... ١١١
ألحلقة رقم ٢٣: ٢٧ نيسان ١٩٩٦: «لِمَ التعصّب
بين الطائفة المارونية والطائفة الارثوذكسية ؟» ١٢١
ألحلقة رقم ٢٤: ٤ ايار ١٩٩٦: تعاطي
لوقا ٩:٢٣-٢٧ ولوقا ١٢:٢٢-٣٤. .... ١٢٧
ألحلقة رقم ٢٥: ١١ أيار ١٩٩٦: صورة الله في
العهد القديم ١٣٣
ألحلقة رقم ٢٦: ١٨ أيار ١٩٩٦: تعاطي
مرقس ١٣:٣٢-٣٧. .... ١٤١
ألحلقة رقم ٢٧: ٢٥ أيار ١٩٩٦: أضرار التعصّب ١٤٥
ألحلقة رقم ٢٨: ١ حزيران ١٩٩٦: تعاطي
مرقس ٣:٢١-٣٠. .... ١٤٩
ألحلقة رقم ٢٩: ٨ حزيران ١٩٩٦: ألإشارات إلى

الثالوث في العهد القديم ١٥٣
ألحلقة رقم ٣٠: ١٥ حزيران ١٩٩٦: تعاطي
رؤيا ٢٢:٦-١٧. .... ١٥٩
ألحلقة رقم ٣١: ٢٢ حزيران ١٩٩٦: تأثير الأهل
المتعصِّبين على بَنيهم (١). ١٦٥
ألحلقة رقم ٣٢: ١٣ تموز ١٩٩٦: تعاطي
متّى ٩:١٨-٢٦. .... ١٧١
ألحلقة رقم ٣٣: ٢٠ تموز ١٩٩٦: تأثير الأهل
المتعصِّبين على بنيهم (٢). ١٧٥
ألحلقة رقم ٣٤: ٣ آب ١٩٩٦: تعاطي
متّى ١٤:٢٢-٣٣. .... ١٨١
ألحلقة رقم ٣٥: ١٠ آب ١٩٩٦: هل من إيجابيّات
للتعصّب ؟ ١٨٧
ألحلقة رقم ٣٦: ١٧ آب ١٩٩٦: تعاطي
متّى ٤:١-١١. .... ١٩٣
ألحلقة رقم ٣٧: ٢٨ أيلول ١٩٩٦: التعصّب والإيمان. ٢٠١
ألحلقة رقم ٣٨: ٥ تشرين الأول ١٩٩٦: تعاطي
متّى ٥:٣٨-٤٢. .... ٢٠٩
ألحلقة رقم ٣٩: ١٢و٢٦/١٠/١٩٩٦: ممارسة
الجنس قبل الزواج ٢١٣

ألحلقة رقم ٤٠: ٢ تشرين الثاني ١٩٩٦: تعاطي
متّى ٧:٢١-٢٣. .... ٢١٧
ألحلقة رقم ٤١: ٩ تشرين الثاني ١٩٩٦: ألغنى ودخول
الملكوت ٢٢١
ألحلقة رقم ٤٢: ١٦ تشرين الثاني ١٩٩٦: تعاطي
متّى ١٣:٢٤-٣٠. .... ٢٢٥
ألحلقة رقم ٤٣: ٢٣ تشرين الثاني ١٩٩٦: قسو
المجتمع حِيَال فتاة «أخطأت» ٢٢٩
ألحلقة رقم ٤٤: ٢١ كانون الاول ١٩٩٦: تعاطي
لوقا ١٨:٣٥-٤٣. .... ٢٣١
ألحلقة رقم ٤٥: ٨ شباط ١٩٩٧: الإباحية في
المشاهد التلفزيونية ٢٣٥
ألحلقة رقم ٤٦: ٣/١٥ و١٩٩٧/٦/٢٨: خبرات
عن الصلاة ٢٣٧
ألحلقة رقم ٤٧: ٢٢ آذار ١٩٩٧: تعاطي مرقس ٢:١-١٢
(للمرّة الثانية). ٢٤٣
ألحلقة رقم ٤٨: ٢٩ آذار ١٩٩٧: تساؤلات حول
الزواج المدني ٢٤٩
ألحلقة رقم ٤٩: ٥ نيسان ١٩٩٧: تعاطي
مرقس ٩:١٤-٢٩. .... ٢٥٣

ألحلقة رقم ٥٠: ١٢ نيسان ١٩٩٧: ألكبرياء وكيفية
تخطّيها. ٢٥٧
ألحلقة رقم ٥١: ٢٦ نيسان ١٩٩٧: خبرات عن عيش
القيامة في حياة الفرقة ٢٦١
ألحلقة رقم ٥٢: ٣١ أيار ١٩٩٧: كيف نمدّ المسيحية
إلى حياتنا كلّها ؟ ٢٦٥
ألحلقة رقم ٥٣: ١٤ حزيران ١٩٩٧: كيف يَفْنى
الجسد وهو هيكل الله ؟ ٢٦٩
ألحلقة رقم ٥٤: ٢١ حزيران ١٩٩٧: تأمُّل في
نصّ « كُنْ صديقي » (سعاد الصباح). ٢٧٥

ملحق : الاعجوبة علامة ونبوءة . قراءة للأعجوبة في ضوء علاقة الله بالكون

تقديم ٢٨٧

أولًا : علاقة الله بالكون.

○ لماذا توجد الأشياء في حين أنه كان ممكنًا ألّا توجد ؟ ٢٨٩

○ ما هو سرّ انتظام الموجودات بدل عشوائيتها ؟ ٢٩١

○ ألخلق عملية دائمة ٢٩٢

○ إرتباط صميم وتمايز بآن ٢٩٢

○ ألشرّ نتيجة محدودية الكون ٢٩٤

○ فعل الله في الكون متواصل وخَفِر ٢٩٥

○ ... يتجلّى في الخطّ الارتقائي الذي سلكته مسيرة .. ٢٩٦

○ ... والذي يفترض توجيهًا إلهيًا لا يقفز فوق المادّة بل يتناولها من الداخل ٢٩٧

○ نعرف اليوم أن شروط هذا الخطّ الارتقائي مسجّلة منذ البدء في مادّة الكون ٣٠٠

○ محطّتان حاسمتان في ارتقاء الكون : « قفزة الحياة » و« قفزة الفكر » ٣٠٢

○ في كِلتَيهما ، لا معارضة لنواميس المادّة بل الارتقاء بها إلى صعيد جديد ٣٠٦
○ ... كما هي الحال في وجوه الإبداع الإنساني ٣٠٦
○ هكذا تُسخَّر حتمية النواميس لتفجير حرّيّة تبلغ في الإنسان كلّ مداها ٣٠٨

ثانيًا : طبيعة الأعجوبة

○ ماذا الآن عن الخوارق؟ ٣١١
○ ألخوارق في الإنجيل وفي عصرنا ٣١٢
○ هل الخوارق تناقض بالحقيقة نواميس الطبيعة ٣١٤
○ ... أم هي بالأحرى من باب تحييد نواميس بفعل نواميس أخرى قد تخفى علينا ٣١٤
○ ... أو من باب الاعتماد على ثغرات كشفتها الفيزياء الحديثة في حتمية نواميس المادة ؟ ٣١٦

ثالثًا : معنى الأعجوبة

○ تصاعُد الكون نحو الحرية يبدو وكأنه آل إلى طريق مسدود ٣١٩
○ ... ولكن الله افتدى الكون بارتمائه المذهل في مأساته ٣٢٠
○ ... لذا جاءَت حقبة « التأليه » تتوّج حقبتَي

« الإحياء » ثم « الأنسنة » ٣٢٢
○ ... ولكنها ، حتى « يوم الله » ، لا تزال قيد
التحقيق عبر مخاض الكون ٣٢٣
○ ألخوارق استباق لعالم القيامة ٣٢٥
بعض المراجع للملحق ٣٢٩
الفهرس ٣٣٣

مطبعة أميون
شباط ٢٠٠١